البابا شنودة الثالث

حياة

التوبة و النقاوة

LIFE OF REPENTANCE AND PURITY

BY

H.H POPE SHENOUDA

الكتاب : حياة التوبة و النقاوة .
المؤلف : البابا شنودة الثالث.
الطبعة : الطبعة الخامسة ١٩٩١
المطبعة : الأنبا رويس العباسية .
رقم الايداع : ١٩٨٤/٤٥٧١م.
جميع حقوق الطبع محفوظه للمؤلف .

قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ١١٧

قصة هذا الكتاب

ليست التوبه يا إخوتي هي عمل المبتدئين في الحياة مع الله ، إنما التوبة هي للجميع ، حتي للقديسين وهي جزء من صلواتنا اليومية .
كل إنسان محتاج إلي توبة ، مهما عظم مركزه ، ومهما علا قدرة وارتفع في الحياة الروحية . كلنا محتاجون إلي توبة ، بل إننا محتاجون إليها في كل يوم ، لأننا في كل يوم نخطئ . ولا يوجد إنسان بلا خطية ، ولو كانت حياته يوماً واحداً علي الأرض .
بالتوبة نهيئ أنفسنا لسكني الرب . وبالنقاوة نعاين الله أي نراه (متي ٥: ٨) . التوبة هي بدء الطريق إلي الله ، وهي رفيق الطريق حتي النهاية

ولذلك كانت التوبة من اولي الموضوعات التي ألقيت فيها محاضرات عديدة من بداية عملي كأسقف للتعليم من حوالي عشرين سنة .

عشرات المحاضرات ألقيتها عن التوبة في القاعة المرقسية بدير الأنبا رويس ، وفي إجتماعات الشباب و الاسرات الجماعية . كما ألقيت محاضرات أخري مركزه في كنيسة الملاك بدمنهور ، وفي كنيسة مارجرجس بالمحلة الكبري ، وفي بعض البلاد الأخري ، وبخاصة في السنوات من ١٩٦٥ إلي ١٩٦٩

وكنت أشتهي منذ زمان ، أن تصدر كتاب عن حياة التوبة

ولقد جمعت محاضرات فعلاً ، وقدم للمطبعة في اغسطس ١٩٧١ ، وتم طبع ثلاث ملازم منه . ثم جاءت مسئوليات البطريركية فشغلتني عنه وعن أصدار أي كتاب آخر لمدة طويلة ، كانت فيها اعباء العمل متشبعة جداً لم تعطني فرصه للكتابة علي مدي سنوات . إلي ان شاء الله أخيراً أن أقدمه للمطبعه بعد اثنتي عشرة سنة وبسبب تأخير صدور كتاب (حياة التوبة) هذا ، كان كثير من احبائي يستعجلونني ، قائلين في لطف : ها قد تأخرت توبتنا بتأخر صدور الكتاب . أفترضي أن تحمل مسئولية هذا التاخير أمام الله ؟ وكنت أجيبهم بالعبارة التي أكررها باستمرار " صلوا لكيما يعطيني الرب وقتاً "...ثم أعطاني الرب وقتاً ، وقدمت الكتاب إلي المطبعة ، وما هو قد وصل أخيراً إلي يديك . ولعل تأخره كان فرصة لأن أضيف إليه محاضرات أخري ألقيتها في الكاتدرائية الكبري فيما بعد في السبعينات .

وبعد ، أتظنون أنني استطعت جمع كل مايو قلناه عن التوبه ؟

كلا بلا شك . فموضوع التوبة متسع ومتشعب ، وقد دخل في موضوعات أخري كثيرة من الحياة الروحية ، ودخل في تأملاتنا عن المزامير وقطع الأجبية ، وسفر الرؤيا ، وسفر النشيد ورومية ١٢ ، ورجال الكتاب المقدس ،وفي محاضراتنا عن الخلاص ....

وقد أصدرنا بعض كتب أخري صغيرة غير هذا الكتاب ، تحت عنوان " سلسة حياة التوبة و النقاوة ".

صدرت منها كتب (اليقظة الروحية)،ـــ الشهر الروحي) ، الرجوع إلي الله)، وكتاب (مخافة الله) في طريقة إلي المطبعة أيضاً .
علي أنني لكي استكمل لك هذه المجموعة عن حياة التوبة

أتوقع أن أصدر لك قريباً كتاب (الحروب الروحية) الذي ربما يصدر في مجموعة من الكتب الصغيرة أولاً ، ثم يجمع في كتاب كبير ليشمل الحروب الروحية بوجه عام ، ثم حرب كل خطية تعطل التوبه ، علي حدة ويبقي موضوع (التوبة و النقاوة) مفتوحاً ... أنه حياة ...

شنودة الثالث

الباب الأول

ماهي التوبة ؟

١- ما هي التوبة .
٢- نمو التوبة وكمالها .
٣- دعوة إلي التوبة
٤- لا تيأس
٥- التوبه بين الجهاد والنعمة .
٦- اهمية التوبة
٧- عوائق التوبه
٨- التوبة و الكنيسة

ما دامت الخطية هي انفصال عن الله ، فالتوبة إذن هي رجوع إلي الله (١) .

و الرب يقول في ذلك " ارجعوا إلي ، أرجع إليكم "(ملا ٣: ٧) . والأبن الضال حينما تاب ، ورجع إلي ابيه (لو ١٥ : ١٨ ، ٢٠) . حقاً أن التوبة هي حنين الإنسان إلي مصدرة الذي أخذ منه . وهي اشتياق قلب ابتعد عن الله ، ثم شعر انه لا يستطيع أن يبعد أكثر ...

- ومادامت الخطية خصومه مع الله ، **تكون التوبة هي الصلح مع الله** (١) وهذا ما ذكـره معلمنـا القديس عن عمله الرسولي ، قال " إذن نسعي كسفراء عن المسيح : تصالحوا مع الله " ى(٢ كو ٥: ٢٠) .

و التوبه لا تقتصر علي الصلح ، إذ بها يعود اله فيسكن الله في قلوبهم حيث تسكن الخطيـة ؟ و الكتـاب يقول " أيه شركة للنور مع الظلمة ؟"
(٢ كو ٦ : ١٤) .

و التوبه أيضاً هي يقظة روحية (١) .

لأن الإنسان الخاطئ هو إنسان غافل ، لا يحس ما هو فيه . لذلك يخاطبه الكتاب قائلاً " إنهـا الآن سـاعه لنستيقظ من النوم "(رو ١٣ : ١١) . ولعله بهذا المعني اعتبرت التوبة هي **رجوع الأنسان إلي نفسه .**

أو هي رجوع النفس إلي حساسيتها الأولي ، ورجوع القلب إلي حرارته ورجوع الضمير إلي عملـــه . وحسناً قيل عن الأبن الضال في توبته " فرجع إلي نفسه " (لو ١٥ : ١٧) . أي أنه عاد إلي وعيه ، وإلي تفكيرة السليم ،وإلي أدراكه الروحي .
ومادامت الخطية تعتبر موتاً روحياً ، كما يقول الكتاب عن الخطاة انهم " أموات بالخطايا " (أف ٢: ٥) ، تكون التوبة إذن انتقالاً من الموت إلي الحياة حسب تعبير القديس يوحنا الإنجيلي (١ يو ٣: ١٤) . وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول " استيقظ أيها النائم ، وقم من الأموات ، فيضئ لك المســيح "(أف٥ : ١٤). و القديس يعقوب الرسول يؤكد نفس المعني إذ يقول " من رد خاطئاً عن طريق ضلاله ، يخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا " (يع ٥ : ٢٠) . إن التوبة قيامة للروح ، لأن موت الروح هو انفصال الروح عن الله ، كما قال القديس اوغسطينوس ....

- التوبة هي قلب جديد طاهر ، يمنحه الرب للخطاه ، يحبونه به هي عمل إلهي يقوم به الرب في داخل الإنسان ، حسب وعده الإلهي القائل " أورش عليكم ماء طاهراً ، فتطهرون من كل نجاســتكم ... وأعطيكم قلباً جديداً ، وأجعل روحاً جديده في داخلكم ... وأجعلكم تســلكون فــي فرائضــي ، وتحفظون أحكامي وتعلمون بها "(حز ٣٦ : ٢٥ – ٢٧) .

*التوبة هي التحرر من عبودية الخطية و الشيطان ...

- ومن أغلال العادات الخاطئة ، ومن السير وراء الشهوات ... ولا يمكن ان ننال هذه الحرية بدون عمل الرب فينا . ولذلك يقول الإنجيل " إن حرركم الأبن ، فبالحقيقة أنتم أحرار "(يــو ٨: ٣٦) . إنها حقاً حرية لأن " كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية "(يو ٨: ٣٤). نحصل علي هذه الحرية ، إن كنا بالتوبة نثبت في الحق ، وليس في الباطل و الحق يحررنا (يو ٨: ٣٢).

* التوبة إذن هي ترك الخطية ، ولكن من أجل محبه الله .

ومن أجل محبة البر . لأنه ليس كل ترك للخطية يعتبر توبة . فقد يبتعد الإنسان عن الخطيــة بســبب الخوف ، أو الخجل ، أو العجز ، او المشغولية (مع بقاء محبتها في القلب) ، أو بسبب أن الظــروف غير متاحه . ولا تعتبر هذه توبه ... أما التوبة الحقيقية ، فهي ترك الخطية عملاً وفكراً وقبلاً ، حبــاً في الله ووصاياه وملكوته وحرصاً من التائب علي ابديته ...

التوبة الحقيقية هي ترك الخطية ، بلا رجعة .

وهكذا تروي قصص القديسين الذين تابوا ، مثل القديس اوغسطينوس ، والقديس موسي الأســود ، و القديسات مريم القبطية وبيلاجية وتاييس وسارة ... إن التوبة كانت في حياة كل هؤلاء وغيرهم ، هي نقطة تحول نحو الله ، إستمرت مدي الحياة ، بلا رجعه إلي الخطية . ويــذكرنا هــذا بقــول القــديس شيشوي " لا أتذكر ان الشياطين قد أطغوني في خطية واحدة مرتين "... ربما الخطية الأولي كانت عن طريق جهل ، أو تهاون ، أو ضعف ، أوعدم دراية بحيل الشياطين ، أو عدم حرص . اما بعد التوبه و اليقظة ، فهناك كل التدقيق في الحياة ، والإحتراس من الخطية . اما الذي يترك الخطية ثم يعود إليها ، ثم يتركها ثم يعود ... فهذا لم يتب بعد . إنما هذه مجرد محاولة للتوبه ، كلما يقوم فيها الخاطئ تشده الخطية إلي أسفل . إن صك حريته لم يكتب بعد ...

التوبه هي صرخة من الضمير ، وثورة علي الماضي .

- إنها اشمئزاز من الخطية ، وندم شديد ، ورفض للحاله القديمة ، مع خجل وخزي منها . لذلك قيل عن التوبة إنها " قاض لا يستحي ".

التوبه هي تغيير لحياة الإنسان .

ليست هي انفعالاً وقتياً نحو الله ، إنما هي تغيير جدي وجذري في حياة الإنسان فيه يشعر هو وكل من يعاشره ان حياته قد تغييرت ، وأفكاره تغيرت وكذلك مبادؤه وقيمه ونظرته إلــي الحيــاة ، وطباعــه وأسلوبة في الحديث ، ومعاملاته للناس ، وعلاقته بالله . ونفسه أيضاً من الداخل قد تغيرت . وأصبح

قلباً رافضاً للخطايا السابقة التي كان يحبها . ودخلت محبه الله إلي قلبه . وصار له منهج روحي يشعر فيه بلذه روحية .
ولهذا كله ، قيل بصدق عن التوبه :

- **التوبه هي استبدال شهوة بشهوة** . هي شهوة للحياة مع الله ، بدلاً من شهوة الخطية و الجسد .

وهنا لا تقتصر التوبة علي الجانب السلبي ، الذي هو ترك الخطية ومحبتها إنما تدخل من الناحية الإيجابية في محبه الله وملكوته وطرقه ...إنها حرارة لا تسري في الإنسان ، وتشعله بالرغبة في حياة طاهرة ولهذا قيل عن التوبة أيضاً :

التوبة تجديد للذهن .

- تجديد الطبيعة يكون في المعمودية (رو ٦: ٤) . أما تجديد الذهن فإنه يكون في التوبه ،عملاً بقول الرسول " تغيروا عن شكلكم بتجديد الذهن فإنه يكون في التوبة ، عملاً بقول الرسول " تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم ، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة " (رو ١٢ : ٢).

*** التوبة هي المفتاح الذهبي ، الذي يفتح به باب الملكوت .**

- أو هي الباب الحقيقي الموصل إلي السماء أو إلي الملكوت . لأنه بدون التوبة لا يملك الله في قلوبنا ... أن التوبه هي زيت في مصابيح العذاري ، يجعلهن أهلاً للدخول إلي العرس (متي ٢٥) .
- **و التوبة هي القناة التي توصل إستحقاقات الدم من الصليب .**

إن الطريقة الوحيدة التي تمحي بها خطايانا بعد المعمودية . لذلك قال البعض عنها إنها " معمودية ثانية "... إنها جحد للشيطان مرة أخري . أنها فض للشركة التي بين الخاطئ و الشيطان ، ليدخل في شركة مع الروح القدس (٢ كو ١٣ : ١٤) .

التوبة جمرة نار يلقطها أحد السارافيم من فوق المذبح .

- ويمحو بها إثم الخاطئ قائلاً له " قد انتزع إثمك ، كفر عن خطيبتك " (أش ٦: ٧) . إنها الوسيلة الوحيدة التي تمحي بها خطايانا من كتاب دينونتنا ... وما أجمل قول الرب في ذلك : أنساها " لا أذكر خطيئتهم بعد "(أر ٣١ : ٣٤). ومن أهمية التوبة في نوال المغفرة ، ، قول الرب " أن لم تتوبوا فجميعكم هكذا تهلكون "(لو ١٣ : ٣) .

*** التوبة هي طريق الهروب من الغضب الآتي .**

علي شرط أن تكون توبة حقيقية ، وأن تتناسب مع خطورة الخطية . إن توبه اهل نينوي ، أستطاعت ان توقف حكم الله عليهم بالهلاك . ففلما تابوا رجع الله عن حكمة ، وعن الشر الذر اراد ان يفعله بهم فلم يفعله (يون ٣: ١٠) وهكذا في أحكام اخري لله (أر ٢٦ : ١٣ ، خر ١٨ : ٢١ ، ٢٢) . حقاً ما أجمل قول أحد القديسين : إن الله سوف لا يسألك : لماذا أخطأت ؟ إنما سيسألك : لماذا لم تتب ؟

التوبة إذن هي إبقاء الله عليك وعدم أخذك في خطيتك .

- إن الله من عمق محبته ، أعطي الكل فرصاً للخلاص ، مهما كانت خطاياهم . فالله لا يأخذ أحداً في وضع هالك ، قبل أن يعطية فرصه ليتوب .

فالتوبة هي منحه إلهية وهبها الله للخطاة ، لكي تطهرهم ، وتريح ضمائرهم المثقله بخطاياهم . وتعيد إليهم السلام الداخلي ، وتردهم إلي رتبتهم الأولي التي كانت لهم قبل الخطية .

إنها يد الله الممدوه ، يطلب أن يصالحك .

- إنها فرصه لصفحة جديدة يفتحها الله في علاقته معك ، يغفر لك الماضي كله ويغسلك فتبيض أكثر من الثلج (مز ٥٠). فرصه تقوي فيك الرجاء ، وتبعد عنك اليأس مهما ساءت حالتك . ولذلك قيل عن التوبه إنها باب الرحمه ، وإنها باب الغفران ، وأنها باب الحياة ، وإنها جسر يوصل بين

الأرض و السماء . هذا من جهة عمل الله فيها وما يقدمه من مغفرة . اما من جهة الإنسان فنقول عنها :

*** التوبه هي استجابه من الإنسان لدعوة اليه .**

إنها استجابة من الضمير ، لصوت الله فيه . و استجابة من الإرادة ، لعمل النعمة معها . إنها عدم مقاومة للروح الذي يعمل فينا لخلاصنا (أع ٧: ٥١ ؟) ، وعدم إحزان للروح (أف ٤ : ٣٠) ، وعدم إطفاء للروح (١ تس ٥ : ١٩) .

سئل ماراسحق عن التوبة ، فقال : هي قلب منسحق .

- إنها النفس المنسحقة الراجعة إلي الله : إنها الركب الجاثية ، والعيون الدامعة و القلوب المنكسرة . إنها ام الدموع والإنسحاق و الإتضاع ، لأن التوبة تلد كل هؤلاء ... تحطم كبرياء الخاطئ ، وتفتت قلبه الصخري ، وتدخله إلي الحياة الإتضاع قال مار اسحق أيضاً : ذبيحة التوبة التي نقدمها لله ، هي القلب الذي اتضع وانسحق ، وانكسر بدموع الصلاة امام الله ، طالباً المغفرة عن ضعفه وميل طبيعته أو ليس هذا أيضاً ما قيل في المزمور الخمسين – مزمور التوبه – " الذبيحة لله روح منسحق . القلب المتخشع و المتواضع لا يرذله الله " .

*** قال الشيخ الروحاني : التوبة هي عذاب عظيم للشيطان مضادها .**

- لأنها تخلص وتعتق المسبيين الذين سباهم بشره . وتعبه في سنين كثيرة ، تضيعه التوبة في ساعة واحدة . زرع الشوك الذي زرعه بأرضنا ، وربي بحرص في سنين كثيرة ، في يوم واحد تحرقة وتطهر أرضنا .

إنها تجعل الزناه بتولين .

من لا يحبك أيتها التوبة – يا حاملة جميع التطويبات – إلا الشيطان ، لأنك غنمت غناه كل ما اقتناه . يا أم الغفران ، أن الآب المملؤ رحمة ، لا يغضبك إذا طلبت إليه ، لأنه وهبك ان تكون شفيعه للخطاة ، وسلم لك مفاتيح الملكوت . بعد أن زار يوحنا الدرجي دير التائبين ، ورأي إنسحاق نفوسهم بالتوبة ، وشدة جهادهم ، وحرارة صلواتهم ، قال

طوبت الذين أخطأوا وتابوا نائحين ، أكثر من الذين لم يسقطوا ولم ينجحوا علي انفسهم .

التوبة هي فرح في السماء ، وعلي الأرض .

لأنه مكتوب " يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب "(لو ١٥: ٧، ١٠) . فإن أردت ان تفرح السماء ، تب ...

وهي فرح علي الأرض ايضاً : فرح للتائب وللراعي و للكنيسة كلها . التوبة فرح لأنها دعوة للمأسورين بالاطلاق (أش ٦١: ١) . إنها فرح بالتحرر من عبودية الشيطان و الخطية ، وفرح بلذه الحياة الجديدة النقية ، وفرح بالمغفرة ...

*** وفرح لأن التوبة هي حياة النصرة أو أنشودة الغالبين** فيها ينشد التائب مع داود " " مبارك الرب الذي لم يسلمنا فريسة لأسناتهم ... نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ، ونحن نجونا " (مز ١٢٤ : ٦، ٧) .

علي ان التوبة ليست هي الغاية في الحياة الروحية ، وغنما :

التوبة هي بداية رحلة طويله إلي حياة النقاوة .

التوبه هي بداءه مع العلاقة مع الله . هي بداءه طريق طويل غايته القداسة و الكامل . فالذي لم يبدأ التوبة حتي الآن ، أي لم يبدأ أول الطريق ، كيف تراه سيصل إذن إلي نهايته . و الذي يؤجل أول خطوة إلي حين الشيخوخة أو ساعه الموت ، كيف تراه يصل إلي قول الرب " كونوا انتم كاملين ، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل "(متي ٥: ٤٨) .

التوبة كأية فضيلة ، ينمو فيها الإنسان ويتدرج . ويظل ينمو حتي يصل إلي كمالها . فما هي نقطة البداية في التوبة ؟ هل هي ترك الخطية من أجل مخافة الله .

هناك نقطة قبل ترك الخطية ، وهي الرغبة في التوبة .

لأن كثيرون لا يريدون أن يتوبوا . بل يجدون لذه في الخطية تدعوهم للبقاء فيها . أو إن طباعهم جميلة في أعينهم لا يريدون أن يغيروها ... لذلك فمجرد الرغبة في التوبة هي نقطة حسنة ، تتلقفها النعمة لالتي تسأل : أتريد أن تبرأ ؟ وتعمل عملها في الإنسان . وتكون أول خطوة بعد ذلك هي ترك الخطية بالفعل .

لكن أهم من ترك الخطية بالفعل ، تركها بالقلب و الفكر .

فهناك من يترك الخطية بالعمل . ولكن محبتها ماتزال في قلبه ، يحن إليها ، ويندم علي فرص معينة كان يمكنه فيها أن يخطئ ولم يفعل ! مثل هذا الإنسان ، ربما ترك الخطية من اجل وصية الله ، وليس لأنه يكرهها ... المفروض أنه يتدرج في التوبة حتي تنتزع الخطية من قبله .

وكمال التوبة هو كراهية الخطية .

أي يصل إلي الوضع الذي يكره فيه الخطية من كل قلبه ، ويشمئز منها ، ولا يحتاج إلي بذل أي جهد في مقاومتها ، لأنها لم تعد تتفق وطبيعته . وهنا يصل الإنسان إلي حافه النقاوة . ونقاوة القلب موضوع طويل ، سنفرد له فصلاً خاصاً في الباب الرابع (علامات التوبة) ، أو ربما نخصص له الباب الخامس . علي أن ترك الخطية التي تتعب الإنسان ،أو البارزة في حياته ، وكراهيتها ... تأتي بعده درجة أخري وهي :

ترك الخطايا التي تتكشف له بالنمو الروحي .

ذلك لأن الله من حنوه علينا ، لا يكشف لنا كل خطايانا وضعفاتنا دفعه واحدة حتي لا نقع في صغر النفس . وغنما كلما نسمع عظات روحية ، وكلما نقرأ في كتاب الله وفي الكتب الروحية تتكشف لنا ضعفات في أنفسنا وتقصيرات تحتاج إلي علاج وإلي جهاد وإلي توبه . وهكذا ندخل في عملية تطهير وتنقيه ، قد تستمر مدي الحياة .

لأن الشيطان قد يترك ميداناً ، ويحارب في ميدان آخر . و المفروض أن نكون مستعدين له كل الميادين . حتي الخطية التي نكون قد استرحنا منها فترة قد يعاود القتال فيها . وبهذا تستمر التوبة معنا مدي الحياة .... كما أن التوبة ، لا يجوز أن تقتصر فقط علي مكافحة السلبيات التي هي فعل الخطايا وأنما :

هناك توبة عن النقائض ، الخاصه بالنمو الروحي .

فالمفروض في التائب أن يصنع ثماراً تليق بالتوبه (متي ٣: ٨) . وبهذا يدخل في ثمار الروح (غل ٥: ٢٢) . فان كان لا يأتي بثمر ، فهو محتاج إلي توبه إلي توبه عن خطية عدم الإثمار ، لأن الكتاب يقول " من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل ، فتلك خطيه له "(يع ٤: ١٧) .

التوبة إذن ليست مرحلة وتنتهي ، إنما تستمر معنا

لأنه ليس احد بلا خطية ، ولو كانت حياته يوماً واحداً علي الأرض . فكلنا نخطئ ونحتاج إلي توبة . وهكذا تصير التوبه بالنسبة إلينا عملاً يومياً ، لأننا في كل يوم نخطئ . و " أن قلنا إننا لم نخطئ ، نصل أنفسنا وليس الحق فينا "(١ يو ١ : ٨) . إنما هناك فرق بين توبة الخطاة وتوبه القديسين .

الخطاة يتوبون عن خطايا هي كسر صريح للوصايا ، وتدل علي عدم محبة الله أما القديسون فيتوبون عن تقصيرات طفيفة سببها الضعف البشري . ويتوبون عن نقائض يشعرون بها لشهوتهم في حياة الكمال التي يرون طريقه طويلاً أمامهم ، ومازالت أمامهم مراحل ليعبروها جني يصلوا ، كل ذلك مع حفظ قلبهم في محبة الله . و قد وضعت لنا الكنيسة صلوات يوميه نطلب فيها التوبة .

ففي قطع الأجبية ومزاميرها كل يوم ، نلاحظ الصلوات الأتية :

١- الأعتراف بالخطية واستحقاق العقوبة ، كما في (مز ٦ ، ٥٠) ، وقطع الغروب
٢-طلب المغفرة ، كما في قطع تحليل السادسة ، وباقي الصلوات .
٣-طلب إنقاذ الرب للمصلي من الخطية ذاتها ، كما في تحليل الثالثة .
٤-طلب أرشادات لمعرفة الطريق كما في (مز ١١٩) ، وقطعه (تفضل يارب) .
٥- لوم النفس و تبكيتها علي سقوطها وتهاونها كما في قطع النوم .
٦- إيقاظ النفس للتوبة ، وتذكيرها بالموت و الدينونة ومجئ المسيح الثاني ، كما في قطع النوم واناجيل وقطع نصف الليل .

هذا يدل علي أننا نطلب التوبة كل يوم وكل ساعة .

وكمثال لذلك يقول المصلي في قطع صلاة النوم " هوذا انا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوب ومرتعب من اجل كثرة ذنوبي ... فتوبي يا نفس مادمت في الأرض ساكنه "، " أي جواب تجيبي وأنت علي سرير الخطايا منطرحة ، وفي أخضاع الجسد متهاونه "...
وفي صلاة العروب " إذا كان الصديق بالجهد يخلص ، فأين أظهر أنا الخاطئ ؟" . وفي صلاة الليل " أعطني يارب ينابيع دموع كثيرة ، كما اعطيت في القديم للمراة الخاطئة ". في صلاة السادسة " مزق صك خطايانا أيها المسيح إلهنا ونجنا ". وفي صلاة الثالثة " طهرنا من دنس الجسد و الروح . وانتقلنا إلي سيرة روحانية لكي نسعي بالروح ولا نكمل شهوة الجسد ".
ويعوزنا الوقت إن دخلنا في تفاصيل التوبه في صلوات الأجبية ، فهذا يحتاج إلي كتاب خاص . بعد كل هذا ، هل يجرؤ أحد ان يقول إن التوبه مرحلة إجتزناها وانتهت ودخلنا في السماويات ، وفي طلب المواهب و المعجزات !!

الذي يظن انه اجتاز مرحلة التوبة ، لم يفحص ذاته جيداً .

أو لم يفحص ذاته في ضوء الوصايا ، وبروح الإتضاع ... من منا مثلاً وصل غلي محبة الأعداء ؟(متي ٥: ٤٤) . او وصل ان يلهج في ناموس الرب النهار و الليل ؟ (مز ١) . أو من منا وصل إلي الصلاة كل حين دون ان يمل ؟(لو ١٨: ١) ... الوصايا كثيرة ، ولم ننفذ منها شيئاً ... أخشي أن اتكلم عن التفاصيل ، فيقع البعض في صغر النفس . فالصمت افضل ...
إذن التوبة لازمه لكل منا كل يوم من حياتنا . ليت كل واحد منا يقرأ ويتأمل في الدرجات الروحية التي وصل إليها القديسون ، ليعلم كيف هو خاطئ ! والأعجب أن القديسين الذين وصلوا إلي تلك الدرجات كانوا يقولون إنهم خطاة ومحتاجون إلي توبة ، كانوا يبكون علي خطاياهم ... ماذا نفعل نحن إذن ؟!

إن الله المحب للبشر ، بدافع من محبته لأولاده ، يدعوهم للتوبة .

ذلك لأنه " يريد أن الجميع يخلصون "(١ تي ٢: ٤) . هو لا يشاء أن يهلك أحد ، بل أن يقبل الجميع إلي التوبه (٢ بط ٣: ٩) . وهو من أجل خلاصهم مستعد أن يتغاضي عن أزمنه الجهل (أع ١٧ : ٣٠) . بل إنه يقول في محبته العجيبة " هل مسرة أسر بموت الشرير ... إلا برجوعه ... فيحيا " (

حز ١٨ : ٣) . هو يحبنا ويريدنا بالتوبة أن نتمتع بمحبته . ٠يريد بالتوبة أن يشركنا في ملكوته ، ويمتعنا بمحبته .
إنها ليست مجرد أوامر يصدرها الله علي أفواه أنبيائه القديسين ، بل هي دعوة حب للخلاص " توبوا وارجعوا ، لتمحي خطاياكم "(أع ٣: ١٩) . " من رد خاطئاً عن طريق ضلاله يخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا "(يع ٥: ٢٠) . إذن هذا الأمر من أجلنا نحن ومن خلاصنا ، الذي جعله يتجسد ويتألم لأجلنا ، والذي لا نستطيع أن ننالة إلا بالتوبة .

لذلك نري في دعوته لنا للتوبة ، مشاعر الحب ...

إذ يقول " إرجعوا إلي ، أرجع إليكم "(ملا ٣: ٧) ، " توبوا وارجعوا (حز ١٤: ٦) ، " إرجعوا إلي بكل قلوبكم ...إرجعوا إلي الرب إلهكم "(يوئيل ٢: ١٢ ، ١٣) . ويقول في محبته علي لسان أرمياء النبي " أجعل شريعتي في داخلهم ، واكتبها علي قلوبهم . واكون لهم إلهاً ، وهم يكونون لي شعباً ... أصفح عن إثمهم ، ولا أذكر خطيتهم بعد "(أر ٣١ : ٣٣ ، ٣٤).

وفي دعوته لنا للتوبة ، وعد بتطهيرنا وغسلنا .

إنه يقول " إغتسلوا ، تنقوا ، أعزلوا شر أفعالكم .. وهلم نتحاجج يقول الرب : إن كانت خطاياكم كالقرمز ، تبيض كالثلج ..." (أش ١: ١٦، ١٨). ويقول" أرش عليكم ماء طاهراً فتطهرون . من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أطهركم . وأعطيكم قلباً جديداً ..."(حز ٣٦ : ٢٥ ، ٢٦).

وهو يدعونا للتوبة ، لأننا نحن نحتاج إليها

فهو يقول " ما جئت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم "(يو ١٢ : ٤٧) ، " لا يحتاج الأصحاح إلي طبيب بل المرضي . لم آت لأدعو أبراراً بل خطاه إلي التوبة "(مر ٢: ١٧) . نعم إن إبن الإنسان جاء يطلب ويخلص ما قد هلك " (متي ١٨ : ١١) . هذه التوبة إذن من صالحنا . وليست أمراً مفروضاً علينا .
ولنا نحن كامل الإختيار . الله يدعونا للتوبة ثم يقول " إن شئتم وسمعتم ، تأكلون خير الأرض . وإن أبيتم وتمردتم ، تؤكلون بالسيف "(أش ١: ١٩ ، ٢٠) . و الصالح لنا ان نسمع ونطيع ، من اجل نقاوتنا ومن أجل أبديتنا ، ومن أجل أبديتنا ، ومن أجل أن نتمتع بالله . هوذا الرسول يمسي دعوته لنا للتوبة " خدمه المصالحة " وينادي " تصالحوا مع الله "(٢كو ٥: ١٨ ، ٢٠) . فهل نحن نرفض أن نتصالح مع الله ؟! وهل من صالحنا رفض المصالحة ؟!

التوبة نافعه ، مهما كان أسلوبها ، باللين أو بالشدة .

ولهذا يقول القديس يهوذا الرسول " إرحموا البعض مميزين .وخلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار مبغضين حتي الثوب المدنس من الجسد " (يه ٢٢، ٢٣) . كان القديس يوحنا المعمدان شديداً في مناداته بالتوبة (متي ٣:٨-١٠) . ويقول القديس بولس الرسول لأهل كورنثوس " الآن أنا أفرح ، لا لأنكم حزنتم ، بل لأنكم حزنتم للتوبة "(٢ كو ٧: ٩) . ولذلك كان بعض القديسين في عظاتهم يجعلون الناس يبكون ، وكان ذلك نافعاً لهم . كما كانت عقوبات الكنيسة نافعة للتوبه و للخلاص ...

لذلك كانت الدعوة للتوبة ، أهم موضوع في الكتاب .

لكي يتنقي الناس ، ولكي يخلصوا ... ولما كانت التوبة لازمه للخلاص ، بذلك أرسل السيد المسيح قدامه يوحنا المعمدان ، يهيئ الطريق أمامه بالتوبة ، فنادي بالتوبة قائلاً " توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات "(متي ٣: ٢) . هذا الملكوت الذي لا يمكن ان تنالوه إلا بالتوبة . وقد للناس معمودية التوبة ...

وهكذا عمل التوبه سبق عمل الفداء . والمعمدان سبق المسيح

و السيد المسيح نفسه نادي للناس بالتوبه " من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز قائلاً : توبا لأنه قد اقترب ملكوت السموات "(متي ٤: ١٧) . وكان يقول " قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالإناجيل "(مر ١: ١٥) . ولما أرسل الإثني عشر " خرجوا يكرزون ان يتوبوا " (مر ٦ : ١٢) . وقبيل صعودة أمر أن يكرز باسمه للتوبه ومغفرة الخطايا لجميع المم مبتدأ من أورشليم "(لو ١٤ : ٤٧) .

كان اول كارز بالتوبه هو نوح . وتبعه أنبياء كثيرون . مثل أشعياء (أش ١)، وحزقيال (حز ١٨) ، ويونان (يون ٣) ، ويوئيل (يوء ٢) ، وأرمياء أر ٣١) ... وهي أيضاً واضحه كل الوضوح في اسفار العهد الجديد .و الدعوة إلي التوبه هي عمل جميع الرعاة و المعلمين و الوعاظ ورجال الكهنوت وكل المرشدين إلي التوبه هي عمل جميع الرعاة و المعلمين و الوعاظ ورجال الكهنوت وكل المرشدين الروحنيين ... وهي واضحة في أقوال الآباء . لقد اهتم الآباء جداً بالدعوة إلي التوبه :

قال القديس الأنبا أنطونيوس : أطلب التوبة في كل لحظة

وقال القديس باسيليوس الكبير :" جيد ألا تخطئ . وإن اخطأت ، فيجد ألا تؤخر التوبه . وإن تبت ، فيجد ألا تعود إلي الخطية . وإن لم تعد ، فجيد أن تعرف أن هذا بمعونه من الله . وغن عرفت فجيد ان تشكره علي ما أنت فيه ". وقال مار اسحق :" في كل وقت من هذه الأربع و العشرين ساعه من اليوم ، نحن محتاجون إلي التوبة ". وقال أيضاً " كل يوم لا تجلس فيه ساعة بينك وبين نفسك ، وتتفكر بأي الأشياء أخطأت ، وبأي أمر سقطت ، وتقوم ذاتك فيه ... لا تحسبه من عدد ايام حياتك ". إن الدعوة إلي التوبه لازمه للكل . ومما يستلفت النظر :

إن الدعوة للتوبة ، وجهت حتي إلي ملائكة الكنائس السبع .، فالرب يقول لملاك كنيسة أفسس " أذكر من أين سقطت وتب "(رؤ ٢: ٥) وكلمه " تب " يقولها أيضاً لملاك كنيسة برجامس (رؤ ٢: ١٦) وملاك كنيسة ساردس (رؤ ٣ : ٣) ، ولملاك كنيسة لاودكية (رؤ ٣: ١٩) . وقد أرسل الله ناثان النبي لينادي بالتوبة إلي داود النبي مسيح الرب ...

أن دعوة الله بالتوبة تحمل شعور الإشفاق علي أولادة .

فهو يريد الذين ضلوا أن يرجعوا إليه ، ليكون لهم نصيب في الملكوت وفي ميراث القديسين ، وفي شركة الكنيسة . لأن السلوك الخاطئ يمنع شركتنا بالله (١ يو ١: ٦) ، ويمنع شركتنا مع بعضنا البعض " ولكن إن سلكنا في النور ، كما هو في النور ، فلنا شركة مع بعضنا البعض . ودم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطية "(١ يو ١: ٧) .

والله يقبل التائبين . وأمثلة ذلك كثيرة في الكتاب :

لقد قبل الإبن الضال في سوء حالته (لو ١٥) . وقبل المرأة السامرية التي كان لها أكثر من خمسة ازواج (يو ٤) . وقبل اللص اليمين علي الصليب (لو ٢٣ : ٤٣) . وصلي من اجل صالبيه لتغفر لهم خطيتهم (لو ٢٣ : ٣٤) . وصلي من أجل صالبيه لتغفر لهم خطيتهم (لو ٢٣ : ٣٤) . وقيل زكا رئيس العشارين (لو ١٩ : ٩) . ومنحه الخلاص صالبيه لتغفر لهم خطيتهم (لو ٢٣ : ٣٤) . وقبل متي العشار وجعله رسولاً من الأثني عشر (متي ١٠ : ٣) . ويكفي قوله :
من يقبل إلي ، لا أخرجه خارجاً (يو ٦: ٣٧) . بل أكثر من هذا ، ان الرب هو الذي يقف علي الباب ويقرع منتظرا من يفتح له (رؤ ٣: ٢٠) . فإن كان يفعل هذا ، فبالحري يفتح لمن يقرع أبواب رحمته الإلهية .
ومن جهة مراحم الرب علي الخطاة ، صدق من قال :
إن مراحم الرب اقوي من كل دنس الخطية .
إن أبشع الخطايا واكثرها – بالنسبة إلي مراحم الله – كأنها قطعه طين قد ألقيتها في المحيط ... انها لا تعكر المحيط ، بل يأخذها ويفرشها في أعماقه ، ويقدم لك ماء رائقاً . وقبول الله للتوبة ، إنما يكشف عن اعماق محبته الإلهية .
لذلك لا نستكثر خطيتنا علي فاعليه دمه ....
ولا نستكثرها علي عظم محبته وعظم رحمته . وقد قال احد الشيوخ القديسين : لا توجد خطية تغلب محبة الله للبشر . إنه هو الذي يبرر الفاجر (رو ٤: ٥) . أقول هذا حتي لا ييأس الخطاه إذا نظروا إلي خطاياهم .

لا تيأس

في هذه النقطة أتذكر خطاباً وصلني من أحد الشبان منذ ٢٢ عاماً. قرأته فتأثرت كثيراً ، لدرجة أنني بكيت ... ثم أرسلت له رداً ، أذكر أنني قلت له في مقدمته " وصلني خطاباك يا أخي المحبوب ، ويخيل إلي أنني قرأته مراراً قبل أن أراه ... إنه صورة حياة أعرفها ، وقصة قلوب كثيرة ..." . نعم ، إنها حرب تتعب كثيرين . أفكارها معروفه ، تتكرر في اعترافات الناس وفي اسلئتهم الروحية . وسنحاول أن نتناول هنا كل فكر منها ، لنرد عليه .

١- الشكوي الأولي : أنا يئست . لا فائده مني .

إعلم يا أخي أن كل أفكار اليأس هي محاربة من الشيطان . إنه يريدك أن تيأس من التوبة ، سواء من إمكانيتها أو من قبولها ، حتي تشعر أنه لا فائده من الجهاد ، فتستلم للخطية ، وتستمر فيها وتهلك نفسك .. فلا تسمع للشيطان في شئ مما يقوله لك . وكلما تحاربك فكرة من أفكار اليأس ، رد عليها بقول ميخا النبي :

لا تشمتي بي يا عدوتي ، فإن إن سقطت أقوم (مي ٧: ٨) .

وأعلم إن اليأس يقود إلي الإندماج في الخطية بالأكثر ، فيتدرج الخاطئ من سئ إلي أسوأ . وربما في اليأس يحاربة الشيطان بأن يبعد عن أب اعترافه ، وعن كل إرشاد روحي وعن الكنيسة كلها ... لكي ينفرد به بلا معونه !! إن حرب اليأس حورب بها الأنبياء و القديسون . فقال داود النبي :

كثيرون يقولون لنفسي : ليس له خلاص بإلهه (مز ٣) .

ولكنه يرد علي هذا فيقول " أنت يارب هو ناصري ، مجدي ورافع رأسي .." إن داود لم ييأس من سقطته ، بل بكي عليها وتاب . ورده الله إلي رتبته الأولي . بل كان الله يفعل خيرات كثيرة مع عديدين ، وهو يقول " من أجل داود عبدي "(١مل ١١: ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦) .فلا تيأس إذن ، وتذكر الذين تابوا من قبل ...

وإن كنت قد يئست من نفسك ، فإن الله لم ييأس من خلاصك .

لقد خلص كثيرين ، وليست انت اصعب منهم جميعاً . وحيث تعمل النعمه فلا مجال لليأس . تقدم إذن إلي التوبه بقلب شجاع ، ولا تصغر نفسك .

٢-يقول : كيف اتوب ، وانا عاجز تماماً عن القيام من سقطتي ؟

لا تخف . الله هو الذي سيحارب عنك . والحرب للرب (١ صم ١٧ : ٤٧) . ولا تهتم مقاومتك ، ضعيفه أم قوية . فالله قادر أن يخلص بالكثير أو بالقليل ...إن الله أقوي من الشيطان الذي يحاربك ، وسيطرده عنك . فلا تنظر إذن إلي قوتك ، إنما إلي قوة الله .

واصرخ وقل : توبني يارب فأتوب (أر ٣١ : ١٨) .

وإن كنت عاجزاً عن أن تقيم نفسك ، فالرب قادر أن يقيمك . إنه هو الذي " يقيم الساقطين ، ويحل المقيدين " (مز ١٤٥) ،" رجاء من ليس له رجاء ومعين من ليس له معين ". كن كالجريح الذي كان ملقي علي الطريق بين حي وميت عاجزاً عن ان يقوم . ولكن السامري الصالح أتاه وأقامه (لو ١٠ : ٣٠) ... او كن كالموتي الذين أقامهم الرب ، ولا قدرة لهم ولا حياة .

٣-تقول : حالتي رديئة جداً ، وفاقده الأمل ...

أتراها فاقده الأمل ، أكثر من العاقر التي لها الرب " ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد ..." (أش ٥٤: ١) . وأعطاها اكثر من ذات البنين ؟! إن حالتك قد تكون فاقدة الأمل من وجهة نظرك أنت . اما الله فله رجاء فيك . لا تجعل أملك إذن في نوعية حالتك ، إنما في غني الله الذي يعطي بسخاء ، وفي حبه وفي قدرته .

٤-تقول : ولكنني لا أريد التوبه ، ولا أسعي إليها .

طبعاً ، هذا أسوأ ما في حالتك . ومع ذلك فلا تيأس . ويكفي ان الله يسعي لخلاصك . وهو يريد لك ان تخلص . وصلوات قديسين كثيرين ترفع من أجلك مع تشفعات ملائكة . والله قادر أن يجعلك تريد هذه التوبه . وتذكر قول الرسول " لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل المسرة "(فـي ٢: ١٣) . صل وقل : أعطني يارب الرغبة في أن أتوب ... أن الخروف الضال لم يبحث كيـف يرجـع ، ولكن صاحبه بحث عنه وأرجعه إليه . وكذلك كان الحال مع الدرهم المفقود (لو ١٥) .

٥-تقول : هل من المعقول ان أعيش طول عمري بعيداً عن الخطية ، بينما قلبي يحبها ؟! لو تبت عنها سأرجع إليها !

إن المغالطة التي يلقيك بها الشيطان في اليأس ، هي انك ستعيش في التوبه بنفس هذا القلـب الـذي يحب الخطية ! كلا ، فسيعطيك الرب قلباً جديداً (حز ٣٦ : ٢٦) . وسينزع منـك محبـة الخطيـة . وحينئذ لن تفكر أن ترجع إليها . بل علي العكس ، إن الله سيجعلك في توبتك تكره الخطية و تشـمئز منها. شعورك الحالي سيتغير ...

٦-تقول : حتي إن تبت ، ستبقي أفكاري ملوثه بصور قديمه .

لا تخف . ففي التوبه سينقي الله فكرك . وتصل إلي تجديد الذهن " الذي قال عنه الرسول (رو ١٢ : ٢) ... كم كانت الصورة الرديئة التي في ذاكره أوغسطينوس ، وفي ذاكره مريم القبطية ! ولكن الرب محاها ، ليتقدس الفكر بمحبته ... وثق أن الذين عادوا للتوبه ، كانوا في حالة أقوي . بل كثير مـنهم منحهم الرب مواهب ومعجزات مثل يعقوب المجاهد ، ومريم إبنه أخـي إبـراهيم المتوحـد ، ومـريم القبطية ... و التائب محبته أكثر ، كالخاطئة التي أحبت كثيراً ، لأنه غفر لها الكثير (لـو ٧: ٤٧) . وداود في توبته كان أعمق حباً واتضاعاً .

٧-تقول : وهل يغفر الرب لي ؟ وهل يقبلني ؟

إطمئن ، فإنه يقول " من يقبل إلي لا أخرجه خارجاً "(يو ٦: ٣٧) . وقد قال داود النبي " لم يصـنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا ... كبعد المشرق عن المغرب ، أبعد عنا معاصينا . لأنه يعرف جبلتنا ،يذكرنا أننا تراب نحن "(مز ١٠٣) .

إنه لا يقبلنا فقط ، بل يغسلنا فنبيض أكثر من الثلج (مز ٥٠) . ولا يعود يذكر لنا خطايانا (أر ٣١ : ٣٤ ، حز ٣٣: ١٦ ، عب ٨: ١٢) . تذكر أن نفسك غالبيه عند الرب من اجلها تجسد وصلب .

٨-تقول : ولكن خطاياي بشعه جداً ...

أجيبك بقول الكتاب " كل خطية وكل تجديف يغفر للناس "(متي ١٢ : ٣١) . حتي الذين تركوا الإيمان ورجعوا إليه ، غفر لهم . وكذلك الذين وقعوا في بدع وهرطقات وتابوا ، غفرت لهم . وبطرس الـذي انكر المسيح وسب ولعن وقال لا اعرف الرجل ، غفر له . وليس هذا فقط ، بـل أعيـد إلـي درجـه الرسولية و الرعاية . حتي الذين كانوا في موضع القدوة ، مثل هرون رئيس الكهنة الذي اشترك مـع بني اسرائيل في صنع العجل الذهبي ليعبدوه (خر ٣٢ : ٢-٥)، لما تاب غفرت له . وهوشع الكاهن العظيم ، انتهر الرب من أجله الشيطان ، وألبسه ثيباً جديدة (زك ٣: ١-٤) .

٩- تقول : ولكني تاخرت كثيراً . فهل هناك فرصة ؟

هكذا قال أوغسطينوس في اعترافاته " تاخرت كثيراً في حبك " . والرب قبله إنه قبل أصحاب السـاعة الحادية عشرة وكافأهم بنفس المكافأة (متي ٢٠: ٩) . وقد قبل اللص اليمين علي الصليب ، في آخر ساعات حياته . وطالما نحن في الجسد ، هناك فرصة للتوبه . لذلك نقول في صلاة النوم " تـوبي يـا نفسي مادمت في الأرض ساكنه .." . لأن الرجاء في التوبة لا يتبدد إلا في الهاوية ، حيث قال أبونـا إبراهيم للغني " بيننا وبينكم هوة عظيمة "(لو ١٦ : ٢٦) . فما دمت في الجسد ، امامك فرصة للتوبة ، فانتهزها .

١٠- تقول أخشي أن تكون خطيتي تجديفاً علي الروح القدس . أقول لك إن التجديف علي الروح القد س، هو الرفض الكامل الدائم مدي الحياة لكل عمل للروح القدس في القلب ، فلا تكون توبة ، وبالتالي لا تكون مغفرة . ولكن إذا تبت ، تكون قد استجبت لعمل الروح فيك . ولا تكون قد استجبت لعمل الروح فيك . ولا تكون خطيتك تجديفاً علي الروح

التوبة بين الجهاد و النعمة

إن كلامنا عن عمل الله في التوبه ، ومعونه النعمة ، لا تعني أن يتكاسل الإنسان ويتراخي ، منتظراً أن الله يقيمه ، فهوذا الرسول يوبخ امثال هؤلاء قائلاً :

لم تقاوموا بعد حتي الدم ، مجاهدين ضد الخطية (عب ١٢: ٤) . إذن من المفروض أن يقاوم الإنسان حتي الدم كل أفكار الخطية ، وكل شهواتها ، وكل طرقها . ويبعد عن العثرات ، ويستخدم كل الوسائط الروحية التي تثبت محبه الله في قلبه . وأيضاً ...

يدخل في حرب روحية ، ضد أجناد الشر (أف ٦) . وفي هذه الحرب يقاتل ويصمد للعدو ، ويلبس سلاح الله الكامل لكي يقدر أن يثبت ضد مكايد إبليس (أف ٦: ١١) . ويكون في كل ذلك ساهراً علي خلاص نفسه (أف ٦: ١٨) فالرسول يقول : إصحوا وأسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر .

فقاوموه راسخين في الإيمان (١ بط ٥: ٨، ٩). إن الله يريد منك أن تقاوم ... وفي مقاومتك سوف تسندك النعمة بكل قوة . ولكن إظهر محبتك لله بمقاومتك الخطية . وصل ليعطيك الرب قوة علي مقاومتها . وهكذا تشترك مع الله في العمل .
الأبن الضال لم ينتظر حتي يأتيه الآب في الكورة البعيدة ليأخذه منها ، إنما رجع إلي نفسه ، وشعر بسوء حالته ، وعرف الحل ، ونفذ ، ورجع إلي الآب فقبله (لو ١٥). وأهل نينوي صاموا ، وتذللوا ، وجلسوا علي الرماد ، وصرخوا غلي الله بشده ورجعوا عن افعالهم ، فقبلهم الله إليه (يون ٣) . والله . لكي ينبهنا إلي واجبنا في التوبه ،ي قول :

" أرجعوا إلي ، فأرجع إليكم "(ملا ٣: ٧) .
ويقول علي لسان أشعياء النبي " إغتسلوا ، تنقوا ، إعزلوا شر أفعالكم ... وهلم نتحاجج يقول الرب .." (أش ١: ٦) . ويقول في سفر يوئيل النبي " إرجعوا إلي بكل قلوبكم ، وبالصوم و البكاء و النوح . ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم ..." (يوء ٢: ١٢، ١٣) .

إذن هناك واجب علي الإنسان يقوم به في عمل التوبه .
ولا يكتفي بأن نفسه عند قدمي الرب ، دون جهاد في الداخل و الخارج ! أو كما يقول البعض " عملك الوحيد هو مجرد تقبل عمل النعمة فيك " ! هل هذا الرأي يتفق مع توبيخ الرسول " لم تقاوموا بعد حتي الدم ، مجاهدين ضد الخطية (عب ١٢ ، ٤) ؟! إذن فلنجاهد . ولكن لا نعتمد علي أنفسنا ، بل نطلب يد الله العامله معنا وبجهادنا نثبت رغبتنا في التوبه ، وجدية توبتنا .

أهمية التوبة ...

أهم ما في التوبه ، أنه بدونها لا يتم الخلاص .
يقول الرب " ان لم يتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون "(لو ١٣: ٣) . وقد " أعطي الله الأمم التوبة للحياة "(أع ١١: ١٨) . وقد يقول البعض أن السيد المسيح قدم لنا دمه للخلاص و المغفرة . فما لزوم التوبة إذن ؟ ألا يكفي دم المسيح ؟ فنجيبه :

إن التوبة هي التي تنقل إستحقاقات دم المسيح في المغفرة .

فالخلاص مقدم للكل . ودم المسيح كاف للكل . ولكن لا ينال منه إلا التائبون . حقاً إن دم المسيح " يطهرنا من كل خطية "... ولكنه لا يطهرنا إلا من كل خطية نتوب عنها . وقد اشترط الرسول هذا التطهير أمرين وهما " إن سلكنا في النور "(١ يو ١: ٧) ، وأيضاً " إن اعترفنا بخطايانا "(١ يو ١: ٩) . وهذان الشرطان متعلقان بحياة التوبة ...

ولذلك فالتوبة تسبق المعمودية ، إذ فيها مغفرة الخطايا .

وفي هذا قال بطرس الرسول لليهود يوم الخمسين " توبوا وليعتمد كل منكم علي إسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا "(أع ٢: ٣٨) . والكنيسة في معمودية الكبار تشترط الإيمان و الإعتراف . وقوانين الكنيسة تمنع عماد غير التائبين . اما بالنسبة للصغار ، فيكتفي بطقس (جحد الشيطان) لينوب عن التوبه .

ومن أهمية التوبه ، إنها تلازم الإيمان او تسبقة .

وقال القديس مرقس الإنجيلي أن السيد المسيح كان يكرز قائلاً " قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل "(مر ١: ١٥) . والإيمان بدون توبه لا يخلص أحداً ، لأن عدم التوبة يهلك الإنسان (لو ١٣ : ٣) . و التوبة تسبق التناول من الأسرار المقدسة .

ففي العهد القديم قال صموئيل النبي " تقدسوا وتعالوا معي إلي الذبيحة " (١ صم ١٦ : ٥) . وفي العهد الجديد يقول القديس بولس الرسول "... ليمتحن الإنسان نفسه ، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق ، يأكل ويشرب دينونة لنفسه ، غير مميز جسد الرب ... لأننا لو حكمنا علي انفسنا ، لما حكم علينا "(١ كو ١١: ٢٧- ٣١) .

و التوبة تسبق جميع أسرار الكنيسة المقدسة .

وذلك لكي يستحق الإنسان فاعليه الروح القدس فيه . ولكي ينال مغفرة بالتوبة ، تؤهله لنعمة الروح القدس العاملة في الأسرار .

إن توبة الأبن الضال ، سبقت دخوله بيت ابيه (لو ١٥) .

و التوبة هي شرط لازم لمغفرة الخطايا .

وفي ذلك يقول القديس بطرس الرسول " فتوبوا وارجعوا لتمحي خطاياكم "(أع ٣: ١٩) . وما أجمل قول ماراسحق " ليست خطية بلا مغفرة إلا التي بلا توبة ". التوبة إذن لازمه قبل وبعد المعمودية . قبل المعمودية لتؤهل لنوالها . وبعد المعمودية لمغفرة الخطايا التي تحدث بعد المعمودية .

عوائق التوبة ..

لا يوجد شئ يحاربة الشيطان أكثر من التوبة ...

ذلك لأنها تضيع كل تعبه السابق . لذلك تبدو احياناً صعبه علي البعض . لأنه حينما يريد الإنسان أن يتوب ، يضع الشيطان أمامه كل ما يمكن من العثرات و العراقيل التي تمنع او تعطل توبته ومنها :

١- **العثرات** ، سواء كانت إغراءات أو فرصاً لم تكن متاحه من قبل ، حتي نضعف أمامها الإدارة . ويمكن أن تكون البيئه إحدي العوائق التي تعطل التوبه بما تقدمها من عثرات ومن مفاهيم خاطئة .

٢- **مقارنه الخاطئ نفسه بمستويات ضعيفة .**

يظن مع هذه المستويات أنه في حاله حسنة لا تحتاج إلي توبه ، أو تقف أمامه الأعذار ، كأن يقول " كل الناس هكذا ...هل أشذ عن الكل ؟!" . طبعاً ليس عذراً أن تكون الغالبيه مخطئة . فقد كان نوح

محتفظاً ببره في عالم كله شر . وكذلك كان يوسف الصديق وموسي النبي في أرض مصر ، ولوط في سدوم .

٣- ضعف الشخصية ، بحيث يمكن أن تنقاد للوسط المحيط .

و المفروض أن تكون للإنسان شخصيته الثابته التي لا تنجرف مع الإتجاه العام . إن سمكه صغيره يمكن أن تقاوم التيار وتسير عكسه ، لأن فيها حياة . بينما كتله ضخمه من الخشب – قدر هذه السمكه مئات المرات – يمكن أن يجرفها التيار ، لأنه لا إراده لها . فكن قوي الشخصية ، لمكنك أن تتوب . والرسول يقول " لا تشاكلوا هذا الدهر "(رو ١٢ : ٢) .

٤- التأجيل :

إن الشيطان لا يحاربك حرباً مكشوفة بالإمتناع عن التوبه ، بل يدعوك إلي التأجيل بتقديم إغراءات معينه .

و للتأجيل خطورات منها : إن فرض التوبه قد تفلت . وكذلك فإن الخطية كلما استمرت ، تأخذ سلطاناً وتثبت أقدامها . وربما بالتأجيل مجرد الرغبة في التوبة لا توجبد و التأثيرات الروحية التي تدفع إليها قد تفقد مفعولها .

٥- اليأس : و الشعور بأن التوبة صعبة وغير ممكنه . وكما يقول يوحنا الدرجي : إن الشياطين – قبل السقطه – يقولون لك إن الله رؤوف ورحيم . اما بعد السقطه فيقولون إنه ديان عادل ، ويخوفونك لتيأس من مغفرة الله فلا تتوب . وقد تحدثنا في الصفحات السابقة عن عائق اليأس وعلاجه .

٦- البر الذاتي ، الذي فيه لا يشعر الإنسان إنه مخطئ .

التوبه هي تغيير حياة . و الذي حياته جميله في عينية ، كيف يغيرها ؟! إنه إن لم يشعر بسوء حالته ، فلا يمكن أن يتوب ويغير حياته .

كذلك لا يتوب ، من لا يبكت نفسه ، ومن يرفض تبكيت الآخرين . ومن يظن أنه دائماً علي حق ، وأن عبارات (توبوا ، وارجعوا) هي موجهه إلي غيره . وكذلك من يترك أذنيه لسماع كلام المديح ويصدقه ، ومن يفسر وصايا الله حسب هواه ، ويرفض أن يتبكت ضميرة بسببها .

التوبة سهله للمتواضعين . وصعبه علي الأبرار في أعين أنفسهم .

إنها سهله للعشار المنسحق الشاعر بخطاياه ، وصعبه علي الفريسي الذي يفتخر في صلاته قائلاً : اشكرك يارب إني لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناه ... التوبة سهله للمرأة الخاطئة التي بللت قدمي المسيح بدموعها . وصعبه علي سمعان الفريسي الذي ظن انه ليس خاطئاً مثلها . ولذلك حسناً أن الرب أظهر له إنه هو وهي مديونان . ولكنه ليس له نفس حبها ، إذ يري دينه أقل بكثير (لو ٧) . التوبة سهلة علي الذين يعرفون أنهم خطاه ، ويعترفون أنهم خطاة . أما الأبرار في أعين أنفسهم ، فعلي أي شئ يتوبون ؟! مادام لا يعترفون بأنهم أخطأوا في شئ ! حقاً : لا يحتاج (الأصحاء) إلي طبيب ، أي الذين يظنون في أنفسهم أنهم أصحاء ...!

هؤلاء ، حتي أن جابهم أحد بخطية ، أما أن ينكروها ، او يفسرها تفسيراً ملتوياً ، أو يحملوا مسئوليته علي غيرهم ، أو يجادلوا و يبرروا أنفسهم ... ولكنهم لا يعترفون بخطأ ، وبالتالي لا يتوبون ... **ربما الذين يقفون أمام الناس كقدوة لهم ، من الصعب أن يقولوا إنهم محتاجون إلي توبة** . ليت هؤلاء يكونون أيضاً قدوه للناس في الأعتراف بالخطأ وبالإحتياج إلي توبه . لذلك نقول إن التوبه قد تكون سهله للموعوظ ، وصعبه علي الواعظ و الخادم و المرشد ومن في مستواهم .

٧- من عوائق التوبه أيضاً عدم وجود مخافة الله في القلب . وكما قال ماراسحق : حيث لا توجد المخافة ، لا توجد التوبة أيضاً . البعض ينفرون من المخافة باسم المحبة . ولبعدهم عن المخافة يقعون في اللامبالاة ، ويسقطون في خطايا . وبهذه الخطايا يبرهنون علي أنه ليست لهم المحبة

التي تطرح المخافه إلي الخارج (١ يو ٤ : ١٨) . مخافه الله تشعر الأنسان بخطايا ه ، فتدفعه إلي التوبه ...وسنقدم لك عنها كتاباً خاصاً إن شاء الله .

التوبة و الكنيسة

الكنيسة لها عمل كبير في توبه كل إنسان : يدخل في نطاقه عمل التعليم والإرشاد ، وعمل الرعاية والإفتقاد ، ونقل اعمال الروح القدس وعطاياه من أجل خلاص كل أحد ، ونقل استحقاقات الدم الكريم .

فالكنيسة هي التي تدعو الخطاة إلي التوبه . هي التي تقوم بما أسماه القديس بولس الرسول " خدمة المصالحة " و " كلمة المصالحة " تنادي الخطاة لأن " تصالحوا مع الله "(٢ كو ٥: ١٨ – ٢٠) . وذلك عن طريق الوعظ و التعليم ، وتقدم كلمة الله للناس ...
وربما لولا عمل الكنيسة هذا ما تاب أحد .

و الكنيسة إلي التوبة في كل ما تقوم به من أعمال الرعاية .
بزيارة الناس ،ــ وحل مشاكلهم بكل أنواعها ، الروحية والإجتماعية ... كأب حنان يهتم بأولاده ، ويقربهم إلي أبواه الله .

و الكنيسة هي الوسط الروحي الذي يساعد علي حياة التوبة .
بعيداً عن أوساط العالم المملوءة بالعثرات ، بحيث أن كل من يتوب يجد الكنيسة البيئة الصالحة التي فيها حياة روحية . وربما لولا الكنيسة ، لكن كل شعور روحي ينبت في الإنسان تختنقه اشواك العالم فيذبل ويجف .

و الكنيسة تقدم للتائب سر الإعتراف وتمنحه الحل و المغفرة .
وفي سر الاعتراف يشرح التائب كل ما في قلبه ، وتستريح نفسه من أسراره المكتوبة ، ويقدم إلي الله كل ضعفاته وسقطاته في سمع الكاهن ، لينال عنه حلاً من الله ، من فم الكاهن .
وذلك بحكم السلطان الذي قال فيه الرب " من غفرتم له خطاياه ، غفرت له ومن أمسكتموها عليه أمسكت "(يو ٢٠ : ٢٣) . وأيضاً بحكم قوله " كل ما تحلونه علي الأرض يكون محلولاً في السماء . وكل ما تربطونه علي الأرض يكون مربوطاً في السماء " (متي ١٨ : ١٨) .

وهكذا يخرج التائب من أعترافه وقد استراح ضميرة .
إذ يكون قد سمع كلمه الحل و المغفرة من وكيل الله له سلطان أن يقولها حسب السلطان المعطي له من الله . وهكذا يملك السلام علي قلبه ، ويبدأ بدءاً جديداً

والكنيسة في سر الاعتراف تعطي الأرشاد الروحي .
حسبما قال الكتاب إنه من فم الكاهن تطلب الشريعه (حج ٢: ١١) ، وهكذا يشرح الأب لأبنه في الأعتراف الطريق الروحي السليم الذي يسير فيه ، لأنه لا يوجد أحد يستغني عن المشوره و الكتاب يقول " هناك طريق تبدو للأنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت (أم ١٤: ١٢) ، كما يقول " علي فهمك لا تعتمد (ام ٣: ٥) .

وفي الكنيسة يجد التائب القلب الذي يأتمنه علي أسراره .
فالأسرار الشخصية الخاصة بحياة الإنسان الروحية ، والتي تشمل سقطاته و ضعفاته ، لا يستطيع أن يأتمن عليها كل أحد . وربما لا يستطيع كتمانها تماماً لأن هذا الكبت قد يتعبه . ولكن عند الأب الكاهن يجد ضمان السرية ، ويجد الحلول اليد المخلصه التي يقوده في حب وفي اخلاص .

و الكنيسة تقدم للتائب كل بركات سر الأفخارستيا .

هذا السر العظيم الذي قال عنه الرب " من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه " و " يحيا بي "(يو ٦: ٥٦ ، ٥٧) . وخارج الكنيسة لا يجد بركة هذا السر العظيم الذي يعنية في توبته ، ويغذيه روحياً ، والذي " يعطي عنا خلاصاً ، وغفراناً للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه "(يو ٦: ٥٤) . ولكن لعل إنساناً يقول : مادامت التوبة تؤدي إلي المغفرة ، فما حاجتي إلي الكنيسة ، وإلي الإعتراف و التناول و التناول و التحليل ؟ فنجيبه :

بالتوبه تستحق المغفرة وبالأعتراف و تناولها .

وفرق بين استحقاق المغفرة ونوال النعمة .

كما أن التوبة تشمل في داخلها الإعتراف ايضاً . والتحليل جزء من سر التوبة و التناول امتداد لفاعليه ذبيحة المسيح .

يقول : إن تبت ومت قبل قراءة التحليل ، فما مصيري ؟ أن مت هكذا يرحمك الله . والتحاليل ، فما مصيري ؟ إن مت هكذا يرحمك الله . و التحليل يقرأ عليك في صلاة الجناز .

الباب الثاني

دوافع التوبة

الفصل الأول : إن عرفت من أنت ، تسمو عن الخطية
الفصل الثاني : إن عرفت ما هي الخطية تهرب من الخطية ..
الفصل الثالث : أن عرفت نتائج الخطية ، نتنفر من الخطية ..
الفصل الرابع : إن عرفت عقوبة الخطية ، تخاف من الخطية ..
الفصل الخامس : دوافع أخري للتوبة

الفصل الأول

نريد أن نجعل توبتنا مبنيه علي أساس سليم ، وعلي فهم صحيح للحياة الروحية و العلاقة مع الله . وأهم دافع لنا إلي التوبة هو ان نعرف قيمة أنفسنا ، أن يعرف الواحد منا مقدار نفسه ، ومن يكون ... فأعرف يا أخي نفسك : من أنت :

إن عرفت من انت

تسمو عن الخطية

فلو عرفت المقدار العظيم الذي لك ، والمركز الكبير الذي تشغله ، لكنت تربأ بنفسك السامية ان تنزل إلـــي مستوي الخطية . وهكذا لا يمكن أن تسقط ... فمن أنت ؟

أنت يا أخي لست حفنه من تراب كما يظن البعض ... انت نفخة قدسية خرجت من فم الله وحلت في التراب . وهكذا صرت " نفساً حية "(تك ٢: ٧) . و لست مجرد تراب أو طين ... يليق بك إذن أن تغني في فرح وتقول :

مـــا أنا طين ولكن أنا في الطين سكنت
لست طيناً انا روح من فـــم الله خرجت
وسأمضي راجعاً لله أحـــيا حـــيث كـــنت

إن وجودك في هذا التراب – أيها الأخ المبارك – هو مجرد فتره غربه قصيرة ترجـــع بعـــدها إلـــي الله ، وتثبت فيه إلي الأبد . فإعرف غربتك ، وعش كروح ، تسمو عن المادة و العالم وأعمال الجسد ...

أنت إبن الله . أنت صورته ومثاله

أنت – يا أخي – صورة الله . فهكذا قال الكتاب في قصة الخلق " وقال الله نعمل الإنسان علي صورتنا كشبهنا ... فخلق الله الإنسان علي صورته . علي صورة الله خلقه "(تك ١: ٢٦، ٢٧) . فإذا كنت أنت صورة الله وشبهه ، فكيف تخطئ ؟! هل إذا تدنست بالخطية تظل محتفظاً بصورتك الإلهية ؟! كلا ، طبعاً .

إذ لا يمكن أن يراك إنسان في النجاسة و السقوط ويقول " هذا صورة الله " ! ... لذلك فإن القديس أثناسيوس الرسولي في كتابه " تجسد الكلمة "، يقرر أن الإنسان عندما سقط ، تشوه ، وفقد صورته الإلهية . وأتي السيد المسيح ليعيد إلينا صورتنا الأصليه ... لو عرفت أيها الأخ صورة الله لا يمكن ان تخطئ ...

ولو عرفت أنك إبن الله ، فلن تخطئ كذلك ، لأن الإبن يجب أن يشبه أباه ...

ما أسهل أن نفتخر افتخاراً باطلاً ونقول إننا أولاد الله ، وأعمالنا لا تدل علي ذلك ... كما كان اليهود يفتخرون باطلاً بأنهم أولاد إبراهيم ، وأخجل الرب كبرياءهم بقوله " لو كنتم أولاد ابراهيم ، لكنتم تعملون أعمال أبراهيم "(يو ٨: ٣٩). فإن كان أولاد ابراهيم يجب أن يعلموا أعمال ابراهيم ،فكم يجب أن يكون أولاد الله الذين علي صورته ومثاله ؟ ...

هل نحن كأولاد لله ، حتي ندعي أولادة ؟

ما أسهل أن نخاطب الله في صلواتنا قائلين " أبانا الذي في السموات " ، ونحن لا نسلك كبنين لذلك الأب السماوي !! تذكر يا أخي باستمرار أنك إبن الله ، واسلك في حياة البر حتي تستحق أن تدعي إبناً لذلك البار ، واضعاً أمام عينيك قول الكتاب " إن علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه "(١ يو ٢: ٢٩). فاعلموا ان كل من يصنع البر مولود منه "(١ يو ٢: ٢٩) . إذن إن كنت لا تصنع البر ، فلست تستحق أن تدعي إبناً لله ...أخاف أن تكون عبارة " أولاد الله " سبب تبكيت لنا ، ههنا وفي اليوم الأخير ... من أجل هذا يشرح لنا القديس يوحنا الرسول هذا الأمر فيقول " ايها الأولاد ، لا يضلكم أحد . من يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار . من يفعل الخطية فهو من إبليس من البدء يخطئ "(١ يو ٣: ٧، ٨) ، أي أن من يفعل الخطية ، هو إبن للشيطان ، هو من إبليس وليس من اله ... يا للهول ! ثم يسجل لنا الرسول قاعدة جوهرية يقول فيها :

" كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطية ، لأن زرعة يثبت فيه . ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله "(١ يو ٣: ٩) . بهذا المقياس يمكنك أن تقيس أيها الأخ نفسك عندما تقول إنك إبن الله وهكذا فإن الرسول يختم كلامه بقوله " بهذا أولاد الله ظاهرون ، واولاد إبليس (ظاهرون)..." (١ يو ٣ : ١٠) .
إن شعورك بأنك إبن لله ، يذكرك بالطبيعه السامية التي وضعها الله فيك ، والتي عناها الرسول ، بقوله عن المولود من الله أن " زرعه يثبت فيه ". لذلك قال أيضاً " المولود من الله يحفظ نفسه ، والشرير لا يمسه "(١ يو ٥: ١٨) .

ففي كل مرة تخطئ ، ينبغي أن تنسحق في أعماقك ، شاعراً انك غير مستحق للقلب إبن الله .

لذلك فإن الكنيسة المقدسة تجعل المصلي يقول للرب كل يوم في صلاة الغروب " أخطأت إلي السموات و قدامك ، ولست مستحقاً أن أدعي لك إبناً " . ولماذا " لست مستحقاً إن أدعي لك إبناً "؟ ... لأني أخطأت ، والمولود من الله لا يخطئ ...

لابد أن نفهم جيداً المعني العملي لبنوتنا لله ... ندخل إلي أعماق هذا اللقب . ونسأل أنفسنا في كل عمل نعمله ، وفي كل كلمه نقولها ، وفي كل فكر نرضي به ... هل نحن نعمل ونتكلم ونفكر ، كما يليق بأولاد الله ؟... إن بنوتنا لله ليست مجرد لقب . وإنما يجب أن نسلك بما تتطلبه هذه البنوة من مشابهة الإبن لأبية ...

إن " الله روح " (يو ٤: ٢٤) . " و المولود من الروح هو روح (يو ٣: ٦). فإن كنت أيها الأخ إنساناً جسدانياً ، تسلك حسب الجسد وليس حسب الروح ، فكيف تكون إبناً لله الذي هو روح ؟ ! وكيف تكون مولوداً من الروح ؟ ...
إن الذي يعيش في الخطية ، لا يستطيع مطلقاً أن يقول إنه إبن الله ، بل لا يستطيع أن يدعي أنه يعرف الله ، مجرد معرفه ... وهذا يوضحه الرسول في عبارته المخيفة التي يقول فيها :

" كل من خطئ ، لم يبصره ولا عرفه "(١ يو ٣: ٦) ... لأنه " من قال قد عرفته – وهو لا يحفظ وصاياه – فهو كاذب وليس الحق فيه "(١ يو ٢: ٤) هل في حياة الخطية يمكنك ان تقول : أنا أعرف الله ؟! كلا ، إنه يجيبك ويقول : إذهب عني ، لا أنا اعرفك ، ولا انت تعرفني ...
لذلك يا أخي ، إن تذكرت انك إبن الله ، فينبغي ان تسلك كما يليق بالدعوة التي دعيت إليها (أف ٤: ١) . أسلك مثله ، في طريقة " كما سلك ذاك تسلك أنت أيضاً " (١ يو ٢: ٦) . كما عاش المسيح علي الأرض ، تعيش أنت ... في ملء القداسة ، في ملء الطهارة في ملء البركه ... لأنه ترك لك مثالاً تحتذيه (يو ١٣ : ١٥) أما أن عشت في الخطية ، فتأكد في أعماقك انك لا تستحق البنه لله ، لأن صورة أولاد الله ليست هكذا ...

وفي كل مرة تقول له " أبانا الذي في السموات " ، ينبغي أن يوبخك ضميرك ، وتنسحق في داخلك ، وتقول له : إن كان من تواضعك يارب من محبتك ، قد دعوتني إبناً لك ... إلا أنني بأعمالي برهنت علي أنني لا أستحق أن أدعي لك إبناً ... إجعلني كأحد اجرائك ... إن أبوتك لي – وإن كانت تشرفني جداً – إلا أنها تستحقني سحقاً ، وتشعرني بالفارق الكبير بين ما انا كائن فيه وما ينبغي أن أكونه

أنت

مسكن لله ، وهيكل للروح القدس

أنت يا أخي لست فقط إبن الله ، ونفخه قدسية قد خرجت من فم الله ، وإنما أنت أيضاً هيكل لله ، والله يسكن فيك . وهكذا يقول لنا الرسول " أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله ساكن فيكم . إن كان أحد يفسد هيكل اله ، فسيفسده الله . لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو " (١ كو ٣: ١٦، ١٧) . " أنتم هيكل الله الحي . كما قال الله إني سأسكن فيهم واسير بينهم "(٢ كو ٦: ١٦) ... شهوة الله منذ البدء أن يسكن فيك ، ينظر إلي قلبك ، ويقول " ها هو موضع راحتي إلي الأبد . ههنا أسكن لأني اشتهيته "(مز ١٣٢ : ١٤) ... تقول له " عندك يارب الكنائس ، عندك الهياكل و المذابح . سكناك في السماء وسماء السموات هي عرشك " فيقول لك : ولا واحدة من هذه تعجبني مثل سكناي في قلبك " يا إبني أعطني قلبك "(أم ٢٣ : ٢٦) ..

أنت أيها الأخ المبارك أهم عند الله من كنيسة مبنيه ... إن تهدمت إحدي هذه الكنائس فما أسهل علي البشر أن يعيدوا بناءها ، بجمع المال تبني ... إما إذا تهدم إنسان مثلك ، فلا يمكن أن يعاد بناؤه إلا بدم

المسيح . لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا رئيس آباء ولا نبياً ، يقدر أن يردك إلي رتبتك الأولي ، ليس غير دم المسيح ، فبدونه لا يكون لك خلاص ... أنت يا اخي أهم عند الله من كنيسة مبنيه . أنت كنيسة حية ، أهم من الطوب و الحجارة ، انت هيكل للروح القدس ... لقد سمح الله أن يتحطم هيكل سليمان ، ولا يترك فيه حجر إلا وينقض ... أما انت هيكل للروح القدس ... لقد سمح الله أن يتحطم هيكل سليمان ، ولا يترك فيه حجر إلا وينقض ... أما أنت فمن أجلك أرسل الله الرسل الأنبياء و الملائكة ، وعين الرعاة و الكهنة و المعلمين ، ورتب كل وسائط النعمة ، وقدم استحقاقات الفداء العظيم " لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية "(يو ٣ : ١٦) .

إن كنت إذن بيتاً لله ، والله يسكن فيك ، فتذكر قول الكتاب " ببيتك يارب تليق القداسة " (مز ٩٣ : ٥) . واعرف أنك بالخطية تنجس بيت الله ، الذي هو أنت ...

أذكر إذن قول الرسول :

" كونوا انتم أيضاً مبنيين – كحجارة حية – بيتاً روحياً ، كهنوتاً مقدساً ، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح (١ بط ٢:٥) ...إن السيد المسيح يبحث عن مكان يسكن فيه وهذا المكان هو أنت . وعندما قال الرب عن نفسه انه " ليس له اين يسند رأسه " (لو ٩: ٥٨) ، لم يكن يقصد فقط البيوت المادية ، وإنما بالأكثر قلوب الناس ...

إن قلبك هو المكان الذي يريد الرب أن يسند فيه راسه ... حقاً عن لذته في بني البشر ...((أم ٨: ٣١) وهو مايزال يقرع علي بابك لتفتح له ... وفي اشتياقه إلي قلبك يقول " إن إحبني أحد يحفظ كلامي ، ويحبه إبي ، وإليه نأتي ، وعنده نصنع منزلاً " (يو ١٤ : ٢٣) . وهكذا يأتي الآب والأبن ويسكنان في قلبك ، وانت من قبل هيكل للروح القدس ...

فيصير قلبك بهذا الوضع مسكناً للثالوث القدوس ... هنا ويعقد الصمت لساني ، هيبة ، وإجلالاً ، لهذا القلب المقدس ...." ما أرهب هذا المكان !!! ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء "(تك ٢٨ : ١٧) ... هذا هو المسكن الإلهي العجيب الذي يأتي إليه الله من بعيد " طافراً علي الجبال ، قافزاً علي التلال "(نش ٢:٨) ، ينادي نفسك العزيزة في حب " إفتحي يا أختي ، يا حبيبتي يا حمامتي ، يا كاملتي ،ـ لأن رأسي قد أمتلأ من الطل ، وقصصي من ندي الليل "(نش ٥: ٢) . فإلي متي تنتظر يا أخي ولا تفتح ...!

تصور يا أخي أن الله الذي لا تسعه السموات كلها ، ولا الكون أجمعه ، الله الذي قال عنه داود " للرب الأرض وملؤها ، المسكونة وكل الساكنين فيها " (مز ٢٤ : ١) ، الله هذا يقرع علي بابك ، ويشتهيك مسكناً له ... هو يريد أن يعيش انت في قلبه ، يثبت فيك وأنت فيه ، وتصير كنيسة مقدسة له ...أذكر أنني في يوم ما أرسلت خطاباً إلي أحد الأخوة المباركين ، قلت له فيه " سلم علي الكنيسة المقدسة التي في قلبك " . لأني كنت أعرف أن في قلبه كنيسة تصعد منها رائحة بخور ، وتخرج منها ألحان وتسابيح ، وترتفع فيها ذبائح روحية ..ز ألم يقل المرتل " فلتستقم صلاتي كالبخور قدامك وليكن رفع يدي ذبيحة مسائية " (مز ١٤١ : ٢) . أن عرفت يا أخي هذا ، أنك هيكل للروح القدس ، فلا تخطئ ، لئلا تحزن روح الله فيك وتطفئ حرارته ...

بل أن أتاك الشيطان يوماً بخطية ، تقول له :

إذهب عني بعيداً، فلست انا لك ...
أنا بيت الله ، انا مسكن لله ...أنا موضع مقدس للرب ...
أنا الذي يقرع الله علي بابي لكي أفتح له ...
أنا هيكل للروح القدس ، أنا كنيسة مقدسه .
إنا الذي يأتي إلي الآب والإبن ، وعنده يصنعان منزلاً ...
أنا مسكن للثالوث القدوس ...
هل انا شئ هين ، يمكن أن ينجسه الشيطان ؟! كلا ،
أنا سماء ثانية ... عرش لله يجلس عليه ....
أنت يا اخي لست هذا كله فقط ، بل أيضاً :

أنـــت أخ للمسيح ، شريك للمسيح ، ووارث معه

تواضع عجيب من الرب أن يدعونا أخوة له ... نحن لا نجرؤ أن نناديه بهذا اللقب ، لأننا لم نصل إلي مستواي العبيد البطالين الذين فعلوا كل ما أمروا به (لو ١٧ : ١٠) . ولكننا امام تشريفه لنا ، يجب ان نسلك كما يليق بالدعوة التي دعينا إليها ...

عجيب ان يقال عن الرب الإله إنه " بكر وسط أخوة كثيرين " (رو ٨: ٢٩) ... أخوة كثيرين ؟! يا للعجب ...! و العجيب أيضاً أنه " لا يستحي ان يدعوهم اخوه "(عب ٢: ١١) . واعجب من الكل أن يقال عنه أنه " يشبه أخوته في كل شئ "(عب ٢: ١٧) ... وهكذا نري السيد المسيح يقول للمريمتين " إذهبا قولا لأخوتي أن يمضوا إلي الجليل ، هناك يروننني " (متي ٢٨ : ١٠) . ويكرر نفس العبارة للمجدليه " إذهبي وقولي لهم " (يو ٢٠ : ١٧) . ولم يقل هذا التعبير عن الرسل فقط ، بل قاله عن الكل ..." من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي ، وأختي وامي "(متي ١٢: ٤٨) . وقال عن الخير الذي يعمل مع الفقراء و المساكين " الحق أقول لكم بما انكم فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر فبي قد فعلتم "(متي ٢٥: ٤) .

إذن فأنت يأخي أخ للمسيح ، وأنت أيضاً وريث معه ... للمواعيد ، و للمجد العتيد . عن كان قد قيل عنه في مثل الكرامين الأردياء إنه هو الوارث (متي ٢١ : ٣٨)، فقد قيل كذلك " إننا ورثه أيضاً ، ورثه الله ، ووارثون مع المسيح (رو ٨: ١٧) . **إعرف يا أخي إذن مقدارك من أنت أخ للمسيح ، وأنت وريث معه وليس هذا فقط بل أنت شريك له كذلك ...**

" إن لنا شركة معه "(١ يو ١ : ٦) . إنه اشترك معنا في اللحم و الدم (عب ٢: ١٤) . ونحن إنما نؤدب " لكي نشترك في قداسته " (عب ١٢ : ١٠) . نشترك معه فى آلامه ، لكى نشترك فى الفرح باستعلان مجيئه (١ بط ٤ : ١٣) . قد دفنا معه (فى المعمودية) لكى نقوم معه (رو ٦ : ٤ ، ٥) . وسنعيش حياتنا عاملين معه (١ كو ٣ : ٩) . ونتألم معه ، لكى نتمجد معه (رو ٨ : ١٧) . وسنأتى معه على السحاب (يه ١٤) ونكون معه فى كل حين (١ تس ٤ : ١٧) وحيثما يكون هو نكون نحن أيضاً (يو ١٧ : ٢٤) .

إنها شركة لك مع المسيح تبداها الان أيها الأخ المبارك وتستمر معك إلى الأبد . فاحرص على هذه الشركة المقدسة لأنك بالخطية تفقدها .

إنك لا تستطيع أن تستمر شريكاً للمسيح إن تسير فى الخطية ... لأن الكتاب حينئذٍ سيوبخك بقوله " أية خلطة للبر والإثم ؟! وأية شركة للنور مع الظلمة ؟! وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ؟! ... " (٢ كو ٦ : ١٤ ، ١٥) إنك عندما تفعل الخطية تكون كمن يقول للرب : لقد فككت الشركة للشيطان ، ولم أعد شريكاً لك بعد ...! أنظروا أى مجد يكون لنا عندما نسير فى طريق الله ، وأى نزول وانحدار وسقوط عندما نبعد عنه .... فكيف يمكن أن تفعل الخطية ، أنت يا شريك المسيح ، شريكه فى العمل وفى الآلام وفى المجد ؟! أنت تلبس المسيح فى المعمودية (غل ٣ : ٢٧) ، وتحيا لا أنت ، بل المسيح الذى يحيا فيك (غل ٢ : ٢٠) ...

وانت لست فقط شريكاً للمسيح إنما أيضاً :

وهكذا فإنه من البركة التى يعطينا إياها بولس الرسول أن تكون " شركة الروح القدس ، مع جميعنا " (٢ كو ١٣ : ١٤) . هذه البركة التى نأخذها من الكنيسة فى آخر كل اجتماع ، وفى بداية القداس أيضاً

أنت شريك للروح القدس ، ليس فى الجوهر ، وإنما فى العمل . إنه يعمل فيك ، ويعمل معك ، ويعمل بك ، من أجل خلاص نفسك ، ومن خلاص الناس ، فى نشر ملكوت الله ، وفى بنيان جسد المسيح . أنت لا تعمل وحدك وإلا كنت معتمداً على ذراعك البشرى ، " وإن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً تعب البناؤون " (مز ١٢٧ : ١) الروح القدس هو يشترك معك فى العمل ...وهو لا يعمل وحده ، وإنما يشركك معه ، لتأخذ بركة ... أنت شريك للروح القدس ، شريك للطبيعة الإلهية ، فى العمل ...

والروح القدس يعمل معك دائماً للخير . وعندما تعمل الشر أو الخطية ، إنما تعمل وحدك ، وتكون قد رفضت شركة الروح القدس ...

لذلك يقول الكتاب عن حالة الخطية " لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم " (أف ٤ : ٣٠) ويقول أيضاً " لا تطفئوا الروح " (١ تش ٥ : ١٩) وإذا استمر الإنسان فى حالة الخطية ، فربما يتعرض لما خاف منه داود النبى حينما قال " روحك القدوس لا تنزعه منى " (مز ٥٠: ١١) ...!!

يا أخي ما أعجب ان يقال عنك إنك " شريك الطبيعة الإلهية "(٢ بط ١: ٤) ... بل ما أعجب ان يعاتبنا الرب بقوله أنكم آلهة ، وبنمو العلي كلكم " (مز ٨٢ : ٦) ... يا لهذا المركز الكبير ، ويا لهذه الشهادة العظيمة ... ! أو بعد هذا كله نخطئ ؟ أيصح إله ؟! ويتمرغ في الدنس ، وفي التراب ، و في النجاسة ...!

هل عندما تخطئ تكون شريكاً للطبيعة الإلهية ؟! ، بل شريكاً للشيطان لأن الكتاب يقول " الذي يفعل الخطية هو من إبليس ، لأن إبليس من البدء يخطئ . بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد إبليس (ظاهرون) " (١ يو ٣: ١٠) . إننا عندما نخطئ ننسي مجدنا العظيم ، ونفقد مراكزنا ..ز ولذلك فإن الله بعد أن قال لنا " انا قلت إنكم ألهه ..." أكمل قائلاً " ولكنكم مثل البشر تموتون ، وكأحد الرؤساء تسقطون "(مز ٨٢: ٧) ... ومن هو هذا الرئيس الذي سقط ؟ إنه الشيطان ، الذي كان قبلاً رئيس ملائكة ...!

أن الإنسان الذي يخطئ ؟، هو إنسان لا يعرف مقدار ذاته . لذلك قيل عن الخاطئ إنه جاهل . عجيب أنه بعدما أكل من شجرة المعرفة صار جاهلاً ! لأنه التمس المعرفة بعيداً عن الله ، او ألتمس معرفه تفصله عن الله . فلا يعرف ما هي ذاته ولا من هو الله ، ولا ما هي العلاقة بينهما ... يا أخي ، إعرف ذاتك ، من أنت ، حينئذ لا تخطئ ...

أنت عضو في جسد المسيح ، من لحمه و عظامه

إن الكنيسة هي جسد المسيح ، والمسيح رأسها . ونحن – جماعة المؤمنين – هم الكنيسة . إذن فنحن جسد المسيح (أف ٤: ١١) . بل إننا " إعضاء جسمه ، من لحمه ومن عظامه "كما يقول الرسول (أف ٥: ٣٠) .

كل عضو فيك ، هو عضو المسيح . ولذلك ففي كلام الرسول عن خطية الزني قال " ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح . أفاخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانيه ؟! حاشا ..."(١ كو ٦: ١٥)

. فكيف نخطئ ونحن جسد المسيح ؟! كيف نخطئ إلي الرب الذي يعتبرنا كشخصه تماماً ، كل ما يمسنا يمسه ؟!... أليس أنه عندما عاتب شاول الطرسوسي ، لم يقل " لماذا تضطهد المؤمنين ". وإنما قال له " لماذا تضطهدني "(أع ٩: ٤) ، لأنه يعتبرنا كشخصه تماماً وعندما يطوب الرحماء في اليوم الأخير ، سوف لا يقول لهم : أنتم أطعمتم الجياع وسقيتم العطاش ، وإنما سيقول لهم " كنت جوعاناً فأطعمتموني ، وعطشاناً فسقيتموني " (مت ٢٥ : ٣٥) . إلهنا هذا المحب ، الذي يعتبرنا كشخصه تماماً ، كيف يمكن أن نخطئ إليه ، ونجرح قلبه الحساس الحنون ؟! إن الشخص الخاطئ ، إنما يقطع ذاته المسيح ، لأن جسد المسيح مقدس كله ... وعضويتنا في جسد المسيح يوضحها قوله " أنا هو الكرمة ، وأنتم الأغصان " (يو ١٥: ٥) ، فعصارة الكرمه تصعد وتسري إلي الأغصان فتمنحها الحياة ... وكل غصن في الكرمة تكون له صورة الكرمة ، وله ثمر الكرمه ، وله طبيعة الكرمه ، فهم صورة مصغره من الكرمه نفسها ، وهو و الكرمه شئ واحد . فهل أنت غصن حقيقي في هذه الكرمة الإلهية ؟ وهل أنت تصنع ثمراً يليق بغصن حي ؟ إن المفروض في أغصان الكرمة أن تعطي ثماراً تماثلها ، أن تثمر عنباً يفرح الرب به ويشرب من نتاجه جديداً في ملكوته الآب (مت ٢٦ : ٢٩) . ماذا تظنه كان يقصد عندما قال للمراة السامرية " أعيني لأشرب " (يو ٤: ٧) . أتراه كان يريد منها ماءاً ، أم كان يريد أن يشربها هي ، كان عطشاناً إلي نفسها ليضمها إلي ملكوته . كان يريد أن يشرب من نتاج الكرمه ، من عصيره الذي سكبه في قلب تلك المرأة ... فهل تسري فيك عصاره الكرمة ايها الأخ المبارك ؟ هل تتمشي عصارتها في كل عروقك ، وتجعلك تورق وتثمر عنباً أم شوكاً ؟ فإن كنت تعطي شوكاً ، فلست إذن عضواً في الكرمة . ويقيناً أن العصارة التي تسري فيك ليست هي من الكرمه ... إعلم إذن أن الغضب الذي لا يصنع ثماراً ، لا ينفع ولا يصلح بل يقطع ويلقي في النار (يو١٥ : ٦) ... وإذا قطع ، لا يصبح بعد عضواً في الكرمه ... لقد انتهي أمره !!

إن الإنسان السائر في الخطية ، هو غصن معاند ، قد رفض عصارة الكرمه ، رفض أن تسري في عروقة ، فجف وسقط ، أو قطع وألقي في النار . أما الصالح ، فهو علي العكس يفتح شرايينه جيداً لكي تدخل فيها عصاره الكرمه، وبهذا ينتج ثمراً فينقيه السيد الرب ليأتي بثمراً اكثر ...

ما هو نتائج الكرمه الذي تريد أن تشربه منا يارب ؟ هو تمركم ، أريد أن تغذي بثماركم ، بثمر الروح فيكم (غل٥: ٢٢) . هذا الثمر هو عمل الله فيكم . هو نتجه تمشي عصارتي في عروقكم . من أجل هذا إن تذكرتم علي الدوام انكم اغصان في كرمتي ، واعضاء في جسدي ، فليس فقط سوف لا تخطئون ، وغنما بالأكثر سوف تثمرون ، وأفرح بثمركم . هل عرفت يا أخي مقدارك العظيم ، أنت لست فقط عضواً في جسد المسيح إنما ايضاً :

أنت الذي تتناول جسد الرب ودمه

أنت تأكل جسد المسيح وتشرب دمه ، فتثبت فيه ، ويجري في عروقك دم المسيح الطاهر النقي القدوس . ما أسماك وما أطهرك !... كتب أحد الأشخاص في مذكرته بعد تناوله :

هذا الفم المقدس الذي تناول جسد الرب ودمه : كلمه زائدة لا تخرج منه ، ولقمة زائدة لا تدخل فيه

...تذكر يا أخي باستمرار أن فمك يتناول جسد الرب ودمه ، حينئذ لا يمكن أن تخرج منه شتيمة ، او أغنية عالمية ، أو مزاح باطل ، او كذب ، او قسم ، او غضب ، او باقي خطايا اللسان ... وتذكر أن جسدك هذا يحل فيه جسد المسيح ، حينئذ تخاف أن تنجس هذا الجسد او تجعله أداه للخطية ...
إيها الأخ المبارك ، لا تنس نفسك ، أذكر من أنت، وماذا يليق بك فلا تخطئ ...قال أحد القديسين

" يسبق كل خطية : إما الغفله . وأما الشهوة . وإما النسيان ...

وفعلاً ، يسبق الخطية النسيان ...
فنحن ننسي أنفسنا اننا صورة الله ، وأننا شبهه ومثاله ، وأننا أولاده ، وأننا مسكن لله ، وهياكل للـــروح القدس . وننسي أننا أخوة المسيح ، وشركاء الروح القدس ، وشركاء الطبيعة الإلهيـــة ، وننســـي أننـــا أعضاء في جسد المسيح ، وأننا نتناول جسده ودمه ...لذلك نخطئ ... وإن تذكرنا حقيقتنا ، ما أخطأنا ...

إنك في حاله الخطية ، تكون قد نسيت كل أمجادك هذه أو تكون قد فقدن كل أمجادك ... وضعت ...

الفصل الثاني

لكي يتوب الإنسان ، لا يكفي أن يعرف من هو ... إنما يجب أن يعرف أيضاً ما هي الخطية ... ما هي طبيعتها الخاطئة ، وعقوبتها ، ونتائجها ، وأضرارها ... لذلك نقول لك :

أن عرفت ما هي الخطية

الخطية هي موت ... **تهرب من الخطية**

حقيقي أن " أجرة الخطية هي موت " (رو ٦: ٢٣) ، " و الخطية إذا كملت تنتج موتاً "(يع ١: ١٥) . ولكن بالإضافه إلي أن عقوبة الخطية هي الموت ، نقول عن الخطية ذاتها هي حاله موت ، موت أدبي وروحي .

و الشواهد علي ذلك كثيرة :

ففي مثال الإبن الضال ، قال الآب " لأن إبني هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجد "(لو ١٥ : ٢٤) . فوصفه بأنه في حالة الخطية " كان ميتاً ". ولم يصبح إلا بعد رجوعه ... و القديس بولس الرسول يقول عن الأرمله المتنعمة إنها " ماتت وهي حية (١ تي ٥: ٦) . كما يقول عنا جميعاً " كنتم أمواتاً بالذنوب و الخطايا " (أف ٢ : ٥) . وعندما اخطأ ملاك (راعي) كنيسة ساردس ، أرسل إليه الرب رسالة علي فم القديس يوحنا الرائي يقول له فيها " أنا عارف أعمالك ، ان لك إسماً انك حي و أنت ميت "(رؤ ٣: ١)

.فالإنسان الخاطئ هو شخص ميت ، لأنه انفصل عن الحياة الحقه بانفصاله عن الله ، والله هو الحياة

...

إلم يقل السيد المسيح " ان هو القيامة و الحياة " (يو ١١: ٢٥) . " أنا هو الطريق و الحق و الحياة "(يو ١٤ : ٦) . حقاً " فيه كانت الحياة ، و الحياة كانت نور الناس " (يو ١ : ٤) . فالذي ينفصل عن المسيح بالخطية ، إنما ينفصل عن الحياة فيعد ميتاً ، مهما كانت فيه انفاس تتردد . لذلك صدق القديس أوغسطينوس عندما قال :

موت الجسد ، هو انفصال الروح عن الجسد ، وموت الروح ، هو انفصال الروح عن الله .

فالخاطئ إذن هو إنسان ميت ، مهما ظن أنه حي وانه يتمتع بالحياة !!إن الخطاة لا يفهمون فهماً سليماً . يظنونها مجرد تمتع بالعالم و لذاته . وهكذا عندما تتحدث إلي أحد الخطاة عن التوبة ، يجيبك قائلاً " أتركني أتمتع بالحياة يظن هذه المتعه الجسدية حياة وهي موت ! كما قيل عن الأرمله المتنعمة إنها ماتت وهي حية . فإن كانت الخطية موتاً ، ألا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا .

أحقاً نحن احياء ؟! كم هي إذن سنو حياتنا علي الأرض ؟ غالب الظن أننا سنجيب علي هذا السؤال بنفس إجابة أبينا يعقوب ، عندما قال لفرعون " أيام سني غربتي ... قليله وردية ... ولم تبلغ إلي أيام

سني حياة آبائي " (تك ٤٧ : ٩) . حياتنا تقاس فقط بالأيام التي قضيناها مع الرب ثابتين في محبته . أما فترات الخطية في حياتنا فهي فترات موت . لا تقل إذن " انا في الأربعين من عمري "! فربما حياتك كلها لم تبلغ عشر سنوات مع الله . يا أخي إسأل نفسك : هل أنت حي أم ميت ؟! أخشي ما اخشاه أن تنطبق علي أحد فينا العبارة التي قالها الرب لملاك كنيسة ساردس :

" أن لك إسماً إنك حي وانت ميت "...! (رؤ ٣: ١) .

تري إن نزل ملاك الآن ليعد الأحياء الموجدين في الكنيسة ، من منا يجده حياً ، ومن منا يجده ميتاً ؟! يا للخجل ، عندما نعرف حقيقتنا ، أحقاً نحن أحياء أم اموات بالخطية ؟ بهذا يحكم كل منا علي نفسه : ة

كل يوم مثمر وثابت في الرب ، هو يوم حي وكل يوم مر في الخطية ، هو يوم ميت .

وبهذا يمكن ان تعرف عمرك وكم سنة لك ... فلا تسمح يا أخي أن يضيع يوم من أيام حياتك ، ويموت ويدفن إلي الأبد لأن الأيام التي تذهب لا يمكن ان تعود . اما الأيام الحية فهي خالدة .... هناك لحظات في حياة الإنسان تقتدر كثيراً في فعلها . الدقيقة تساوي سنوات أو قد تساوي أجيالاً ... لذلك عش حياتك كامله ، دسمة ، غنية ، مثمرة ... تصور ساعة في حياة بولس الرسول ، لها ولا شك قيمتها وقوتها ، وربما تكون هذه الساعة اطول من حياة إنسان آخر بأكملها . يا أخي ، لا تفتخر باطلاً ، ولا تقل بغير حق : أنا إبن الله ، أنا صورته ومثاله . أنا هيكل للروح القدس ، أنا شريك للطبيعة الإلهية ، انا عضو في جيد المسيح ...!! كلا ، إن كنت خاطئاً فإنت ميت ، ولست شيئاً من هذا كله ... تقول لله " أنا إبنك "، فيقول لك " إذهب عني ... لا أعرفك "...

إن الخطية هي موت ... وهي أيضاً ضلال ، وضياع ، وتوهان ...

الخطية ضلال وضياع

في الأصحاح الخامس عشر من الإنجيل لمعلمنا لوقا البشير ، توجد ثلاثة امثال تشرح لنا كيف أن الخطية هي ضلال ضياع وتوهان ". مثال الإبن الضال ، ومثال الخروف التائه ، ومثال الدرهم المفقود ... الإبن الضال ، ضل نتيجة لشهوات قلبه ، بقصد ومعرفة وتدبير ... و الخروف الضال ، تاه عن غباء وعدم معرفة وقله خبرة ... و الدرهم المفقود ، أضاعه غيره ، أو وقع وظل واقعاً لا يتحرك ...

إنه أمر مؤسف حقاً ، أن ينظر الله في كيسة ، فلا يجدك ... أمر مؤسف ، أن يعد الله دراهمه وفلا تكون في وسطها .. ويظل الله يبحث عنك في كيسه وفي كل موضع ، أين تراك وقعت ، فلا يعثر عليك .. وأخيراً يعلنها حقيقة مؤلمه : لقد كان لي درهم ، ولكنه ضاع ... نعم ، ضاع وفقد ولم يعد له وجود ... أخشي عندما يحصي الله شعبه ، ألا توجد أسماء مكتوبة في سفر الحياة ، لأن الخطية قد أضاعتها . أتعرف هذا يا أخي ، أنك عندما تسير في طريق الخطية ، تكون ضعت ولم تعد في يد الله ...! نعم ، أن الخطية هي ضياع ، هي ضلال ، هي توهان . والخاطئ هو إنسان تائه ، سواء تاه بإرادته ، أم بجهله ، أم اتاهه غيره ... إن الإبن الضال عندما خرج من بيت ابيه ، ظن انه قد وجد نفسه وقد وجد حريته ، وقد وجد ثروته ومتعته واصحابه ... ولكنه في الواقع ، لم يكن قد وجد بل أضعها ... و الخروف الضال ربما شعر أنه قد ترك الحظيرة الضيقة المغلقه ، إلي الفضاء الرحب الواسع المفتوح . وأخيراً وجد أنه تاه ، وابتعد عن راعيه وعن أحبائه ...إن الخاطئ يفهم الحرية و المتعه فهما خاطئاً .. وبنفس الوضع فيما يظن الخطية نصرة تكون له هزيمة ...

الخطية هزيمة لا نصره ..

لنفرض أن إنساناً أهانك فأهنته ، واشتددت عليه فغلبته ، وأفحمته وأسكته ، واعتدي عليك فاعتديت عليه بالمثل أو بأضعاف ذلك ، أتراك إذن قد انتصرت ؟!

كلا ، بل انهزمت ، لأنك قد انغلبت من الأثارة ، وأنفعلت ، ولم تقو علي الإحتمال ، وغلبتك الخطية .

ربما تقول " أنا دافعت عن كرامتي ... أنا لم اترك هذا الإنسان يطفئ علي ، بل أوقفته عند حده وانتصرت عليه ". قد تكون هكذا منتصراً في عيني نفسك ، ولكنك في واقع الأمر مهزوم : قد هزمتك خطية الغضب ، هزمتك خطية المجد الباطل ، وهزمتك خطية الإدانه ، وخطية الإنتقام ، وعدم المحبة . وعدم الإحتمال ... لذلك يقول الكتاب في (رو ١٢: ٢١) :

" لا يغلبنك الشر ، بل إغلب الشر بالخير "

إن الإنسان الخاطئ ، هو إنسان مغلوب من الخطية ، وما أكثر الأسباب : هناك إنسان ينهزم امام الجسد ، وآخر ينهزم أمام الكرامة ، وثالث ينهزم من شهوة الطعام ، ورابع ينهزم أمام المال ،وآخر امام الغضب ، وآخر أمام الحقد ...ألخ . قد ينظر إنسان إلي إمرأة ويشتهيها ، فيزني بها في قلبه . وفي كل ذلك يظن أنه قد لذذ نفسه وتمتع بذلك المنظر . ولكنه في الحقيقة يكون قد انهزم أمام الخطية وسقط . منظر واحد قد غلبه وجعله يقع في الشهوة ... وقد تنظر الملائكة إليه من السماء وتقول :

" مسكين هذا الإنسان الضعيف ، لم يستطيع أن يحتمل منظراً من المناظر فسقط ... باع الملكوت وخسره من أجل منظر تافه ".

فالإنسان الخاطئ هو إنسان مهزوم ومغلوب مهما احاط نفسه بمظاهر القوة الزائفة ، والأنسان البار قد يبدو – في نبله ، وسموه مهزوماً أمام الناس ، ويكون في قمة انتصاره . والأمثلة علي ذلك كثيرة ...

قايين مثلاً عندما قام علي هابيل وقتله ، هل كان في قتله لأخية منتصراً ام منهزماً ؟

ربما ظن في نفسه في بادئ الأمر انه قد انتصر علي أخية ، لأنه استطاع ان يضربة ويلقيه علي الأرض ويقتله . ولكنه في حقيقة الأمر كان مهزوماً . لقد انهزم أمما الحسد و الغيرة . وانهزم أمام الغضب و الحقد . وفقد محبته ، وهزمه شيطان القسوة ، وهزمته خطية القتل ... وهذا الذي ظن نفسه قوياً ، عندما وقف أمام الله ارتجف وارتعب فقال قايين للرب :" ذنبي أعظم من أن يحتمل . أنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك اختفي ، وأكون تائهاً وهارباً في الأرض فيكون كل من وجدني يقتلني "(تك ٤: ١٣ ، ١٤) . مسكين قايين ... إنسان ضعف غلبته الخطية . كذلك كان هيرودس الملك أيضاً عندما قبض علي يوحنا المعمدان وألقاه في السجن ، وأراد ان يسكت هذا الصوت الصارخ في البرية فلم يفلح فقطع رأسه . فهل كان هيرودس قوياً عندما قتل يوحنا ، أم بالحري كان ضعيفاً أمام شهوته وعزته وكبريائه وانقياده للنساء ..؟! أكبر دليل علي ضعفه ، انه ظل يخاف من يوحنا حتي بعد موته . فلما ظهر المسيح ظن هيرودس أنه يوحنا قد قام من الأموات (مت ١٤ : ٢) .

وهكذا أنت ايضاً عندما تتسلط غلي غيرك ، وتهينه وتشتمه وتخرجه وتتهكم عليه ، ويبدو هو ضعيفاً ذليلاً أمامك لا يستطيع ان يقابلك بالمثل ... أتراك تظن نفسك قد انتصرت ؟! كلا ، بل هزمتك كل هذه الخطايا ، وغلبك الشر ...

إن الخاطئ يظن النصرة حيث توجد الهزيمه ، ويظن اللذه حيث يوجد الضياع ، ويظن القوة حيث يوجد الضعف ... لذلك قال الكتاب " لأنهم مبصرين لا يبصرون ، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون " (مت ١٣: ١٣) . وبنفس هذا المقياس الخاطئ نظر البعض إلي صليب المسيح له المجد . فظن غير الفاهمين أن صلبه كان دليلاً علي الضعف و الهزيمة أو دليلاً علي انتصار أعدائه عليه ، وكان الواقع عكس ذلك تماماً . لقد كان صالبوا المسيح في موقف الهزيمة وليس في موقف النصرة .لقد انهزموا امام حسدهم وغيرتهم منه . وانهزموا أمام شياطين الكذب و القسوة و الجبن ونكران الجميل . اما السيد المسيح فاستطاع ان ينتصر في محبته وبذله ، ويقدم لنا الخلاص ، ويحطم مملكه الشيطان ، ويفتح الفردوس لمنتظريه ويتمم عمل الفداء العظيم ... كانت منتصراً علي طول الخط ، بعكس صالبيه الذين رجع كثيرون منهم وندموا ... كانت أحكام الناس مختله ، فالخطية هي ضعف وهزيمة وماذا عن الخطية أيضاً :

الخطية إنفصال عن الله

الخطية إنفصال عن الله ، لأنه " أيه شركة للنور مع الظلمة ، وأي اتفاق للمسيح مع بليعال "(٢ كو ٦ : ١٤و ١٥) . وهكذا نري أن الإبن الضال – في خطيته – قد خرج من بيت أبيه وانفصل عنه . والخطية ليست مجرد إنفصال عن الله ، وإنما هي خصومة معه ..

إن العالم عندما اخطأ ، وقع في خصومة مع الله عبر عنها طقسياً بالحجاب المتوسط الذي كان يفصل المؤمنين عن قدس الأقداس . لذلك عندما جاء السيد المسيح ، أقام صلحاً بيننا وبين الله ، ونقض الحاجز المتوسط ، وقيل عنه في القداس " صالحت الأرضيين مع السمائيين ". صالحهم لأن الخطية كانت قد سببت خصومه بينهم وبين الله . من أجل هذا نصلي صلاة الصلح قبل أن نبدأ القداس ... قبل أن نتناول نصطلح أولاً مع الله .

الإنسان الخاطئ بينه وبين الله خصومة . قد أغضب الله وأحزنه وانفصل عنه : ترك بيته وكهنته ، وترك كتابه ووصاياه ، وترك جسده ودمه ، وترك الكلام معه أيضاً – هناك خصومة إذن ...

وكلما ازدادت الخطية ، أزدادت الخصومة ، وأزداد الإنفصال عن الله . لقد وصلت هذه الخصومة بين الله والناس إلي حد مريع في أيام أرمياء النبي ، لدرجة أن اله قال لنبيه " لا تصل لأجل هذا الشعب . ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة لأني لا أسمع لك "(أر ١٢: ١٤) . ووصلت الخصومة إلي درجة أن قال الله " وإن وقف موسي وصموئيل أمامي ، لا تكون نفسي نحو هذا الشعب "(أر ١٥: ١) .

ووصلت الخصومة إلي حد أن قال الله للعذاري الجاهلات " الحق أقول لكن أني لا أعرفكن "(مت ٢٥ : ١٢) . وقال لآخرين " أني لم أعرفكم قط إذهبوا عني يا فاعلي الإثم "(مت ٧: ٢٣) . " لا أعرفكم من أين أنتم . تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم "(لو ١٣ : ٢٧) .. " لا أعرفكم " !! يا للهو ، ويا للخجل ... الله ينكر معرفته بالأنسان ، وينكر صلته به ، ويتبرأ منه ومن خلطته ، ويبعده عنه ...أي ألم هذا ، وأية فضيحة ...وفي الخصومة ، قد تصل الخطية في بشاعتها إلي درجة العداوة مع الله .

وهكذا يقول القديس يعقوب الرسول " أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله . فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله "(يع ٤: ٤) . وهذا المعني يؤيده أيضاً القديس يوحنا الرسول بقوله " إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب " (١ يو ٢: ١٥) . بعكس ذلك محبو الله ، في صداقتهم له ، ودالتهم عليه ..

شتات بين :

دالة و خصومة

إن عرفنا مقدار الدالة التي بين الله ومحبيه . تملكتنا الغيرة ، ويلتهب قلبنا فنود أن نكون مثلهم . وسنحاول هنا أن نستعرض بعض أمثلة :

قيل عن أبينا إبراهيم إنه خليل الله . ونحن نستشفع به في الصلاة ، فنقول لله في صلاة الساعة الادسة " من أجل إبراهيم حبيبك ..."

إنه حبيب الله ، صديقة ، بينه وبين الله دالة ...

عندما أراد الله أن يحرق سدوم ، قال الرب " هل اخفي عن ابراهيم ما أن فاعله ؟!" (تك ١٨ ١٧) . يا للعجب !! إن الله لم يرد ان يحرق سدوم قبل أن يخبر ابراهيم أولاً ويتفاهم معه في الموضوع ... ومن يكون ابراهيم هذا يارب ؟ أليس حفنه من تراب ورماد " (تك ١٨ : ٢٧) . كلا يجيب الرب –إنه حبيبي وصديقي .لابد أن أخبره أولاً وآخذ رأية . لا يصح أن يفاجأ بالموضوع كباقي الناس ... ويخبر الله ابراهيم . ويتفاهم معه ابراهيم بدالة " أفتهلك البار مع الأثيم ... حاشا لك أن تفعل مثل هذا المر ... حاشا لك . أديان الرضى كلها لا يصنع عدلاً ؟! ...

إنه أسلوب قد لا نستطيع ان نكلم به بعض البشر خوفاً منهم ، ولكن ابراهيم يكلم به الله بكل جرأة ودالة . ويظل يتفاوض معه : عسي أن يكون خمسون باراً في المدينة ... ربما نقص الخمسون باراً خمسة ... عسي أن يوجد هناك أربعون ... ثلاثون ... عشرة ... ويستجيب الرب ويقول " لا أهلك من أجل عشرة (تك ١٨ : ٣٢) . إنها صداقة مع الله ... عجب أن يوجد أناس لهم صداقه مثل هذه مع الله ، يتفاهم معهم ، ويتفاهمون معه ...

نفس الوضع الذي حدث لإبراهيم مع الله ، حدث لموسي أيضاً ..

- صنع اليهود عجلاً من ذهب وعبدوه ، فغضب الرب جداً من هذه الخيانة التي خانوة بها ، بعد سلسلة من المعجزات عملها معهم ، وبعد سلسلة من الإحسانات قدمها إليهم . وفكر الله أن يهلك هذا الشعب . ولكنه رأي أن يخبر موسي أولاً وبعد أن شرح الرب لموسي كيف أن هذا الشعب صلب الرقبة قال له " أتركني ... لأفنيهم "(خر ٣٢ : ١٠) . ونحن نقف في خشوع أمام كلمة " أتركني "... ما معني هذا الكلام أيها الرب إلهنا القادر علي كل شئ ... هل انت محتاج أن يتركك موسي لتفعل ؟ هل هو ممسك بك ليمنعك ؟ وهل هو يستطيع ؟
- علي أن عجبنا يزداد ليس فقط من كلام الله ، بل بالأكثر من رد موسي ... فكما قال يعقوب للرب وهو يصارعه " لا أتركك ..." (تك ٣٢: ٢٦) ، هكذا قال موسي للرب في جرأة ودالة المحبة قال له " أرجع يارب عن حمو غضبك ، وأندم علي الشر "(خر ٣٢ : ١٢) .. كلام جرئ عجيب .... من يستطيع ان يقوله للرب ، بل من يستطيع أن يقوله لأحد الرؤساء علي الأرض ...؟! ويعلل موسي احتجاجه : لئلا يقولوا قد أخرجهم بخبث من أرض العبودية ، لكي يهلكهم في القفر ... و العجيب أن الله لم يغضب من موسي ، بل وافقه ... ونفذ له ما يريد ... ويقول في ذلك الكتاب " فندم الرب علي الشر الذي قال انه يفعله "(خر ٣٢: ١٤)... ما هذا يارب ؟ يجيب إنهم أصدقائي ، لهم دالة عندي . عجباً ! أي رجل هو موسي هذا ؟! بل أية دالة هي هذه بين الله وأحبائة .. إن قرأ خاطئ عنها يشعر بحرارة الغيرة تلهب قلبه ... ليترك ما هو فيه ، ويصير هؤلاء ...

* مثال آخر نقرأة عن موسي :

يقول الكتاب أنه كان علي الجبل مع الرب " أربعين نهاراً وأربعين ليلة "(خر ٣٤: ٢٨) ، هل تظنون أن كتابة الوصايا العشر علي اللوحين كانت تستغرق كل هذه المدة من الله ؟! هل تحتاج كتابتها إلي يوم من الله ، إلي ساعة أو دقائق ، أو لحظة ...؟!

إنما الله قد استبقي موسي أربعين يوماً علي الجبل ، لأنه صديقة وحبيبه وكليمه ... الله يفرح بوجود موسي معه لأنه إبنه ... وموسي يفرح بالوجود في حضرة الرب يتمتع به ... وإلا قولوا لي أية مهمه كانت تقتضي الأربعين يوماً ... كل الوصايا التي أخذها موسي من الله لا تستغرق أكثر من يوم واحد . أما الباقي ، فهو فترة دالة وصداقة ومحبة ...

أن الله له أصدقاء واحباء ، قال لهم علانية " لا أعود أسميكم عبيداً بل أحباء "(يو ١٥ : ١٥) . قيل إنه " كان يحب مرثا واختها و لعازر (يو ١١ : ٥ ؟) . وعندما بكي علي لعازر ، قال الناس " أنظروا كيف كان يحبه "(يو ١١ : ٣٦) . والقديس يوحنا الإنجيلي قيل عنه مراراً " التلميذ الذي كان يسوع يحبة ".

إن الله له أحباء ، لهم دالة كبيرة عنده وفي أيديهم يضع مفاتيح السماء ... يستطيعون أن يفتحوا السماء ويغلقوها كما يشاءون ...

- كلمة عجيبة نسمعها من إيليا النبي الذي قال " لا يكون طل ولا مطر في هذه السنين إلا عند قولي "(١ مل ١٧ : ١) .. عبارة (إلا عند قولي) عبارة عجيبة وقوية . فلم يقل إيليا " عندما يشاء الله " أو " عندما يأذن الله " ، بل قال في ثقة وحزم " إلا عند قولي "... وفعلاً أغلقت السماء حسب قوله ، وظلت مغلقة ثلاث سنين وسته أشهر .. وكان جوع وتعب لكل الناس ... ولكن ظلت السماء مغلقه تنتظر قول إيليا ... وعندما تكلم مرة أخري ، أمطرت السماء ... مفاتيح السماء هذه التي في أيدي القديسين ، تكلم عنها الشيخ الروحاني في حديث عن صلاتهم ومفعولها ، فقال عنهم إنهم يكونون " ليس كمن يصلي ، وإنما كمن يتقبل الصلاة ، كإبن اؤتمن علي خزائن أبيه ، يفتحها ويعطي منها للناس ..." نسمع مثل هذا عن القديس المتنيح الأنبا ابرآم أسقف الفيوم ، يأتيه إنسان في مشكله فيقول له " روح يابني هاتلاقيها اتحلت ". تأتيه إمرأة تطلب نسلاً ، فيقول لها " ماتزعليش السنة الجاية يكون عندك ابن ..."، يقول هذا حتي بدون صلاة ، ويحدث ما يقول عنه . إنها بركات يوزعها علي الناس ، وهبات أخذها من الآب السماوي يعطيها بحنان لطالبيها ... ألا تملكنا الغيرة عندما نسمع عن امثال هؤلاء ومكانتهم عند الله ...

* وأحباء الله هؤلاء ، لا يكتفي بمنحهم هذه الهبات ، إنما أيضاً يدافع عنهم ، ولا يقبل فيهم كلمة سوء ...

- مثال ذلك : موسي النبي ... تزوج إمرأة كوشية ، وكان يبدو أن هذا ضد الشريعة ، لن الرب قد منع الزواج بالنساء الغريبات . وفعلاً تضايق بسبب هذا الزواج هرون أخو موسي ومريم أخته ، وتكلما عليه ... فصمت موسي ، لأنه كان حليماً جداً . ولكن الرب لم يصمت . ولم يقبل أن يقول أن يقول احد كلمه رديئة عن حبيبه موسي حتى لو كان القائل هو هرون رئيس الكهنة ومريم النبية أخت موسي وهرون ...
- فاستحضر الله هؤلاء الثلاثة ، ووبخ مريم وهرون توبيخاً شديداً وقال لهما " إن كان منكم نبي للرب ، فبالرؤيا استعلن له وفي الحلم أكلمه . وأما عبدي موسي فليس هكذا ، بل هو أمين في كل بيتي . فما إلي فم وعياناً أتكلم معه .. فلماذا لا تخشيان أن تتكلما علي عبدي موسي ؟ "(عد ١٢ : ١-٨) ، وضرب الله مريم بالبرص ، فإذا هي برصاء كالثلج ... فأخرجوها خارج المحلة سبعة أيام ... ما هذا يارب الذي تفعله ؟! يقول :
- إنه موسي عبدي حبيبي الذي ائتمنه علي كل بيتي ، وأكلمه فماً فلم ...
- كيف أسمح لهؤلاء أن يهينوه وأنا صامت ؟! لابد أن ينالوا عقوبة لكي يوقروه ، وكل من يسمع يوقره أيضاً ... لعل مثل هذا يفهم من قول الله لأبينا ابراهيم " وأبارك مباركيك ، ولا عنك العنه "(تك ١٢ : ٣) ...

إنها كرامة عجيبة يعطيها الله لأحبائة . ليس فقط أن يكونوا مباركين ، بل أكثر من هذا أن يكونوا هم انفسهم بركة (تك ١٢ : ٢) ... كما كان إيليا بركه في بيت الأرملة ، وكما كان يوسف بركة في بيت فوطيفار وفي أرض مصر ، وكما كان إليشع بركة في بيت الشونمية ...

ومن الكرامة العجيبة التي يعطيها الله لأولاده ، والمعجزات التي يجربها علي أيديهم ...

معجزات كان يمكن ان يعملها الله لأولاده ، المعجزات التي يجربها علي أيديهم ..

معجزات كان يمكن ان يعملها الله بنفسه ولكنه يعهد بها إلي أحبائه ، ليكرمهم في أعين الناس ... إنسان مريض مثلاً يصلي إلي الله أن يشفيه . فبدلاً من ان يشفيه الله بنفسه ، يرسل إليه الله أحد القديسين فيشفيه ... يرسل سيدتنا العذراء أو مارجرجس أو القديسة دميانة . ويمجد الناس العذراء ومارجرجس و القديسة دميانة ... ويفرح الرب ... وينشد في آذان هؤلاء القديسين : من يكرمكم يكرمني ... أنا اكرم الذين يكرمونني ...

ونسأل الرب : إلي أي حد تكرمهم ؟ فيقول :

يجلسون علي اثني عشر كرسياً حولي ، ويدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر (مت ١٩ : ٢٨) .. نقول له يارب كيف يجلسون معك في مجدك ، أنت الذي تقف أمامك الملائكة ورؤساء الملائكة ؟ يقول " أنا أكرم الذين يكرمونني " . ونسأله : كيف يجلس هؤلاء يارب علي كراسي القضاء في يوم الدينونة ، بينما انت الديان وحدك ، ديان الأرض كلها ، الذي تدين الأحياء الأموات ، وقد دفعت إليك كل الدينونة من الآب (يو ٥: ٢٢) ؟ يجيب أن لذتي في بني البشر ... إنني أحبهم وسأكرمهم أكثر ...

إن كنت انا ديان الأرض كلها ، فسيدينون الأرض ... وإن كنت انا ملك الملوك ، فهم سيملكون معي ... وان كنت سأجئ في مجدي علي السحاب ، فسيأتون علي السحاب معي سيكونون في كل حين معي ، حيث اكون أنا يكونون هو أيضاً ...

الله يكرم كل هؤلاء ، بمحبته لهم وبسكناه معهم ، وبدفاعه عنهم ، وبإعطائهم مفاتيح السماء والأرض وبإعلان كرامتهم للناس حتي يكرموهم أيضاً ، وبالدالة التي يعطيهم إياها حتي يكلموه من جهة أحكامة ... هذه فكرة موجزة عن الدالة التي يجدها الأبرار عند الله ، ولاكرامة التي يمنحها لهم...

وعلي الجانب الآخر نجد الخطية عكس هذا

الخطية هي : حرمان من الله ،

وحرمان من الملائكة

وحرمان من مجمع القديسين

إن الإنسان ، إنما يحرم نفسه من الله ، يفصله ذاته وقبله عن الله ... فالخطية قبل كل شئ هي عدم محبة لله . . لأنه واضح قول الرب " من يحبني ، يحفظ وصايا "(يو ١٤ : ٢٣ ، ٢٤) . وواضح أيضاً قول الرسول " إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب "(١ يو ٢: ١٥) . الذي يحب الله يلتصق به ، وبكل ما يقربه إليه ... أما الذي يميل بقلبه إلي الخطية فإنه يبعد عن محبة الله لنه لا يستطيع ان يحب الله و الخطية في وقت واحد .

و الخطية هي أيضاً عصيان الله ، وثورة علي الله ، وتمرد عليه :

هي عدم مخافه الله ، تطورت إلي استهانة بوصاياه ، وإلي كسر لها ، أمام الله الذي يري الإنسان أثناء ارتكابه للخطية ، في سهولة . فهي إذن عدم حياء من الله ..ز

أما الإبرار فليسوا كذلك . هوذا الصديق عندما عرضت له الخطية يقول في إباء وخشية " كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلي الله "(تك ٣٩: ٩) ..ز لقد كان الله أمامه حينما عرضت الخطية عليه . وهكذا اعتبر أن الخطية هي ضد الله ذاته، وانه بها " يخطئ إلي الله "... وليس فقط إلي المرأة وإلي زوجها ... وبهذا المعني نفسه قال داود النبي لله " إليك اخطأت ، والشر قدامك صنعت (مز ٥٠: ٤) . مادامت

الخطية إذن موجهة إلي الله ، وقدام الله ، فهي إذن تمرد عليه ... إنها ثورة علي ملكوته ، ثورة علي قداسته وصلاحه ، ومحاولة لطرده من القلب ، وتمليك غيره مكانه ...

ولمال كان الله غير محدودة مثله . وأن قدمت عنها كفارة لابد أن تكون كفارة غير محدودة . وبهذا اصبح غفرانها لا يتم إلا بذبيحة المسيح ، ويوضع هذه الخطية علي كتفيه ليحملها عنا ، بكل ما فيها من نجاسة وعار ... الخطية تمرد علي الله ، وهي ايضاً معانده لروحة القدوس .

الخطية معانده للروح القدس

روح الله الذي فيك ، يريدك أن تحيا في القداسة التي تليق باولاد الله وهو يعمل فيك للخير و البر . فإن سرت في طريق الخطية ، تكون معانداً للروح ...

لذلك يقول الكتاب " ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم " (أف ٤: ٣٠) . إذن فكل من يرتكب إحدي الخطايا ، إنما يحزن روح الله ... ويقول الكتاب أيضاً " لا تطفئوا الروح "(١ تس ٥: ١٩) .

أن روح الله عندما يعمل في قلب إنسان .يلهبه بالحب ، ويلهبه بالحماس نحو الخير ، ويلهبه بالغيرة المقدسة علي نشر ملكوت الله .. لأن إلهنا نار آكله (عب ١٢: ٢٩) . وكل من يحوي الله في داخله إنما يحوي ناراً ملتهبه ... لذلك قيل عن الله :" الذي خلق ملائكته أرواحاً ، وخدامه ناراً تلتهب "(مز ١٠٤ : ٤) . ولهذا أمرنا الرسول أن نكون " حارين في الروح "(رو ١٢: ١١) . لأن كل من يعمل فيه روح الله ، لابد أن يلتهب بالحرارة الروحية . أليس ان روح الله عندما حل علي التلاميذ الطهار ، إنما حل عليهم بألسنة " كأنها من نار "(أع ٢: ٣) ؟!

لذلك كله ، نقول أن من يفعل خطية ، إنما يطفئ الروح كقول الكتاب .. وإطفاء هذه الحرارة ، يقودة إلي الفتور . وإذا استمر في الفتور يصل إلي برودة روحية بحيث لا يؤثر فيه شئ من الوسائط الروحية التي تلهب غيره من الناس ... ومع كل هذا يظل روح الله فيه ، ولكن حزيناً وحرارته منطفئه ... ولكن اخوف ما نخافه علي الخاطئ أن يفارقة روح الله ... كما فارق شاول الملك فبغته روح ردئ من قبل الرب (١ صل ١٦: ١٤) . وهذه الحالة المحزنة هي التي صرخ بسببها داود في صلاته قائلاً " لا تطرحني من قدام وجهك ، وروحك القدوس لا تنزعه مني "(مز ٥١ : ١١) ...

هذه الحالة الخطيرة هي التي يسمونها " التجديف علي الروح القدس ".

التجديف علي الروح القدس ، هو الرفض الكامل الدائم لعمل الروح القدس في القلب ... من كثرة الشر ، يصل الإنسان إلي حالة من قساوة القلب ترفض كل عمل للروح حتي الموت ... وحينئذ لا يمكن ان يتوب ، لأن التوبه تأتية نتيجه لعمل الروح القدس فيه ، لأن الروح يبكت الإنسان علي الخطية (يو ١٦ : ٨) . وإذ لا يتوب لا يمكن أن ينال مغفرة . لن القديسين قد قالوا " ليست خطية بلا مغفرة ، إلا التي بلا توبة ". وهكذا قيل إن خطية التجديف علي الر وح القدس لا مغفرة لها ...

لكننا لم نصل بعد إلي هذا الوضع المملوء يأساً ... ما يزال روح الله يعمل فينا للتوبة .. فعلينا ان نستسلم لعمل الروح ، ولا نرفضه ، بعناد ... أن كنا قد أحزنا روح الله من قبل ، فلا نستمر في إحزانه ... وإن كنا قد اطفأنا حرارته فينا ، فلا نستمر في لإطفائها ... لا يصح أن نستمر في عناد ، لئلا يفارقنا الروح ، فنشبه الهابطين في الجب ... ليتنا نكره الخطية ، التي تعاند عمل روح الله فينا . فإن الخطية خاطئة جداً إنها فساد للطبيعة البشرية .

الخطية فساد للطبيعة البشرية

من أجل هذا قيل عن الخطاة انهم " زاغوا وفسدوا "(مز ١٤ : ٣) ... إن الأنسان هو صورة الله ومثاله . ولكنه في حالة الخطية لا يكون كذلك يكون قد فسد ، ، وفقد صورة الله ... لذلك انا لا أوافق ذلك الذي يسقط ، فيدافع عن سقوطه قائلاً " هكذا شأن الطبيعة البشرية "... " انا معذور ، طبعي كده "!
كلا ، ليست هذه هي الطبيعة البشرية كما خلقها الله الصالح ، الذي بعد ان خلق كل شئ ، نظر إليه فغذا هو حسن جداً (تك ١: ٣١) . طبيعتك البشرية يا أخي هي في أصلها صالحة جداً . إنما انت تشكو في سقوطك من طبيعتك بعدما فسدت بالخطية ... هذا الفساد هو الذي شكا منه الرسول قائلاً " أما أنا فجسدي مبيع الخطية ... ويحي أن الإنسان الشقي ، من ينقذني من جسد هذا الموت "(رو ٧ : ١٤ ، ٢٤) ... إن الخطية تتلف طبيعتنا ، وتجعل مستواها السامي ينحط ...
لذلك فالخطية إنحطاط ... تصوروا إنساناً في مركزه العالي كإبن لله يحط نفسه إلي المستوي الذي يصير فيه إبناً لإبليس ... ويبلغ من الحطة الذي يصير فيه إلي ظلام ... وينسي مركزه العالي ، ويعمل كأحد أولاد الناس ... الخاطئ إنسان ينحط في نظر نفسه ، وتقل قيمته او تنعدم في نظر نفسه ... وسأضرب لكم مثالاً : هل يستطيع إبن ملك أن يجلس علي كوم من الزبالة ؟ قطعاً لا يستطيع ... كم بالولي إذن إبن الله ؟!...
والخاطئ أيضاً لا ينحط فقط في نظر نفسه ، وإنما أيضاً في نظرته إلي الناس . مثال ذلك ، شاب ينظر إلي أحد الفتيات نظرة شهوانيه ... لا شك انه لو كان سامياً في تفكيره لقال في نفسه : هذه الفتاه هي هيكل للروح القدس كيف ألمسه أو أنجسه ؟! لا يمكنني مطلقاً أن أفسد هيكل الله . لأن " إن كان أحد يفسد هيكل الله ، فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس هو "(١ كو ٣: ١٧) . إنما ينظر الفتي إلي الفتاة بشهوة لأن مستواها قد انحط في نظره ... هذه هي الخطية التي تفسد الطبيعة البشرية ، وتحولها من هيكل لله إلي أداة للفساد ... وهي لا تفسد الطبيعة البشرية فحسب . بل تفسد الأرض كلها ... ولذلك قيلا في سفر الرؤيا عن الزانية العظيمة إنها " افسدت الأرض بزناها (رؤ ١٩ : ٢) . وماذا عن الخطية ايضاً ؟

الخطية نجاسة وزني وعار

أن الخطية نجاسة :
لذلك فالملائكة الذين سقطوا تلقبوا بالأرواح النجسه (مر ٦: ٧) والأمراض التي كانت ترمز للخطية – كالبرص – كانت تعتبر نجاسة وكذلك الحيوانات النجسة .
ونري امثله في الكتاب المقدس عن نجاسة الخطية ، حيث يقول الوحي الإلهي علي فم حزقيال النبي " إن بيت إسرائيل لما سكنوا أرضهم ، نجسوها بطريقهم وبأفعالهم . كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطامث ...(حز ٣٦: ١٧) ، وعن كسر السبت يقول " نجسوا سبوتي "(حز ٢٠ : ١٣) . وعن أخطاء الكهنة يقول في سفر نحميا " لأنهم نجسوا الكهنوت " (نح ١٣ : ٢٩) . ومن جهة القتل يقول الكتاب " لأن أيديكم قد تنجست بالدم . وأصبعكم بالأثم " أش ٥٩ : ٣) . وعن الزنا يقول " ونجست الأرض بزناك . فأمتنع الغيث .." (أر ٣: ٢) .

ووصف الخطية بالنجاسة لا ينطبق فقط علي خطايا الزنا و القتل ، بل حتي علي خطايا الفم واللسان أيضاً .. فعن خطايا اللسان يقول السيد المسيح نفسه " ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان ، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان " (مت ١٥ : ١١) . وقد اطلق الرب كلمة النجاسة علي الخطية عموماً . فقال عن الأبرار " عندك أسماء قليلة ... لم ينجسوا ثيابهم فسيمشون معي في ثياب بيض لأنهم مستحقون "(رؤ ٣: ٤) . أما عن الخطاة فقال " أتيتم ، ونجستم أرضي . وجعلتم ميراثي رجساً "(أر ٢: ٧) .
إن عرفت كل هذا يا أخي ، أن الخطية نجاسة ، لابد انك ستنفر منها ستشعر انك في حالة الخطية " إنسان نجس "!! ستشعر أن كل كلمة خاطئة تخرج من فمك ، إنما هي تنجسك . لأن الذي يخرج من الفم هو الذي ينجس الإنسان .

ولما كان الزني هو أبرز ما في النجاسة ، لذلك اعتبرت الخطية زني وهكذا يقول الكتاب عن خطايا بني اسرائيل " زنت يهوذا "،" زنت إسرائيل (حز ١٦) أي أخطأت كل من هاتين المملكتين ...

وماذا قيل عن الخطية أيضاً ....

قيل إنها عار : " عار الشعوب الخطية "(أم ١٤ : ٣٤) .

وهي أيضاً مرض : وهكذا قيل عن فم اشعياء النبي " تركوا الرب ، استهانوا بقدوس إسرائيل ... كل الرأس مريض ، وكل القلب سقيم ، من أسفل القدم إلي الرأس ليس فيه صحة ، بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تعصب ولم تلين بالزيت "(أش ١: ٥، ٦) .

و الخطية أيضاً جهل : جهل بالله ، وبالإيمان ، وبالخير ، وربما ينبغي أن يكون ... وهكذا قال الرب " الثور يعرف قانيه ، والحمل معلف صاحبه ، اما إسرائيل فلا يعرف ، شعبي لا يفهم "(أش ١: ٣) .

وماذا تكون الخطية أيضاً ؟ الخطية أيضاً نقص ، وعيب وضلال ، وعمي وظلمة ، ونسيان لله ... وهي أيضاً ظلمة لأنها بعد عن النور الذي هو الله .ولذلك حسناً قيل عن الخطاة أنهم " أحبوا الظلمة أكثر من النور "(يو ٣: ١٩) ، وقيل أيضاً " أما الجاهل فيسلك في الظلام " (جا ٢ : ١٤) . أمران يجعلاننا ننفر من الخطية
طبيعة الخطية البشعة ، ونتائج الخطية المريعة
فما هي أذن : نتائج الخطية ؟

الفصل الثالث

أن عرفت نتائج الخطية

تتفر من الخطية

من نتائج الخطية الخوف و القلق:

الخوف و القلق

إنها تفقد السلام الداخلي ، وتملأ القلب بالخوف والإضطراب . إن القديس لا يخاف . ولذلك قال داود النبي " إن يحاربني جيش ، فلن يجاف قلبي . وإن قام علي قتال ، ففي هذا انا مطمئن " (مز ٢٦) . اما الخاطئ ، فهو علي الدوام خائف ، فاقد لسلامه " لا سلام ، قال الرب للأشرار "(أش ٤٨ : ٢٢) . وقال أيضاً " الأشرار كالبحر المضطرب " (أش ٥٧ : ٢٠) .

لقد بدأ الخوف مع الخطية الأولي ، خطية آدم وحواء ...

لم نسمع عن آدم أنه كان يخاف الله قبل الخطية . بل علي العكس عندما كان الله ينزل إلي الجنة كان آدم وحواء يقابلانه بفرح ويلتذان بالحديث معه . اما بعد الخطية ، فنقرأ أن آدم قد أختبأ خوفاً من وجه الله في وسط أشجار الجنة . ولما ناداه الرب ، صرح آدم بخوفه قائلاً " سمعت صوتك في الجنة فخشيت ، لأني عريان ، فأختبأت "(تك ٣: ١٧) . تصوروا ان الله المحبوب الذي يشتهي كل أحد أن يراه ، يصبح مخيفاً للخاطئ فيهرب من رؤيته !!

الله الذي هو " أبرع جمالاً من بني البشر "، " الذي حلقه حلاوة وكله مشتهيات "، يصبح مخيفاً للخاطئ ! عندما يراه الخاطئ يخاف ، او يهرب منه ويختبئ منه لكي لا يراه !!

النفس المحبة لله تقول مع عروس النشيد " أني أقوم في المدينة في الأسواق وفي الشوارع اطلب من تحبه نفسي ". وإن وجدته تقول " أمسكته ولم أرخه "(نش ٣ : ٢، ٤) . أما النفس الخاطئة فلا تضع أمامها سوي الآية التي تقول " مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي "(عب ١٠ : ٣١) . فالله مخيف بالنسبة إلي الأشرار . وأما الأبرار فهم اصدقاء الله يفرحون به . قال القديس الأنبا انطونيوس الكبير لتلاميذه " يا أولادي ، أنا لا أخاف الله فتعجبوا من عبارته واجابواه " هذا الكلام صعب يا أبانا "، فقال لهم " ذلك لأني أحبه ولا خوف في المحبة ، بل المحبة تطرح الخوف إلي الخارج "(١ يو ٤: ١٨) .

تخيلوا معي يا أخوتي ، أن الله قد حضر الآن في وسطنا . تري كم واحد منا يفرح لمجيئه ، ويدخل تحت أحضانه ؟ ... وكم واحد يهرب ويخاف ؟! الخطاه يخافون لقاء الله ، لذلك يخافون الموت ويرتعبون منه ...يخافون ساعة الدينونة الرهيبة التي سينكشفون فيها أمام الكل .. اما العداء الذين يشمتون بهم ، وأمام الأصدقاء الذين كانوا يظنونهم غير ذلك ، أتقياء وأبرار ... لذلك عندما تاتي تلك الساعة " يقولون للجبال غطينا ، وللتلال اسقطي علينا " (لو ٢٣ : ٣٠ ، هو ١٠ : ٨) . هؤلاء سيطلبون الموت ولا يجدونه ، ويرغبون أن يموتوا فيهرب الموت منهم "(رؤ ٩ : ٦) . حقاً إن آدم عندما أخطأ بدا يخاف ...

زحف شئ جديد رهيب إلي داخل نفسه لم يكن موجوداً فيها من قبل ... هو الخوف ، والرعب و فقدان السلام . إن هذا الخوف الذي خاف به آدم من الله هو مبدأ الأمراض النفسيه التي أصابت البشرية نتيجة للخطية ، لأن النفس بهذا الخوف بدأت تمرض . إن الشخص البار محتفظ بسلامه ، هادئ ومسرور . اما الخاطئ فيفقد سلا مه من الداخل ومن الخارج . من الداخل ضميره يثور عليه ... والروح القدس يبكته .

ومن الخارج يخاف ان تنكشف الخطية كما يخاف من نتائجها وعواقبها . لم نر أبداً إنساناً خاطئاً يعيش علي الدوام مستريح البال مهما نام ضميره . لابد أن يستيقظ هذا الضمير بعد حين ويثور عليه ويتعبه .

عذاب الضمير :

من أمثلة عذاب الضمير قصة تقال عن بيلاطس :

كان بيلاطس يعرف أن المسيح برئ ، ولذلك قال " ها أنا قد فحصت قدامكم ، ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه "(لو ٢٣: ١٤) . وإذ كان جالساً علي كرسي الولاية أرسلت إليه إمرأته قائلة " أياك وذلك البار . لأني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله ". ولكنه أمر بحكم الموت ضد ضميرة . ولأجل ان يريح ضميرة راحة زائفه ، اخذ ماءاً وغسل يدية قدام الجميع قائلاً : إني برئ من دم هذا البار "(مت ٢٧: ٢٤) . وتقول القصة إن بيلاطس عندما خلا إلي نفسه في منزله ، وجد يديه ملطختين بالدماء فغسلهما مرة ثانية . ولكن الدم لم يفارقهما . فغسلهما للمرة الثالثة وهو يقول " انا برئ من دم هذا البار ". ولكنه عاد الدم ما يزال يلطخهما . فاستمر يغسلهما مرات عديدة وهو يصرخ في رعب قائلاً " أنا من دم هذا البار ". أنها قصة تصور لنا مقدار الرعب وفقدان السلام الذي يصيب الخاطئ نتيجة لخطيئته .

إن الخطية متعبة . وقد لا يحس الإنسان بمقدار خطورتها إلا بعد وقوعها ، وربما بعد وقوعها بمدة ، حين يستيقظ الضمير ، من تلقاء نفسه أو بمؤثر خارجي ...

ومن أمثلة عذاب هذه اليقظة المتأخرة للضمير . قصة يهوذا الإسخريوطي

إن يهوذا لم يشعر ببشاعة خيانته في بادئ الأمر . كان مشغولاً بالتآمر و المقابلات والإتفاقات . وكان مشغولاً بالتآمر و المقابلات والإتفاقات . وكان مشغولاً بالمال وتسلمه . وبميعاد ومكان تسليم سيده حتي إنذارات الرب له لم يحس بها . وأخيراً عندما حوكم السيد المسيح وحكم عليه بالصلب ... إستيقظ ضمير يهوذا ، وظل يعذبه ، فوجد نفسه أمام خطيئة بشعة ومرعبة وبدأ يتذكر كلام الرب للتلاميذ " أنتم طاهرون ولكن ليس كلكم "، " أحد منكم سيسلمني "... " إبن الإنسان ماض كما هو محتوم . ولكن ويل لذلك الإنسان الذي يسلمه " (لو ٢٢ : ٢٢) ... وتذكر يهوذا أيضاً قول الرب له : ما تريد أن تعمله فاعمله بأقصي سرعة . ثم كلمة المسيح الأخيرة له " يا صاحب لماذا جئت "(مت ٢٦ : ٥٠) ، " أبقبلة تسلم ابن الإنسان "(لو ٢٢: ٤٨) . ولم يستطيع يهوذا ان يحتمل كل هذا ، وأتعبه ضميره جداً ، فقام وذهب لرؤساء الكهنة " ورد الثلاثين من الفضة قائلاً :" قد أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً . فقال ماذا علينا انت أبصر . فطرح الفضة في الهيكل وانصرف "(مت ٢٧: ٣) . ومع كل هذا استمر ضمير يهوذا يعذبه وظل يعذبه بلا هواده . وتسمرت صورة خطيئته في عمق بشاعتها أمام عينيه ... وأخيراً " مضي وخنق نفسه "(مت ٢٧: ٥) .

يا أخوتي ما أبشع الخطية ، وما أكثر رعبها ، عندما يستيقظ الضمير إن الإنسان قد لا يحس بمرارتها طالما هو في دوامه من الخطايا او من المشغوليات ولكن بمجرد أن ينتبه لنفسه أو يرجع لذاته ، يتعب ويتألم من منظر خطيئته . لذلك فإن بعض المجرمين يذهبون ويسلمون انفسهم للعدالة معترفين بجرائمهم .. لأنهم لم يستطيعوا ان يحتملوا تأنيب الضمير ولا القلق الداخلي الذي يتعبهم وفقدان السلام الناتج عن إحساسهم بالأثم . لذلك صدق قول الكتاب "لا سلام قال الرب للأشرار "(أش ٤٨: ٢٢) . وهناك قاعدة هامه عند علماء النفس تقول إن المجرم يظل يحوم حول مكان الجريمة في الإيام الأولي لحدوثها . لأنه

يكون قلقاً وخائفا من اكتشاف امره . ويقول في نفسه " يا تري هل تركت أثراً أم لم اترك . وهل عرف رجال البوليس أم لم يعرفوا ؟! ". من أجل هذا فإن رجال النيابة و الشرطة عندما يكتشفون جريمة يترصدون مكانها متخفين ، لكي يكتشفوا كل الأشخاص المشتبه فيهم الذين يحومون حول المكان . ومن أمثلة الخوف والقلق وفقدان السلام ، ما حدث لقايين بعد خطيته : عاش تائهاً وهارباً في الأرض ، خائفاً أن يقتله احد كما قتل اخاه ، شاعراً أن الله قد طرده عن وجه الأرض ، وطرده من أما وجهه (تك ٤: ١٣، ١٤) . وبهذا القلق قضي قايين حياته في خوف . ولم يستفد من خطيته شيئاً .... تطارده خطيته ويطارده صوت أخيه الصارخ من الأرض . هكذا الأمراض النفسية التي تصيب الخطاة نتيجه للقلق و الخوف والأنزعاج والأضطراب وتوقع الشر باستمرار .

أما الأبرار فعلي العكس من ذلك يعيشون في فرح وسلام ...

هم في فرح مستمر ، لا يضطربون ، ولا يقلقون ، ولا ينزعجون من الداخلي ، فالكتاب المقدس يقول " من ثمار الروح القدس محبة ، فرح ، سلام " (غل ٥: ٢٢) . إذن فالشخص الذي لا يعيش في سلام ، لا توجد فيه ثمار الروح القدس . قيل عن القديس الأنبا أنطونيوس ، في القصة التي كتبها عنه القديس أثناسيوس الرسولي " من من الناس كان مضطراً النفس أو منزعج القلب ، ويري وجه الأنبا أنطونيوس ، إلا ويمتلئ بالسلام ". مجرد رؤية وجه الأنبا أنطونيوس – في هدوئه وفرحه – كانت تملأ القلب بالسلام . ليس كذلك الخطاة ، ليسوا كذلك ، بل هم حزن وعذاب ، وبخاصة عندما يستيقظ ضميرهم ويلبهم بسياطة . وقد أخذنا فكرة عن عذاب الأشرار كيهوذا وقايين ...

ونريد أن نأخذ مثالاً عن عذاب الضمير للقديسين ممثلاً أفضل تمثيل في قصة داود النبي :

في أثناء الخطية ، كان داود النبي في نشوة اللذه الجسدية ، فلم يشعر بخطورة ما كان يفعل ...! حتي أنه اتبع خطية الزني بخطية القتل ، دون أن يتحرك ضميرة أو يتخرج . ولكن بعد أن واجهه ناثان وخطيته ، وبدأ يحس خطورة ما فعل ، حينئذ استيقظ ضميرة وبدأ يتعبه علي الرغم من قول النبي له " الرب قد نقل عنك خطيئتك ، لا تموت "(٢ صم ١٢ : ١٣) . عندما استيقظ ضميرة ، بلل داود فراشه بدموعه . وصارت دموعه له طعاماً نهاراً وليلاً ، ولصقت بالتراب نفسه ، وعاش في مذله من نفسه ، وصرخ إلي الرب قائلاً " إن عظامي قد اضطربت ، ونفسي قد انزعجت جداً "(مز ٦) . ورضي بالمذلة من اجل خلاص نفسه ، وقال في ذلك " خير لي يارب أنك أذللتي لكي اتعلم ناموسك "(مز ١١٨). حقاً إن الأنسان عندما تتكشف له خطاياه ، يصير من عذاب ضميرة وكأنه في جحيم .

هل تظنون أن " البكاء وصرير الإسنان " يكونان فقط في البحيرة المتقده بالنار والكبريت ؟ كلا ، بل يكونان علي الأرض أيضاً ، عندما يتعذب الإنسان في قلبه من هول خطاياه ... يحدث هذا في اوقات التوبة ،عندما يحس الإنسان التائب مقدار بشاعة خطيته ، ويبكي عليها بدموع وحرقة قلب ، ويلوم نفسه قائلاً : أين كان عقلي وتفكيري عندما فعلت هذا ؟! ... ويظل ضميره يؤنبه ، فتصطك أسنانه من الألم و الندم و الخزي و العار و الشعور باحتقار الذات ...

وفي الحقيقة خير التائب أن يقاسي " البكاء وصرير الأسنان " ههنا علي الأرض ، من ان يقاسيه هناك في الأبدية علي غير رجاء ... رأينا أنه من نتائج الخطية الخوف ، وفقدان السلام الداخلي ، والمرارة ، وعذاب الضمير ... علي أن هناك نتائج للخطية ...

نتائج الخطية

الخطية تغير الإنسان تغييراً كلياً ، ومن نتائجها :

١-فقد الصورة الإلهية :

خلق الإنسان علي صورة الله ومثاله . ولكنه في حاله الخطية لا يحتفظ بهذه الصورة الإلهية ، بل بفقدها . يفقدها من الداخلي ومن الخارج أيضاً إذ تترك الخطية طابعها علي وجهه وملامحه ، وعلي صوته وإشارتها بل تترك الخطية طابعها علي زيه وملابسه . وحتي كلماته أيضاً وأسلوبه ولغته تعبر عن الخطية الكامنه فيه ، حسبما قيل " لغتك تظهرك "(مر ١٤: ٧٠) . من أجل هذا قال معلمنا القديس يوحنا الحبيب " بهذا اولاد الله ظاهرون ، وأولاد إبليس (ظاهرون) " (١ يو ٣: ١٠) . فأنت أيها الأخ يا من غيرت الخطية شكلك وطباعك ، وأنت أيتها الأخت يا من غيرت الخطية وجهك وملابسك وصوتك . إرجعا إلي الله بالتوبة . وسيغير كما التوبة في كل شئ ، وتعيد إليكما الصورة الإلهية التي فقد تماها ... وكما يفقد الإنسان صورته الإلهية بالخطية ، كذلك يفقد كرامته ...

٢-فقد الكرامة :

كان الإنسان قبل الخطية نفخة قدسية خرجت من فم الله . كان صورة الله مثاله . اما بعد الخطية فإن الرب يقول له " أنت تراب ، وإلي التراب تعود ". عاد تراباً كما كان ، ولم يستحق أن يدعي صورة الله . اشتهي أن يكون له مجد الألوهية ففقد مجد البشرية الذي كان له . ولأنه – كالحيوانات – إشتهي ان يأكل ، لذلك أعطاه الرب أن يأكل العشب (تك ٣: ١٨) الذي كان من قبل طعام الحيوانات (تك ١ : ٣٠) .. وضاعت هيبته علي الحيوانات وأصبح يخافها وصارت لها إمكانية ان تأكله بعد ان كان سيداً عليها جميعاً (تك ١: ٢٦) ... حتي الحية اصبح في أمكانها أن تسحق عقبه (تك ٣: ١٥) .

حتي الأرض تمردت عليه .. وأصبحت تنبت له شوكاً وحسكاً (تك ٣ : ١٨) ، بل أن أقسي عبارة في تمرد الأرض علي الإنسان تظهر في قول الله "(متي عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها "(تك ٤ : ١٢) ...

الإنسان الخاطئ هو إنسان فاقد للكرامة ، فاقد للإحترام . هو لعبه في أيدي الشياطين وفي أيدي الأشرار ، ليست له هيبة ... بل أنه يفقد إحترام ذاته لذاته .

أنظروا إلي الإبن الضال ، وكيف صار يشتهي الخرنوب الذي تأكله الخنازير ، وكيف تمني أن يكون كأحد الأجراء في بيت أبيه ... ! بل أنظروا إلي نبوخذ نصر الملك وكيف مذعوراً عنه جلاله وصار كأحد الحيوانات (دا ٥: ٢، ٢١) . وشمشون الجبار ، كيف أنه بالخطية فقد قوته وفقد كرامته ، وأذله وهزأ به أهل فلسطين (قض ١٦ : ١٩ – ٢٥) . لا يخدعك الشيطان يا أخي ، إذ يصور لك في الخطية ملاذاً وشهوات ، ويعدك بكرامات وإغراءات . وعندما تذوق الخطية تجدها في الأخر مرة كالعلقم ، تقودك إلي الذل ، وتفقدك كل شئ ... وتورثك الكآبة و الضيق ، وتقودك إلي اليأس ، وتغطي بالخزي وجهك ... وكما تفقد فيها صورتك الإلهية وكرامتك ، كذلك تفقد بساطتك ونقاوتك ...

١ – فقد البساطه و النقاوة :

الإنسان البار هو إنسان نقي ، لا يعرف سوي الخير . اما عندما يخطئ ، فإنه يبدأ ان يعرف الشر أيضاً ، وهكذا يفقد بساطته . وينظر إلي الأمور بغير نظرته الأولي . ويعرف أموراً جديدة تسيئه معرفتها ، ويتمني لو كانت تزول من فكرة ..كان آدم وحواء عريانين في الجنة – قبل الخطية – ولا يخجلان . يعيشان في بساطة لا تعرف الدنس . ولكنهما بالخطية فقدا بساطتهما ، واضطرا ان يصنعا لهما مآزر ... وانت ايها الأخ ، ماذا فعلت الخطية بك ؟ هل أفقدتك بساطة فكرك ، ونقاوة قلبك . هل غيرت نظرتك إلي الناس ، ونظرتك إلي نفسك ، ونظرتك إلي الأمور . ما أبشع هذا التغير ليتك لا تتمادي ، حتي لا تفقد ما بقي لك من بساطة ومن نقاوة ... ليتك ترجع إلي الله بالتوبة ، حتي ترجع إليك نقاوتك الأولي . ويمنحك الرب ثوباً جديداً ابيض ...

الفصل الرابع

ها قد عرفت في الفصل السابق نتائج الخطية وما يمكن أن تحطمه في داخل النفس البشرية حيث تفقد صورتها وبساطتها ونقاوتها وتورثها الخوف و القلق و العذاب و الخزي و الهوان ، وبقي ان تأخـذ فكرة عن عقوبة الخطية ....

أن عرفت عقوبة الخطية

تخاف من الخطية

ينبغي أن نعرف جيداً أن الله كما أنه رحيم ولا حدود لرحمته ، كذلك هو أيضاً عادل ولا حدود لعدله ... وكما أنه شفوق يغفر الخطية ، كذلك هو قدوس يكره الخطية .

غير أن البعض – للأسف الشديد – يستغل مراحم الله إستغلالاً رديئاً يقوده إلي الاستهتار وإلي الخطية ، معتمداً إعتماداً زائفاً علي مراحم الله !!

مثل هذا يخطئ كما يريد ، وإن وبخته يقول لك " إن الله رحيم ... وحنون ... وطيب ... لا يصنع معنا حسب خطايانا ، ولا يجازينا حسب آثامنا ...! الذي غفر للمرأة الزانية يغفر لي ، والذي غفـر لزكـا العشار يغفر لي انا أيضاً ... والذي غفر لأوغسطينوس يغفر لي ويسامحني ... والذي قبل إليه مـريم القبطية وموسي الأسود ، يقبلني أنا أيضاً معهم "!! يقول هذا ، وينسي التوبة العجيبة العميقـة التـي كانت لأولئك القديسين ، والتي بسببها قبلهم الرب إليه . تلك التوبة التي كانت حداً فاصلاً في حياتهم ، وتغييراً كلياً لسيرتهم ، فلم يرجعوا إلي الخطية مرة اخري مطلقاً ، بل كانوا كل يوم يزدادون في النعمة وينمون في محبة الله ... ولم تكن رحمه الله لهم مجالاً للإستهتار أو للإستمرار في الخطية ، حاشا ...

ينبغي أن نفهم عدل الله ورحمته فهماً سليماً يقودنا إلي التوبة . وفي هذا المجال ما اجمل أن نـورد ما ذكرة القديس بولس الرسول عن لطف الله وصرامته "...

لطف الله وصرامته

هكذا قال الرسول العظيم معلماً :
" هوذا لطف الله وصرامته ،
أما الصرامة فعلي الذين سقطوا ،

وأما اللطف فلك ، إن ثبت في اللطف ،
وإلا ، فأنت أيضاً ستقطع .."
(رو ١١ :٢٢)

لا يصح إذن أن نعتمد علي لطف الله ، وننسي صرامته ... ولا يصح أن نعتمد علي رحمة الله ،ـ وننسي عدله

رحمة الله وعادلة :

إن صفات الله لا تنفصل عن بعضها البعض ، بحيث تقف واحدة منها مستقلة عن الأخري ، إنما نذكرها أحياناً منفردة ، من جهة التفاصيل وليس من جهة الفصل ،لكي يفهمها الناس . ولكنها متحدة لاهوتياً ...

الله عادل في رحمته ، ورحيم في عدله . عدله رحيم ، ورحمته عادلة . عدله مملوء رحمة ، ورحمته مملوءة عدلاً . ولا يمكن أن نفصل رحمته عن عدله ...

هذه الوحدة القائمة بين الرحمة و العدل هي أساس عمل الفداء .

لو كانت رحمة الله قائمه بذاتها – بدون العدل – لكان يكفي برحمته ان يقول للبشر " مغفورة لكم خطاياكم " ، وينتهي الأمر ، بدون صلب ... لكنه بالرحمة غفر الخطية ، و بالعدل دفع ثمن الخطية ...

ولأن الله عادل ، وتجسد ومات عنا ، ليدفع ثمن خطيئتنا ... العدل لابد أن يستوفي حقوقه ، حتي لو أدي الأمر أن يأخذ الله جسداً ، ويصير في الهيئة كإنسان ، ويأخذ شكل العبد ، ويهان ويصلب ويتعذب ويمـــوت ... إن كان هكذا عدل الله ، فأين نهرب من عدله ؟ يمكن أن تشبه معاملة الله لك أحياناً بالمرآة : فكمـــا أنك تنظر إلي المرآة في وقت ما فتري وجهاً بشوشاً فرحاً ، وتنظر إليها في وقت آخر فتري وجهاً حزينـــاً عابساً ، مع أن المرآة واحدة .... هكذا – كالمرآة – يريك الله حالتك ... تنظر إلي وجه الله ، فتري حالتك من الداخل . إن كنت تائباً ، تري الله في لطفه . وإن كنت مستهتراً ، تري الله في صرامته .

لطف الله وصرامته يمثلها الملاك الذي ظهر للمريمتين عند القبر ... هذا الملاك كان مخيفاً ومفرحاً ... كان مخيفاً للحراس لدرجة أن الكتاب المقدس يقول عنه " فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات "(مت ٢٨: ٤) . ونفس هذا الملاك كان سبب فرح للمرأتين ومصدراً لبشري مفرحة ... هكذا الله مخيف للبعض ومفرح للبعض الآخر .

ولطف الله وصرامته يظهران عموماً في عمل الملائكة :

كلنا نتكلم عن ملائكة الرحمة . فهل ننسي أنهم أيضاً ملائكة للعقوبة والأهلاك ؟

نحن نعلم ان ملاكاً أيقظ إيليا النبي وهو جوعان ، واعطاه طعاماً ليأكل . ومشي إيليا بقوة تلك الأكلة التي اخذها من الملاك أربعين يوماً (١مل ١٩: ٦– ٨) . ونعلم أن ملاكاً أرسله الله إلي هاجر عندما أشرف إبنها علي الموت عطشاً ، ففتح عينيها فأبصرت بئر ماء ، وشرب ولدها وعاش (تك ٢١ : ١٥–١٩) . ونعلم أن ملاكاً نزل غلي الجب ، وسد أفواه الأسود فلم تضر دانيال (دا ٦: ٢٢) . كذلك ذهب ملاك إلي السجن ، وأخرج بطرس منه بعد أن فك السلسلتين من يديه (أع ١٢: ٧–١٠) . ويعوزنا الوقت أن

نشرح عمل الملائكة الحالة حول المؤمنين وتنجيهم ،

والملائكة المبشرة بالخيرات ، والملائكة التي هي " أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص "(عب ١: ٤) . غير ان طبيعة الملائكة الرحيمة لم تمنع أن تكون الملائكة أيضاً للضرب و العقوبة والهلاك .

وسنضرب الآن أمثلة لملائكة أرسلهم الله للإهلاك و العقوبة : من أمثلتهم الملاك المهلك الذي ضرب كل أبكار المصريين ، فماتوا جميعهم في ليلة واحدة " من بكر فرعون الجالس علي كرسيه إلي بكر الأسير الذي في السجن وكان صراخ عظيم في مصر ، لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت " (خر ١٢ : ٢٩، ٣٠) كذلك الملاك الذي رفع سيفه علي أورشليم عندما اخطأ داود النبي وعد الشعب . ومات في ذلك اليوم

سبعون ألف رجل (١ أي ٢١ : ١٤) . ومن أمثلة ملائكة الإهلاك الملائكة السبعة أصحاب الأبواق الذين ورد ذكرهم في سفر الرؤيا ، وذكر ضرباتهم المخيفة (رؤ ٨: ٩) . و لاننسي أو اول ذكر للملائكة في الكتاب المقدس كان مرعباً ، إذ طرد الله الإنسان من جنة عدن ، وأرسل الكاروبيم بسيف من نار لحراسة طريق شجرة الحياة حتي لا يأكل منها الإنسان (تك ٣: ٢٤) .

ولعل اللطف والصرامة يتجليان في وقت واحد في الملاكين المرسلين إلي لوط ، أنقذاه وفي نفس الوقت ضربا الناس الأشرار بالعمي (تك ١٩: ١٠ ، ١١) . كما يتجليان معاً في قصة أليشع النبي مع نعمان السرياني ، إذ شفي نعمان من برصه ، وجعل البرص الذي كان عند نعمان يلصق بجيحزي " فخرج من امامه أبرص كالثلج "(٢مل ٥: ١٤- ٢٧) .

إن كان الله هكذا في لطفه وصرامته ، وهكذا أيضاً ملائكته وأنبياؤه ، فلنخف نحن أيضاً لئلا نتعرض لصرامه الله بسبب خطايانا ...

عقوبات الله المخيفة

إن رحمة الله التي لا تحد ، لم تمنع ورود أمثلة لعقوبات مخيفة ، أوقعها العدل الإلهي علي البشرية ، بسبب خطايا الإنسان التي تحدت قداسة الله ، وقاومت صلاحة ، وكسرت وصايا ...

- مثال ذلك الطوفان ، الذي محا الله فيه الإنسان من علي وجه الأرض ... (تك ٦: ٧) .

***مثال آخر هو حرق سدوم وعمورة ...**

إذ أمطر الله عليهما كبريتاً وناراً من السماء " وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض ... ونظرت إنرأة لوط إلي الوراء فصارت عمود ملح " (تك ١٩ : ٢٤- ٢٦) . ... ونحن نقف أمام الطوفان ، وأمام حرق سدوم وعمورة ونتعظ ونفكر ... من قال إن خطايانا هي أقل من خطايا سدوم ؟! أو أقل من خطايا الناس وقت الطوفان ؟! أو أقل من خطية إمرأة لوط التي صارت عمود ملح ؟!

ومن قال إن الله الذي أوقع هذه العقوبات في القديم ، قد تغير في العهد الجديد ؟!

إليس " هو هو ، أمساً واليوم وإلي الأبد "(عب ١٣: ٨) " ليس عنده تغيير ولا ظل دوران "(يع ١: ١٧)...

- **هو أيضاً الذي في العهد الجديد أوقع حنانيا وسفيرا ميتين ... من أجل أنهما كذبا في حديثهما** مع بطرس الرسول .. وكم من الناس يكذبون أثناء حديثهم مع الآباء الأساقفة والآباء الكهنة بل مع الآباء البطاركة أيضاً ...!
- وهو أيضاً الذي سمح لعبده بولس أن يقول عن خاطئ كورنثوس :
- **" حكمت ... أن يسلم مثل هذا للشيطان لإهلاك الجسد ، لكي تخلص الروح في يوم الرب** يسوع "(١كو٥: ٥) .
- ومن أعنف ما ورد في الكتاب المقدس عن عقوبات الله للخطاة : **اللعنات التي صبها الله علي من** يعصي وصاياه .

وقد وردت قائمة بهذه اللعنات في سفر التثنية إذ يقول الرب : " ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه ... تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك : ملعوناً تكون في الحقل ، ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك ، نتائج بقرك وإناث غنمك ، ملعوناً تكون في دخولك ، وملعوناً تكون في خروجك . يرسل الرب عليك اللعن والإضطراب و الزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله ،حتي تهلك وتفني سريعاً من أجل سوء أعمالك إذ تركتني تكون سماؤك التي فوق رأسك نجاساً ، والأرض

التي تحتك حديداً ... يجعلك الرب منهزماً أما أعدائك ، في طريق واحدة تخرج عليهم ،وفي سبع طرق تهرب أمامهم . وتكون قلقاً في جميع ممالك الأرض ... ولا تنجح في طرقك ، بل لا تكون إلا مظلوماً مغصوباً كل الإيام ، وليس مخلص ...
أيضاً كل مرض وكل ضربة – لم تكتب في سفر الناموس هذا – يسلطها الرب عليك حتي تهلك ... وتكون حياتك معلقه أمامك ، وترتعب ليلاً ونهاراً ، ولا تأمن علي حياتك . في الصباح تقول ياليته المساء ، وفي المساء تقول ياليته الصباح ، من ارتعاب قلبك الذي ترتعب ، ومن منظر عينيك الذي تنظر ..." (تث ٢٨ : ١٥ ، ٦٨) .

حقاً مخيفة ومرعبه هي هذه اللعنات . ومن شدة ما فيها من رعب أصمت عن تسجيل جميعها ... إنها تعطينا فكرة عن قداسة الله التي لا تتساهل مطلقاً مع الخطية ، وتعطينا فكرة عن عدل الله الذي يجازي الخطية حسب ما فيها من بشاعه ، فليتنا نقرأ كل هذا ونتعظ ونتوب ... وتاركين الخطية التي تسبب كل هذه اللعنات ...

- **حقاً أن اللعنه دخلت إلي العالم نتيجة الخطية :**
- عندما أخطأ آدم ، قال له الرب " ملعونة الأرض بسببك "(تك ٣: ١٧) . ثم تطور الأمر فزجفت اللعنة إلي الإنسان ذاته ، وهكذا قال الرب لقايين " ملعون انت من الأرض التي فزحفت فاها لتقبل دم أخيك من يدك "(تك ٤: ١١) " ملعون انت .." تماماً مثلما قال للحية من قبل " ملعونة انت ..." (تك ٣: ١٤) . وهكذا تشابه الإنسان الخاطئ مع الشيطان " الحية القديمة " وحق ان يسمي الخطاه بأنهم " أولاد إبليس "(١ يو ٣: ١٠) ، او أنهم " اولاد الأفاعي " (مت ٣:٧) ثم كانت لعنة الطوفان ، التي هي لعنة الإفناء (تك ٨: ٢١) . ثم كانت لعنة العبودية التي وقعت أولاً علي كنعان ، حيث قيل له " ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لأخوته "(تك ٩: ٢٥) . **ثم كانت لعنات الناموس (تث ٢٨) التي شملت عقوبات عديدة ... كان منها الموت والمرض و الوباء و الفقر والفشل و الظلم و القلق و الهزيمة ...**

وفي العهد الجديد لعن السيد المسيح شجرة التين المورقة غير المثمرة (مر ١١: ٢١) التي تعطي فكرة عن الرياء مع عدم التقوي ، وكانت رمزاً لكل من يسلك هذا السبيل .

- حقاً من يقرأ كل هذا ولا نخاف ؟! ومن يحتمل أن يلعنة الله ؟! بل من يحتمل أن يفقد البركة التي أخذها أولاً من الرب ؟! فلنتب يا اخوتي لأن كل هذه الأمور قد تركت لنا مثالاً ، وكتبت لإنذارنا ، نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور (١كو ١٠ : ١١) . **ولنغسل خطايانا بدموع التوبة ، قبل أن يلحقنا يوم الدينونة الرهيب حيث لا ينفع بكاء ولا توبة .**

عذاب الإبدية المرعب

إن مجرد التفكير في يوم الموت ويوم الدينونة ، يبعث في قلب الخاطئ قشعريرة ، ويقوده إلي التخشع و التوبة ...

- **إنه يوم رهيب مخوف :**
- يقول عنه إشعياء النبي " هوذا يوم الرب قادم قاسياً بسخط وحمو غضب ، ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خطاتها "(١٣ : ٩) . **" في ذلك اليوم يطرح الإنسان أوثانه ... ليدخل في نقر الصخور وفي شقوق المعاقل ، من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته ، عند قيامه ليرعب الأرض**

"(أش ٢: ٢٠ ، ٢١) وعن هذا اليوم يقول ملاخي النبي " فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور . وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشاً ، ويحرقهم اليوم الآتي – قال رب الجنود – فلا يبقي لهم أصلاً ولا فرعاً "(ملا ٤: ١) . حقاً أن يوم مجئ الرب لرهيب شرحه قال عنه المرتل في المزمور " السحاب و الضباب حوله . العدل والقضاء قوام كرسيه . النار تسبق وتسلك أمامه ، وتحرق أعداءه من حوله . أضائت بروقه المسكونه . نظرت الأرض فتزلزلت . ذابت الجبال مثل الشمع قدام الرب ، قدام سيد الأرض كلها "(مز ٩٧) . هذا اليوم الرهيب شرحه القديس يوحنا الرسول في رؤياه فقال " ونظرت لما فتح الختم السادس ، وإذ زلزلة عظيمة حدثت . والشمس صارت سوداء كمسح من شعر ، و القمر صار كالدم ، ونجوم السماء سقطت إلي الأرض كما تطرح شجرة التين سقاطها إذا هزتها ريح عظيمة . والسماء انفلقت كدرج ملتف . وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما . وملوك الأرض و العظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكل عبد وكل حر . أخفوا انفسهم في المغاير وفي صخور الجبال . وهم يقولون للجبال و الصخور أسقطي علينا ، وأخفينا عن وجه الجالس علي العرش وعن غضب الخروف ، لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ومن يستطيع الوقوف "(رؤ ٦: ١٢-١٧). هذا هو حال الخطاة والأشرار في ذلك اليوم. اما الأبرار فإنهم يصعدون إلي الرب علي السحاب ، ويكونون في كل حين مع الرب ، في مجده ... وبينما يكون الأبرار في " فرح لا ينطق به ومجيد "(١ بط ١: ٨) ، وبينما ترتفع تراتيل القديسين ومعهم قيثارات الله (رؤ ١٥: ٢، ٣) ، وبينما يتمتع هؤلاء بصحبة الرب وقديسيه في أورشليم السمائية ... بينما هؤلاء في النعيم ، يكون الأشرار في عذاب لا يطاق ، لا يعرفون للراحة طعماً إلي الأبد .

- عذاب الأشرار وآلامهم :

يقول الرب عنهم " فيمضي هؤلاء إلي عذاب أبدي ، والأبرار إلي حياة أبدية (مت ٢٥: ٤٦) . ويقول أيضاً " يرسل إبن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم ، ويطرحونهم في أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . حينئذ يضئ الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم "(مت ١٣: ٤١ ، ٤٢) . ما أشد هذا العذاب الأبدي الذي لا ينتهي ، في بكاء وصرير الأسنان في الظلمة الخارجية ، وفي لهيب النار ، يزيده إلماً تلك المقارنه التي تعقد بين حال الأشرار وحال الأبرار . يصف بولس حالتهم فيقول "... سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته ، متي جاء ليتمجد في قديسيه ويتعجب منه في جميع المؤمنين " (٢ تس ١: ٩، ١٠) . ويقول أيضاً " سخط وغضب ، شده وضيق ، علي كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودي أولاً ثم اليوناني . ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح ..." (رؤ ٢: ٨-١٠) . لا شك أننا نخاف ونرتعش حينما نسمع هذا الرسول القديس يقول :" فإنه إن أخطأنا باختيارنا – بعدما أخذنا معرفة الحق – لا تبقي بعد ذبيحة عن الخطايا بل قبول دينونة مخيف وغيره نار عتيده أن تأكل المضادين "(عب ١٠: ٢٦، ٢٧) . ويعلل الرسول ذلك قائلاً " من خالف ناموس موسي ، فعلي شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة . فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنساً وازدري بروح النعمة فإننا نعرف الذي قال : لي الإنتقام أنا أجازي يقول الرب ، وأيضاً الرب يدين شعبه مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي "(عب ١٠ : ٣١) و القديس يوحنا الحبيب ، الرسول المشهور بحديثة المستفيض عن محبة الله ، يتحدث في رؤياه عن البحيرة المتقدة بالنار و الكبريت "(رو ٢١ : ٨) . ويصف عقاب الخاطئ فيقول " سيشرب من خمر غضب الله المصبوب صرفاً في كأس غضبه ، ويعذب بنار وكبريات أمام الملائكة القديسين وأمام الخروف

. ويصعد دخان عذابهم إلي الأبدين . ولا تكون راحة نهاراً وليلاً "(رو ١٤ :١٠ ، ١١) . " وسيعذبون نهاراً وليلاً إلي أبد الآبدين "(رؤ ٢٠ : ١٠) . ويشرح كمثال لهذا العذاب عقوبة بابل الزانية فيقول " بقدر ما مجدت نفسها وتنعمت ، بقدر ذلك أعطوها عذاباً وحزناً ... وسيبكي وينوح عليها ملوك الأرض الذين زنوا وتنعموا حينما ينظرون دخان حريقها واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها قائلين : ويل ويل "(رؤ ١٨: ١٧- ١٠) . ما أرهب تلك الدينونة . من أجل هذا وضعت الكنيسة المقدسة ، أن يقال في صلاة الستار يارب إن دينونتك لمرهوبة ، إذ تحشر الناس ، ويقف الملائكة وتفتح الأسفار ، وتكشف الأعمال ، وتفحص الأفكار . أية إدانة تكون إدانتي أنا المضبوط في الخطايا ، من يطفئ لهيب النار عني ، أن لم ترحمني أنت يا محب البشر .." . والله لا يرحم الخاطئ ، إلا إذا كان يتوب ...

حقاً ، إنه خجل عظيم ، أن تكشف جميع العمال والأفكار ، أمام كل الناس والملائكة . من يستطيع أن يحتمل إنكشافه في تلك الساعة ؟ ومرعب أيضاً ومخجل أن ينفصل الخطاه عن الأبرار ... هنا علي الأرض يجتمع الكل معاً ، أنجس الفاسقين مع أقدس الصالحين . أما هناك فلا . يبدأ الله فيفصل الزوان عن القمح ، والجداء عن الخراف ، وأهل الشمال عن اهل اليمين . يحرم الخطاة من عشرة القديسين إلي الأبد ، ومن عشرة الملائكة ، ومن عشرة الله ... تصوروا الإنسان البار عندما ينتقل تحمله الملائكة مثل لعازر (لو ١٦: ٢٢) . وتأخذه إلي أحضان القديسين ... تقودة في ذلك وتعرفه بكل أحد . هذا هو نوح ، وهذا هو هابيل ، وهذا هو شيت ، وباقي الآباء البطاركة وهؤلاء هم موسي ، وصموئيل ، وأرمياء ، وأشعياء ،ودانيال ، وباقي الأنبياء ... وهنا الأنبا أنطونيوس ، والأنبا مقاريوس ، والأنبا باخوميوس ، وباقي الآباء الرهبان ... متعال لنريك الأنبا بولا ، وأبا نفر والأنبا ميصائيل وباقي الآباء السواح ... وانظر هنا الأنبا أثناسيوس ، والأنبا كيرلس ، والأنبا ديسقورس ، وباقي أبطال الإيمان ... وهنا مارجرجس ، ومارمينا ، والقديسة دميانة ، وباقي الشهداء ... وهؤلاء هم الملائكة ، والقوات ، والأرباب ، والسلاطين ، والشاروبيم ، والسارافيم وكل الجمع غير المحصي الذي للقوات السمائية ... إنها حفلة تعارف عجيبة تتعرف فيها الروح البارة علي مجمع الملائكة و القديسين

- أما الخطاة فيكونون واقفين من بعيد ، في الظلمة الخارجية ، بينهم وبين الأبرار هوة عميقة من بعيد ، في الظلمة الخارجية ، بينهم وبين الأبرار هوة عميقة ، محرومين من مجمع الأبرار ، ومن متعه الخلطة بهم ..

لا شك أنها مؤثرة جداً تلك الكلمات التي تشرح حالة الغني في الجحيم ، إذ يقول الكتاب في ذلك عنه :

فرفع عينيه في الجحيم ، وهو في العذاب ،
ورأي إبراهيم من بعيد ، ولعازر في حضنه ،
فنادي وقال يا أبي إبراهيم ارحمني ...
وأرسل لعازر ، ليبل طرف أصبعه بماء ،
ويبرد لساني ، لأني معذب في هذا اللهيب .
(لو ١٦: ٢٣، ٢٤)

يا للعجب أليس هذا هو لعازر المسكين الذي كانت الكلاب تلحس قروحه الذي كان هذا الغني إليه من قبل في اشمئزاز ... وهوذا الآن قد تغير الوضع ، وأصبح الغني العظيم يشتهي أن يأتيه لعازر ، ولا يحصل علي مشتهاه ... عن الخطية هي حرمان من القديسين ، وهي بالأكثر حرمان من الله ... كل هذا عن العقوبة الأبدية . ولكن بالإضافة إلي هذه ، هناك عقوبات أخري للخطية ، عقوبات علي الأرض .

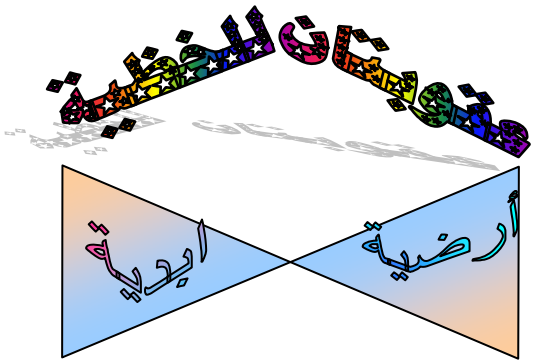

للخطية عقوبتان : عقوبة أرضية ، وأخري في الأبدية
أما العقوبة الأبدية ، فيمكن للإنسان أن ينجو منها بالتوبة . بعكس الأرضية التي قد فرضها الله علي الإنسان فيقاسيها علي الرغم من توبته .

- **اوبنا الأولان كمثال :**

عندما أخطأ آدم وحواء ، ماذا كانت عقوبتهما ؟ كانت هي الموت . هذا الموت خلصهما منه المسيح بموته . ولكن علي الرغم من حكم الموت هذا الذي أنذرهما به الله من قبل . لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أوقع الله عليهما عقوبة أخري أرضية .

- **فماذا كانت العقوبة الأضية لآدم وحواء ؟**

الطرد من الجنه كانت عقوبة مشتركة لكليهما . وماذا أيضاً ؟ قال الرب لآدم " ملعونه الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ... بعرق وجهك تأكل خبزاً ..." (تك ٣: ١٧،١٩) . وظلت عقوبة التعب وعرق الجبين لاصقة بجميع أبناء آدم إلي يومنا هذا علي الرغم من عمل الفداء العظيم علي الصليب . وقال الرب لحواء " تكثيراً أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولاداً ". وجاء السيد المسيح وغفر للمرأة خطيئتها ، ومع ذلك فهي ماتزال تحبل وتلد بالتعب و الوجع . إنها عقوبة أرضية ... أن هذه العقوبة الأرضية التي وقعت علي آدم وحواء ، هي مثال واضح لما يقاسيه الإنسان علي الأرض نتيجة خطيئته حتي إن غفرها الله له في السماء ...

- **مثال المراة الزانية :**

من المعروف أن السيد المسيح غفر لكثير من الزاينات كالمرأة الزانية التي بللت قدميه بدموعها ، ومستحتهما بشعر رأسها . وكالمرأة التي ضبطت في ذات الفعل وأنقذها الرب من الرجم قائلاً للمشتكين عليها " من كان منكم بلا خطية ، فليرجمها أولاً بحجر " (يو ٨: ٧) .

ومع هذه المغفرة فقد عاقب الرب المرأة الزانية بتطليقها وبعدم الزواج ثانية (مت ٥: ٣٢، مت ١٩: ٩، لو١٦: ١٨) . وكثير من الناس يتساءلون لماذا لا يسمح بالزواج للزانية ، وقد غفر الرب للمرأة الزانية .و الجواب بسيط . يمكن أن يغفر الرب للزانية إذا تابت ، وهكذا لا تفقد أبديتها بل تجد لها نصيباً في الفردوس . اما ههنا فإنه توجد لها عقوبة أرضية تكابدها جزاء خطيتها . مادامت لم تكن أمينه لزوجها ، فلا يمكن أن ياتمنها الرب علي زواج آخر ، بل تكون درساً لغيرها ... والعقوبة الأرضية علي أنواع : إما أن تكون نتيجة طبيعته للخطية ... وأما أن تكون ضربه من الله ... وأما ان تكون عقوبة من المجتمع ، أو من الدولة ، او من الكنيسه

العقوبة الأرضية كنتيجة طبيعية للخطية :

هناك خطايا كثيرة تحمل عقوبتها في ذاتها:

فالزاني مثلاً قد يصاب بالضعف أو الأنيميا أو بعض الأمراض السرية . و الذي يتعاطي المخدرات مثلاً قد يصاب بفقدان الشخصية وبتلف الأعصاب و الذي يدخن قد بالسرطان أو داء الرئة أو ضغط الدم أو غيرها من الأمراض . و الطالب الذي يهمل دروسة ، له عقوبة علي الأرض هي الرسوب و الفشل والذي يلعب الميسر (القمار) ، يصاب بالفقر و العوز .. والأم التي لا تربي إبنها ، تقاسي الأمرين علي الأرض من سوء أخلاق هذا الأبن .

كل هذه عقوبات علي الأرض ، غير العقوبة الأبدية . وقد تمحي العقوبة الأبدية بالتوبة ، وتظل العقوبة الأرضية كما هي . فالأم التي لم ترب إبنها ، قد تتوب وتغفر لها خطيتها ، ويظل إبنها مرارة قلب لها علي الأرض . والتلميذ الذي لم يذاكر ورسب ، قد يتوب ويغفر له الرب إهماله ، ولكن هذا لا يمنع ان سنة من عمرة قد ضاعت علي الأرض سدي ... و الذي تسبب له الخطية مرضاً ، قد تغفر له الخطية بالتوبة ، ويظل المرضي معه كعقوبة أرضية هي نتيجة طبيعيه للخطية .

العقوبة الأرضية كضربة من الله :

قد يكون المرض مثلاً نتيجة طبيعة للخطية كالأمراض التي تنتج عن التدخين وتعاطي المخدرات و الزني وشرب الخمر ... ألخ . علي أن هناك نوعاً آخر من الأمراض يعتبر ضربة من الله . مثل ضربة البرص التي أصابت جيحزي تلميذ أليشع عقاباً له علي محبته للمال وكذبة علي معمله (٢ مل ٥: ٢٧) ، ومثل ضربة البرص التي أصابت مريم أخت هارون وموسي عقاباً لها علي تكلمها ضد موسي (عد ١٢ : ١٠) ، ومثل ضربة الدمامل التي أصابت مصر عقاباً علي قساوة قلب فرعون (خر ٩: ١٠) . ومثل ضربة الوبا الذي اصابت بني إسرائيل عقوبة علي خطية داود الملك ، فمات منهم في يوم واحد سبعون ألف رجل (٢ صم ٢٤ : ١٥) وعن مثل هذه الضربة يقول الرب في لعنته للخاطئ " يلصق بك الرب الوبأ حتي يبيدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها . يضربك بالسل و الحمي و البرداء والإلتهاب و الجفاف و اللفح والذبول فتتعبك حتي تفنيك يضربك الرب بقرحة مصر و بالبواسير و الجرب و الحكة حتي لا تستطيع الشفاء "(تث ٢٨ : ٢١ ، ٢٢ ،٢٧) . وغير المرض هناك ضربات أخري من الله :

كالفشل مثلاً ... قد يكون الفشل نتيجة طبيعية لأهمال الإنسان وتقصيره ، وقد يكون أيضاً ضربه من الله لزوال البركة (تث ٢٨) . كذلك من أمثال هذه الضربات : الهزيمة ، والعبودية ، بل الموت أيضاً أن الخطية هي موت ، وعقوبة الخطية هي الموت أيضاً . مثلما حدث مع عالي الكاهن إذ لم يرب أولاده (١ صم ٤: ١٨) . تأمل يا أخي في حياتك . أنظر في كل ما فعلته وفشلت فيه ، لعل هناك خطية هي السبب في كل ما يصيبك من ضربات .

عقوبات للخطية مع المجتمع و الدولة والكنيسة :

هناك عقوبات للخطية تصيب الإنسان علي الأرض لا يوقعها الله مباشرة ، وإنما يوقعها المجتمع أو الدولة أو الكنيسة . فمن العقوبات التي ينالها الإنسان الخاطئ من المجتمع الفضيحة و العار وسوء السمعة ، بل قد يصل الأمر إلي الإحتقار أو إلي نبذ الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه وتحاشى الخلطة معه .. وقد تكون العقوبة الأرضية صادرة من الدولة معاً . عقوبة من الله . مع فضيحة من المجتمع ، مع سجن تحكم به الدولة ... وهناك أيضاً عقوبات كنيسة كثيرة تشملها كتب القوانين الكنيسة . ومن ضمنها الحرمان من التناول فترة معينة ، أو الحرمان من دخول الكنيسة ، أو الإيقاف عن الكهنوت أو التجريد ... أو عقوبات أخري لا داعي الآن لسردها . ولكني أقول الكنيسة عندما كانت صارمة وحازمة في عقوبتها ، كانت جماعة المؤمنين أكثر قداسة وحرصاً وتدقيقاً ، وفيها نخوف الله

...وأنت أيها الأخ ، أسال نفسك : هل ارتكبت خطأ تستوجب به حكماً كنسياً لم يوقع عليك ؟ ربما تكون هارباً من مثل هذا الحكم ولا تستحق دخول الكنيسة حسب القوانين .. إن العقوبة الأرضية أمر سمح الله ان يوقع حتي علي أحبائه القديسين الذين جاهدوا لأجله وفعلوا معجزات بإسمه .

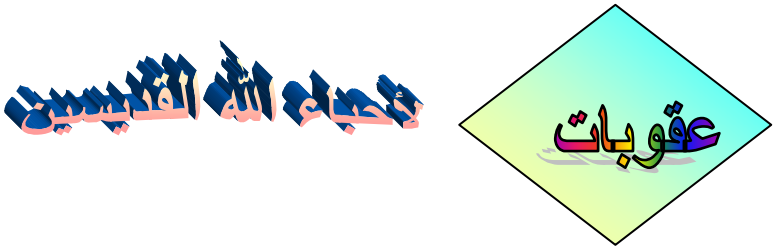

١- مثال داود النبي

أخطأ داود النبي ، زني وقتل .. ثم اعترف بخطيئته علي ناثان قائلاً " أخطأت إلي الرب " وسمع العفو الإلهي بقول ناثان له " والرب قد نقل عنك خطيئتك . لا تموت " (٢ صم ١٢ : ١٣) . وهكذا رفع الرب عن داود العقوبة الأبدية . أما العقوبة الأرضية فبقيت ... وكيف كان ذلك ؟

تاب داود توبة عجيبة وعميقة ،وصارت له الدموع خبزاً نهاراً وليلاً ، حتي قال " أعوم في كل ليلة سريري ، وبدموعي أبل فراشي " (مز ٦) . وانسحق نفسه في التراب و تذلل أمام الله ... ومع كل هذا ظل يطارده قول الرب " والآن لا يفارق السيف بيتك إلي الأبد ، لأنك احتقرتني وأخذت إمرأة أوريا الحثي لتكون لك إمرأة . هكذا قال الرب ... هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك ، وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس "(٢ : صم ١٢ : ١٠ ، ١١) .. وقد كان ... فلم يفارق الزني بيته متمثلاً في خطايا إبنيه أمنون وإبشالوم . ولم يفارق السيف بيته أيضاً حيث قام ضده إبشالوم . وخرج داود من أورشليم حافي القدمين وباكيا ومضطرباً وخائفاً من إبنه ... وقضي فترات ذل وتعب علي الأرض نتيجة لخطيته ... وحتي عندما أراد داود أن يبني بيتاً للرب ، وأعد كل شئ من حجارة وحديد " ونحاس كثير بلا وزن وخشب وأرز لم يكن له عدد " ، لم ينس له الرب الدماء التي سفكها ، بل كان إليه كلام الرب قائلاً " قد سفكت دماً كثيراً .. فلا تبني بيتاً لإسمي ، لأنك سفكت دماء كثيرة علي الأرض أمامي (١ أي ٢٢: ٣-٨) . وهكذا حرمه الرب من بناء الهيكل ، وبقيت العقوبة الأرضية علي الرغم من المغفرة في السماء

تكرر الأمر مرة أخري عندما أخطأ داود وعد الشعب ، فغضب عليه الرب عندئذ ندم داود : ضربة قلبه ، فأحس بخطيئته وتاب عنها ، واعترف بها إذ صرخ إلي الرب قائلاً " لقد أخطأت جداً في ما فعلت . والآن يارب أزل إثم عبدك ، لأني انحمقت جداً "(٢صم ٢٤ : ١٠) . فهل رضي الرب بهذه التوبة منه ، وهذا الإعتراف ، وهذه الصلاة ...؟ نعم قبل توبته ، وغفر له خطيئته ، ومحا عنه العقوبة الإبدية .

ولكن بقيت العقوبة الأرضية . وهكذا مضي الرب في معاقبته لعبده ، وعرض عليه ثلاث ضربات شديده تحمل معني الأفناء والأهلاك ، وهي الجوع و الوبأ وسيف الأعداء ! وقال داود مستسلماً " قد ضاق بي الأمر جداً . أقع في يد الله – لأني مراحم كثيرة – ولا أقع في يد إنسان ". إلا أن الله علي الرغم من هذا التذلل لم يشأ أن يعفو . وأرسل ملاكاً مهلكاً رفع سيفه علي أورشليم وقتل منها سبعين ألف رجل ، حتي صاح داود في ألم لا يطاق مخاطباً الرب " ها انا قد أخطأت وأنا أذنبت . واما هؤلاء الخراف ، فماذا فعلوا ؟! فلتكن يدك علي أنا وعلي بيت أبي "(٢صم ٢٤ : ١١-١٧). ما هذا يارب الذي فعلتنه مع عبدك داود ؟! أليس هو الذي قلت عنه " وجدت داود بني يسي رجلاً حسب قلبي "؟! (

أع ١٣ : ٢٢) . لماذا لا تتراءف ويغفر ؟ يقول : نعم أنا أغفر في السماء ، أما علي الأرض فيأخذ عقوبته ... يا للهول ...! حتي مع داود يارب ؟! حتي مع دود الذي يحبك ، الذي يحبك ، الذي قال لك " محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتي " (مز ١١٨) ؟! داود الذي كان ينهض في نصف الليل ايشكرك علي أحكام عدلك ، الذي كان يقول " سبقت عيناي وقت السحر ، لأتلو في جميع أقوالك "(مز ١١٨)؟! داود إلي كان يقول لك " يا الله ، أنت إلهي ، إليك أبكر . عطشت نفسي إليك . إلتحقت نفسي وراءك " (مز ٦٢) ...! داود رجل التسبيح و الصلاة ، رجل المزمور و القيثار و العشرة الأوتار .. داود تعمل معه هكذا؟!

فإن كان الأمر هكذا مع داود ، النبي ، المحبوب ، فماذا نقول نحن عن أنفسنا ، وليست لنا مثل دالته ، ولا مثل قداسته ، ولا مثل توبته ؟!

علينا ان نستيقظ إذن ونصحو لأنفسنا ، لأن إلهنا عادل ويحاسب كل واحد حسب أعماله ، مهما كان مركزه الروحي عند الله نفسه .إنه لم يفعل هكذا مع داود وحده ، بل مع موسي أيضاً :

٢ مثال موسي النبي

مثال موسي النبي ، أصعب في دلالته من مثال داود . من ذا الذي يستطيع ان يصف المحبة التي كانت بين الله وعبده موسي ؟! موسي حبيب الله وكليمه ، موسي رجل الآيات و المعجزات ، الذي شق البحر الحمر ، الذي ضرب الصخرة فأخرجت ماءاً . موسي الذي بصلاته حول الله المياه المرة إلي مياه حلوة ، الذي بصلاته انزل أله المن و السلوي من السماء ، الذي كان رفع يديه أقوي من جيش يشوع ، موسي الذي دافع الله عنه لما تقولت عليه مريم وهارون ، فضرب مريم بالبرص ، وقال لمريم وهارون " إن كان منكم نبي للرب ، فبالرؤيا استعلن له ، في الحكم أكلمه وأما عبدي موسي فليس هكذا ، بل هو أمين في كل بيتي . فماً إلي فم وعياناً اتكلم معه لا بالألغاز ، وشبه الرب يعاين . فلماذا لا تخشيان أن تتكلما علي عبدي موسي "(عد ١٢ : ٥-٨) . أخطأ موسي عندما ضرب الصخره مرتين قائلاً للشعب المتذمر " إسمعوا أيها المردة ، أمن هذه الصخرة تخرج لكم ماءاً ". فكانت النتيجة ان الله حكم عليه بعدم دخول ارض الموعد "(عد ٢٠ : ٧- ١٢) . ما هذا يارب الذي تفعله ؟ هل تنسي كل هذه العشرة الطويلة من أجل خطية واحدة حدثت في ظروف قاسية ؟! ولكن الله يصر علي أن موسي لا يدخل الأرض ! ما هذا الذي تقول يارب ؟ دا علي رأي المثل (طباخ السم بيدوقه) . وأنت تعرف كيف أنني تعبت من أجل هذا الشعب عشرات السنين واحتملت تذمره في صبر وأنا أقوده في البرية وهو متمرد صلب الرقبة ... هل تنسي تعبي ، انا موسي عبدك ، حبيبك ، صديقك ، كليمك ...! كل هذا ولا فائده ، والرب مصر علي عقوبته . وتضرع إليه موسي : أنا أخطأت ، يارب سامح ، يارب إغفر يارب أنس هذه الخطية "دعني أعبر وأري الأرض الجيدة ". وكأن الله يقول بنفس المبدأ ... انا أسامح في ملكوتي . أما ههنا فتنفذ العقوبة ، حتي علي موسي . ولماذا ازداد تضرع موسي النبي ، غضب الله عليه وقال له " " كفاك . لا تعد تكلمني أيضاً في هذا الأمر " (تث ٣: ٦) .وأخيراً بعد إلحاح ، وتوسلات وتضرعات ، سمح له أن يري الأرض من بعيد ، من علي الجبل ، ولكن لا يدخل إليها !! إن الله في عدله لم يجامل موسي حبيبه علي الرغم من دالته عنده . وانت يا أخي ما هي دالتك ؟ هل مقامك عند الله أعلي من موسي ؟!

إن كان الأمر هكذا ، أفلا تشفق علي نفسك وتتوب ، لئلا تتعرض لعدل الله نتيجة خطيتك ، فلا تشفع فيك حياة مقدسة سابقة . إن موسي وداود لم يفلتا من العقوبة ، فهل تفلت أنت ؟ أعطيك مثالاً آخر للعقوبة الأرضية هو يعقوب أبو الآباء :

٣- مثال يعقوب أب الآباء

يعقوب هذا الذي أحبه الله وهو في البطن ، قبل أن يولد ، وقبل أن يفعل خيراً ، قال الله " أحببت يعقوب وأبغضت عيسو " (رو ٩: ١٣). وأعطاه الرئاسة علي اخيه الكبير وهو في البطن ، فقال لرفقه " في بطنك أمتان ، ومن أحشائك يفترق شعبان .. وكبير يستعبد لصغير "(تك ٢٥: ٢٣). يعقوب هذا أخطأ ، أطاعة لمشورة أمه التي كانت تحبه أكثر من عيسو ، وخدع أباه وأخذ البركة ...

فلم يتركه الله بدون عقوبة ، علي الرغم من ظهورة له ، إذ نظر الله وجهاً لوجه (تك ٣٢: ٣٠) ،

وعلي الرغم من المواعيد التي منحه إياها ، والبركة التي زوده بها ، والرؤي التي اعلنها له . إذ ظهر له علي السلم الواصلة بين السماء والأرض وقال له " يكون نسلك كتراب الأرض ... ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض . وها أنا معك ، وأحفظك حيثما تذهب "(تك ٢٨: ١٤، ١٥) . علي الرغم من كل هذا ، كما غش يعقوب أباه ، سمح الله لأولاده أن يغشوه بالمثل ، عندما باعوا يوسف وغمسوا قميصه في دم تيس ذبحوه ، وأشعروا أباهم أن وحشاً قد اغترس يوسف . ووقع يعقوب في خدعة أولادة ، ومزق ثيابه ، وناح علي إبنه أياماً كثيرة (تك ٣٧: ٣١-٣٤) . كذلك خدعة خاله لابان ، وزوجه ليئة بدلاً من راحيل التي كانت أحب إلي قلبه والتي تعب من أجلها سنوات طويلة . وغشه خاله أيضاً في أجرته فغيرها مرات عديدة ...

وظلت المتاعب تلاحق يعقوب ، حتي أنه – في كلامه مع فرعون – لخص حياته في عبارة موجزة

قال فيها " أيام سني غربتي ... قليله وردية " (تك ٤٧: ٩) ... حقاً إن خطيته كانت قد غفرت ، وأظهر له الله رضاه بالبركة و الرؤي و المواعيد . ولكنه – علي الرغم من محبته له – لم يمنع عنه العقوبة الأرضية .. هل اقتنعت أيها الأخ المبارك بخطورة عقوبة الخطية . يعوزني الوقت لو ضربت لك امثلة اخري عديدة من الكتاب المقدس . إنما أترك هذا الأمر لتأملك الخاص وأعطيك الآن مثلاً أو مثالين من تاريخ الآباء :

٤- مثال القديس موسي الأسود

كان في مبدأ حياته قائلاً وقاسياً . ثم تاب ، وأتي إلي الدير وترهب ، وتدرج في حياة النعمة حتي صار مثالاً للوداعة و الطيبة ومحبة الأخوة ، وبلغ من محبته أنه كان أحياناً يمر علي قلالي الرهبان يحمل جرارهم سراً ويمضي إلي البئر ليملأها لهم ماءاً ومنحه الرب موهبة الرؤي وصنع المعجزات . وتناهي في القداسة جداً حتي صار مرشداً روحياً لكثيرين . فأخذوه ورسموه قساً . وصار من أعمدة

البرية المعدودين ولكن علي الرغم من كل هذه التوبة ، وهذه القداسة ، وهذه المواهب هل نسي

له الله خطاياه الأولي التي تستحق العقوبة ؟

نسمع أنه عندما هجم البربر علي الدير ، هرب الرهبان ، ودعوا الأنبا موسي ليهرب معهم . فقال لهم : انا اعلم يا أولادي أن البربر سيقتلونني ، لأنني قتلت كثيرين في شبابي . والكتاب يقول :" من أخذ بالسيف ، بالسيف يؤخذ "(مت ٢٦: ٥٢) . وحدث هذا فعلاً ، وهجم البربر علي أنبا موسي فقتلوه ، وتمت النبوءة ... لعل البعض يتساءل : مامعني أن يموت قديس عظيم هذه الميته البشعة ، وقد تاب عن جهالات شبابه ؟! ولكنها طريقة الله . مثال آخر :

٥- مثال القديس الأنبا بيمن

قرأت قصة في أحدي المخطوطات الثمينة بالدير ، قيل أن قديساً يدعي الأنبا بيمن كان متقشفاً جداً ، وكان يعيش حياة الفقر و العوز ، وتخلو مغارته من غطاء يقيه البرد بالليل ، هذا القديس زاره شاب فقضي الليلة في مغارة أخري إلي جوارة ولما أصبح الصباح سأله القديس بيمن كيف قضي ليلته ، فأجاب الشاب تعبت من شدة البرد لعدم وجود غطاء ". فقال القديس في خجل " أما ان فنمت متدفئاً ". فسألة الشاب كيف كان ذلك ، فأجاب " أتي أسد بالليل ونام إلي جواري فدفأني بجسمه ". ولنما انذهل الشاب مما حدث للقديس وكيف يرقد إلي جواره أسد دون أن يفترسه . حينئذ قال القديس " أنا أعلم يا إبني ، انه لابد ستفترسني الوحوش في يوم من الأيام . ذلك لأن شاباً طرقني ذات ليلة فلم أفتح له وكان خائفاً وقد افترسته الوحوش فعلاً كما عرفت "...

وحدث ما توقعه الأنبا بيمن ... هذه أمثلة للعقوبة الأرضية . ويوجد من امثلتها الكثير جداً لمن يقرأ الكتاب ويطلع علي قصص التاريخ ، وضعت كلها مثالاً لتعليمنا ...

لهذا كله ، لا يصح ان نفهم مراحم الله الواسعة منفصلة عن عدله . لئلا بحجة مراحم الله وحنوه وعطفة ، نقاد إلي الأستهانة والإستهتار ، ونرتكب الخطية غير شاعرين بخطورتها ،وفي محبة الله لنا نسي مخافته ...!

لأن بعض الناس تسبيح لنفسها الخطية ــ، وتظن أن الأمر في منتهي السهولة ! مجرد دقائق تقضيها مع أب الإعتراف ، تعترف وتنال الحل ، وكان شيئاً لم يحدث ...!! كان وصايا الله لم تكسر . وكأن قلب الله لم يجرح ...! حقاً أيها الأخ ، إن الأب الكاب عندما يقرأ لك صلاة التحليل ، غنام يضيف خطيتك إلي الكأس التي شرب الرب مرارتها ، فتنجو من العقوبة الأبدية بدم المسيح إنت كنت تائباً . أما العقوبة الأرضية فلها حساب آخر ربما لا تنجو منه... أحذر إذن لنفسك ، فالأمر ليس سهلاً كما تظن ... ومع ذلك فلتعزيتكم ، ولكي لا تقعوا في العب و اليأس ، أقول لكم إن الله لا يعاقب بعقوبة أرضيه علي كل خطية ... وذلك لأن خطايا الإنسان لا تحصي ، وهو في كل يوم يخطئ ..." وفي أشياء كثيرة نعثر جميعاً "(يع ٣: ٢) . فلو كان الله يعاقب بعقوبة أرضية علي كل خطية لتوالت العقوبات في غير نهاية ، وبغير حصر ، لتناسب عدد الخطايا ... ولكن الله يترك الكثير ... ووسط مئات الخطايا ، قد يعاقب علي واحدة منها ، حتي لا يستهتر الإنسان ويقع في اللامبالاه ، وأيضاً لكي يتضع ويستفيد روحياً كما حدث لداود النبي .

إن العقوبة الأرضية ، هي ولا شك من مراحم الله ، يدعونا بها إلي اليقظة ، فنضيق من غفلتنا ، كما فنشعر أننا أخطأنا ، وأننا أغضبنا الله منا ، فنتوب ، ونرجع إليه ... وهكذا ننجو من العقوبة الأبدية ، ليس لأن العقوبة الأرضية قد حلت محلها ، حاشا ! بل لأنها أيقظتنا لنتوب ، فنستحق المغفرة. أننا إن تألمنا هنا ، فهذا أفضل من الآم الأبدية ، ومن عارها ... ومع ذلك ، فإن كانت عقوبات الأبدية مخيفة ، فإن الأمر لا يزال بيدنا . فحتي هذه اللحظة ، مازال في أيدينا أن نقرر مصيرنا ...

لقد استطاع القديس بولس الرسول ان يقول بكل جرأة " وأخيراً وضع لي إكليل البر ، الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل "(٢ تي ٤: ٨) .

فهل تستطيع أن تقول نفس عبارة القديس بولس ؟! ليتك تستطيع ... وحتي إن كان إكليل البر قد وضع لك ، فاحترس ، و " تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك "(رؤ ٣: ١١) . وعش في حياة التوبة والإحتراس كل أيامك .

إن الخوف من عقوبة الخطية ، يدفعك إلي التوبة . ولا شك أن هناك دوافع أخري ، فما هي ؟....

الفصل الخامس
دوافع أخري للتوبة

هناك دوافع للتوبة ، تصدر من داخل الإنسان ، من مشاعر قلبه ، ذكرنا الكثير منها . وهناك دوافع أخري للتوبة تكون من الخارج ، تأتي إلي الإنسان حتي دون ان يطلب . ونذكر من بين هذه الدوافع :
زيارات النعمة :
إن الله " يريد أن الجميع يخلصون ، وإلي معرفة الحق يقبلون " (١ تي ٢: ٤) . ولذلك فهو يسعي إلي الخلاص الكل . ونعمته تعمل في الخطاة لكي يتوبوا ، لكي يريدوا ولكي يعملوا (في ٢: ١٣). كل إنسان لابد أن تأتيه زيارات النعمة ...

شاول الطرسوسي كمثال :

لقد شهد عن نفسه أنه كان من قبل مجدفاً ومفترياً ومضطهداً للكنيسة (١تي ١: ١٣). وكانت مناخس تنجس ضميرة لكي يترك هذه القسوة وهذا العنف ولكنه كان يرفس هذه المناخس ولا يستجيب .. وأخيراً ظهر له الرب في طريق دمشق وعاتبه بقوله " شاول شاول ، لماذا تضطهدني ؟ صعب عليك أن ترفس مناخس (أع ٢٦: ٤، ٥:٩) .وواضح أن قيادة شاول إلي التوبة وإلي ترك اضطهاده للكنيسة ، لم تبدأ من داخل نفسه ، إنما أتاه الدافع من الخارج من زيارة النعمة بلقاء الرب له ، الذي صالحه وأصلحه ودعاه لخدمته ...

نفس الوضع حدث مع يونان النبي ... كان هارباً من الرب ، وكان غير موافق علي المناداة لنينوي ، لئلا تدركها رحمة الله فتسقط كلمته ... وفعلاً لما قبل الرب توبة نينوى وخلص هذه المدينة جلس يونان شرق المدينة مغتاظاً ...! بل أنه إغتاظ حتي الموت " وقال " موتي من حياتي "(يون ٤: ١-٣) . وفيما هو هكذا ، زارته نعمة الرب لتخلصه من غمه الخاطئ ... كلمه الرب بنفسه لكي يصالحه ، لكي يشرح له ، ويغير قلبه ، ويقوده إلي التوبة ... وهكذا كانت النعمة بصوت الله وصلت إلي النبي ، كما حدث مع شاول ... ولكني لا يشترط في النعمة ان يكلم الله الإنسان ...

إنما قد يرسل الله شخصاً ، يبكت هذا الخاطئ لكي يتوب ...

كما حدث حينما أرسل الرب ناثان لكي يبكت داود ليتوب ... لم يكن داود يحس ما هو فيه ، بل كان يتدرج من خطية إلي أخري من الشهوة إلي الزني إلي القتل ... إلي أن زارته النعمة بمجئ ناثان إليه ، وتعريفه بخطورة ما حدث منه ...حينئذ فقط بدأت تستيقظ نفسه الغافلة ، وقال " أخطأت إلي الرب " (٢ صم ١٢: ١٣) . ثم بدأ قصة توبة عميقة ، بلل فيها فراشة بدموعه (مز ٦) . وهكذا لم تبدأ توبة داود من دوافعة الداخلية ، إذ كانت نفسه في غفوة مستمرة في الخطية ، إنما بدأت التوبة بدافع خارجي ، بتبكيت من الخارج . وهنا دخلت مشاعر التوبة إليه ، وبدأ العمل الداخلي فيه ... **وأنت أيها**

القارئ العزيز ، هل تدري ... ربما الإنسان الذي يبكتك علي خطية ، هو مرسل من نعمة الله إليك ، ليقودك إلي التوبة ...

فإن رفضته ورفضت توبيخه – حتي لو كان قاسياً – تكون رافضاً لنعمة الله العاملة فيك . وتكون زيارة النعمة قد افتقدتك ولم تستفيد منها .

لاتظن أن زيارة النعمة ، لا تأتي إلا عن طريق صوت الله أو صوت نبي ، أو عن طريق حلم أ رؤيا ، أو أمثال هذه الأمور الفائقة ، إنما قد يكون الأمر أبسط من هذا بكثير ...

فقد تفتقدك النعمة بمرض مثلاً ، يكون هو صوت الله إليك ..

كالمرض الذي افتقد به الرب مار أوغريس ، وقاده ليس فقط إلي التوبة ، وأنما إلي الرهبنة أيضاً . وكالمرض الذي افتقد به الرب الأنبا تيموثاوس السائح وكقصص أمراض عديدة وردت في الكتاب وفي التاريخ ... وقد يكون المرض الذي يفتقدك الربه ، مرضاً لا يصيبك أنت ، إنما يصيب أحد أحبائك المقربين إليك جداً . ويستطيع هذا المرض أن يشد ركبتيك إلي أسفل ، ويرفع يديك إلي فوق ، فتصرخ من أعماقك إلي الرب . وقد استطاع المرض أن يعصر قلبك عصراً ، فيتجه إلي الله ويصطلح معه من اجل هذا الذي تحبه ... وقد تكون زيارة النعمة علي شكل ضيقة أو مشكلة ... تكون هي أيضاً صوت الله إليك ، يناديك أن تتوب ، لكي يتراءف الرب عليك ويخرجك من هذه الضيقة وقد يدفعك الرب إلي أيدي أعدائك ، فيقوون عليك ، فترجع إلي الرب ، لكي ينقذك ، وأمثلة هذا الأمر كثيرة في سفر القضاة ... المهم أن تكون حواسك الروحية مدربة ، تستطيع أن تميز بها صوت الله الذي يناديك لكي ترجع إليه ... لذلك في كل ما يمر بك من أمراض ومن ضيقات ومن مشاكل ، لا تفصل شيئاً من هذا عن علاقتك بالله . إجعلها كلها تقوي علاقتك به ، وتعمق صلواتك ، وتزيد محبتك للرب ... وقد تأتيك زيارة النعمة ، أثناء قراءتك لكتاب روحي ، أو أثناء سماعك عظة روحية او لحن مؤثر ... فتجد شعوراً في داخلك ، يحثك أن تعمل شيئاً من جهة علاقتك بالله ... تجد قلبك في حالة غير طبيعية ، يتحرك داخلك ، أو يتحرك عمل الروح داخله . وتجد الروح القدس يبكتك علي خطية ، أو يشوقك إلي الحياة مع الله ، وإلي التصالح معه ... إنها زيارة من النعمة . إحرص ألا تفلت منك ... إن زيارة النعمة افتقدت فيلكس الوالي حينما كان القديس بولس الرسول يتكلم عن البر و التعفف و الدينونة العتيدة أن تكون ، فاتعب فيلكس (أع ٢٤: ٢٥) . ولكنه للأسف لم يستغل زيارة النعمة لمنفعته . بل قال لبولس " إذهب الآن ، ومتي حصلت علي وقت إستدعيتك ".

أما أنت فإن زارتك النعمة ، لا تنس قلبك ، ولا تؤجل التوبة ... إستفد من كل شعور روحي تحدثه النعمة في داخلك ، وبخاصة حينما تشعر بثورة في داخلك علي حياة الخطية ، وبمحبة طارئة نحو الله ، ربما لم تكن موجوده في داخلك من قبل ...

لقد زارت النعمة أغريباس الملك فيما كان القديس بولس يتكلم ، فقال أغريباس لبولس " بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً "(أع ٢٦: ٢٨) . واكتفي أغريباس بمجرد الإقتناع ، دون أن يخطو خطوة أخري ...

أما انت فإن زارتك النعمة ، لا تكتف بمجرد الأقناع ... لأنه ماذا يفيدك إن اقتنعت ان طريقك خاطئ ... دون أن تقوم عملياً بتغيير هذا الطريق ...

لا تجعل زيارة النعمة في عقلك فقط ، أو حتي في قلبك فقط ، إنما يجب أن تعمل أيضاً في إرادتك ، فتقوم وتعمل عملاً . علي أن زيارات النعمة تقدم لنا حقيقة جميلة ومعزية وهي :

حتي إن كنت أنت لا تسعي إلي خلاص نفسك ، فإن الله المحب يسعي بنعمته لكي يخلصك ، وهو الذي يبدأ ... كل ما يريده الرب منك هو الإستجابه لصوته في داخلك ، يريدك أن تعمل معه ، حينما

يبدأ هو ان يعمل فيك ، يريدك حينما تسمع صوته أن لا تقسي قلبك ، وحينئذ تقودك زيارة النعمة إلي التوبة ، كما قادت كثيرين ... وحينئذ تقودك زيارة النعمة غلي التوبة ، كما قادت كثيرين ... إن

زيارات النعمة تعطي لكل خاطئ دفعة من رجاء ...

يثق بها أن الله يحبه ، وأنه لا ينساه أبداً في رعايته ، ويبحث عنه كما بحث عن خروفة الضال .وان لم تكن في قلب هذا الخاطئ مشاعر تقوده إلي التوبة ، فإن الرب يغرس في قلبه هذه المشاعر بعمل نعمته ، ويمهد كل الوسائط التي تجعل قلبه يتحرك نحو التوبة ...

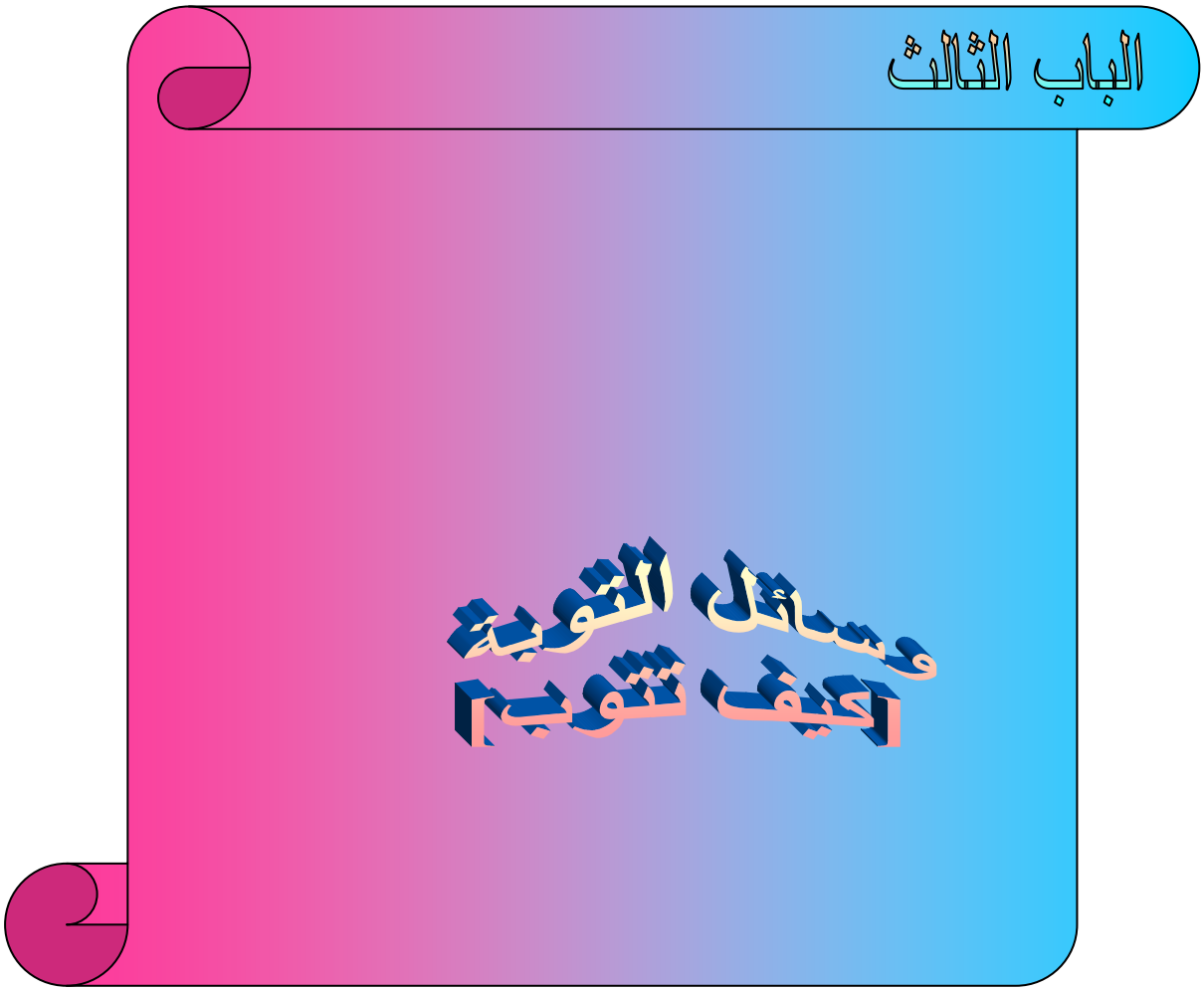

قد يكون لكل إنسان الأسلوب الذي يصل به إلي التوبة ، أو الأسلوب الذي تراه النعمة مناسباً له ، أو مناسباً لظروفة ....
علي الرغم أن هناك قواعد عامة – في الطريق إلي التوبة – تتناسب الكل . ولعل من اهم هذه القواعد النصائح التالية :

١- أجلس مع نفسك . حاسبها . واخرج معها بقرار ...
٢- لا تلتمس لنفسك الأعذار و التبريرات .
٣- لا تؤجل التوبة . أبداً من الآن ، وأنتهرت الفرص .
٤- إهتم بخلاص نفسك . وأعرف ما يطلبه الله منك .
٥- إبعد عن الخطوة الأولي إلي الخطية .
٦- إبعد عن قساوة القلب ، حينما تعمل النعمة فيك .
٧- أعد تقييم سلوكك . وابعد عن الخطايا التي تلبس ثياب الحملان .
٨- إبعد عن الثعالب الصغار المفسدة للكروم . واسلك بتدقيق .
٩- إهتم بالأعتراف و التناول .
١٠-إهتم بعلاج نقط الضعف التي فيك ، وبالذات الخطايا المحبوبة منك .
١١- إهتم بمحبة الله ، لتطرد منك محبة الخطية .
١٢ – صارع مع الله وخذ منه قوة ، لكي بهذه القوة تتوب .

وسنحاول أن نتناول كل هذه النقاط واحدة فواحدة ... لكي نتأمل نفعها في حياة التوبة ...

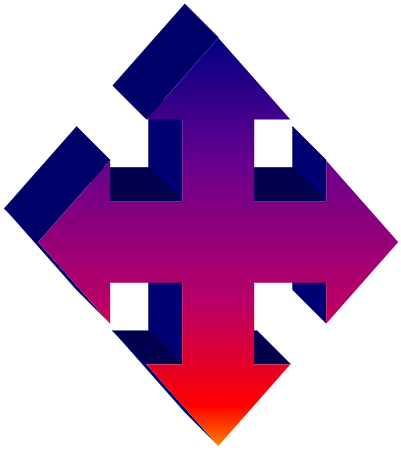

١ -إجلس مع نفسك

أنت تريد أن تتوب ٠ هذا حسن جدا ٠ الله أيضاً يريدك أن تتوب لأنه " يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون " (١تى ٢ : ٤) ٠ ولكن يبقى السؤال أمامنا هو :
تتوب عن ماذا ؟ وكيف تتوب ؟

لذلك فأنت محتاج أن تجلس إلى نفسك ، لأنك واحد من إثنين :

١- إما أنك لا تحس ما أنت فيه من خطأ ٠ لا تعرف حالتك بالضبط ، ولا تدرك أخطاءك ، ولا عمقها وبشاعتها ، لأن دوامة المشغوليات والإهتمامات تجذبك إليها باستمرار ، وأنت غارق فيها تماماً ٠٠ ليس لديك وقت أن تفكر أو نفسك وفى روحياتك ، وربما لم يخطر هذا الموضوع على فكرك !

فأنت إذن محتاج أن تجلس إلى نفسك ، لتدرك حالتك وتعرف أخطاءك ٠

٢-أو أنت تعرف أخطاءك ، أو تعرف البارز منها ٠ ولكن ليس لديك وقت ولا فرصة ، لكى تفكر كيف تترك هذه الأخطاء ، وكيف تعالجها ٠٠ فقبل أن يدور بذهنك أن تعالج خطأ معيناً ، تكون قد وقعت فيه مرة أخرى ، أو وقعت فى غيره أو في ما هو أبشع منه ٠٠ والأخطاء و الخطايا تحيط بك من كل ناحية ٠ وليست هناك فرصة للتخلص منها ٠

فأنت محتاج إذن أن تجلس أيضاً غلى نفسك لكى تعالجها ٠

إنك تشبه مريضا : إما أنه لا يحس ما فيه من مرض ، أو يدرك أنه مريض ، ولكنه يحتاج إلى كشف وتشخيص دقيق وعلاج

أتحتاج أن يجلس إلى أجهزة التحليل ، وغلى كشف الأشعة ، ومعرفة ما يدور في داخله بالضبط ، ونوعية ومدى خطورة أمراضه ٠ وهو يحتاج أيضاً أن يعرف العلاج ، ويمارسه لكى يشفى ، وأن يتابع هذا العلاج طبيب حكيم خبير بالأمراض وعلاجها ٠٠ وهذا كله لا يتأتى للمريض إلا إذا أنتزع نفسه من جميع مشغوليته مهما كانت أهميتها ، وجلس إلى أجهزة التحليل والأشعة لمعرفة نفسه ن بعيدا عن الناس٠ وهنا تبدو أهمية الجلوس مع النفس روحيا ٠٠

ولكن ما هو برنامج هذه الجلسة الروحية وعمل الإنسان فيها ؟

إنها جلسة هدفها التوبة و تنقية النفس ٠ وذلك بأن تكتشف خطاياك وضعفاتك ، وتلوم نفسك عليها ٠ ثم تعرف أيضاً أسباب سقوطك ، سواء أكانت أسبابا خارجية تضغط عليك ، أو أسبابا داخلية تسعى فيها أنت إلى الخطية ، أو هى طباع وعادات أو تأثر بآخرين ٠٠ وتحاول أن تتحاشى كل هذا وتبعد عنه أو تعالجه

وفى هذه الجلسة تعرض ضعفاتك وخطاياك على الله ٠٠

تعرض عليه كل ضعفاتك ، لكى تنال منه القوة ، وتعرض عليه في ندم كل خطاياك ، ليهبك الحل والمغفرة تعرضها وأنت تقول للرب فلا صلاة منسحقة ، ما سبق أن قاله داود : " إنضح على بزوفاك فاطهر ، واغسلنى فأبيض أكثر من الثلج " (مز ٥٠) ٠ ثم تخرج من هذه الجلسة ، لكى تعترف بهذه الخطايا أمام الأب الكاهن ، لكى يقرأ لك صلاة الجلسة ، ويرشدك بما يلزم ، ويسمح لك بالتناول

وفى جلستك الروحية مع نفسك ، تعزم في قلبك عزماً أكيدا على ترك الخطية ، بكل رضى واقتناع داخلى ٠٠

فانت لا تقصر جلستك فقط على بحث الماضى والندم عليه ، ولوم النفس وتبكيتها على سقوطها ٠٠ إنما أنت أيضاً في جلستك مع نفسك :

تضع خطه حكيمة للمستقبل من واقع حالتك واختباراتك ٠٠

وتصمم في أعماقك أن تسلك فيها بتدقيق شديد ، ويجدية والتزام وفى هذا العزم على حياة نقية في المستقبل ، لا تته وسط تفاصيل عديدة ، إنما إهتم أولا بنقط الضعف الواضحة التى فيك ، و بالفضائل الأمهات التى تحوى داخلها باقى الفضائل ٠٠ فإنك إن أدركت واحدة منها فى عمقها – كمحبة الله مثلا – أدركت الحياة الروحية كلها

وهذا العزم المقدس ، لابد أن تعرضه على الله ليباركه ويقويك ٠
وأنا أنصح أن هذا لا يكون نذراً تنذره كما يفعل البعض ٠ ولا يكون استنزالا للويلات على نفسك ، كما يقول البعض " يفعل بى الله ويزيد ،إن فعلت هذا مرة أخرى فى المستقبل ٠٠"
فهذه النذور والويلات ، قد تحوى فى داخلها إعتماداً على ذراعك البشرى ٠
كأن لك القوة الذاتية التى تستطيع أن تنفذ بها ما تعد الله به ، مهما كانت العقبات والحروب التى تصادفك ٠ وما أكثر من وعد الله وعودا ، ولم ينفذ ٠ ثم عاد ليقول فى حزن :
كم وعدت الله وعداً حانثا ليتنى من خوف ضعفى لم أعد
إنما الأمر لا يعدو أنها رغبات مقدسة ، تعرض فيها إرادتك وعزمك أمام الله ، ليعطيك قوة على التنفيذ ، لأنك بدونه لا تستطيع أن تفعل شيئا (يو ١٥ : ٥) ٠ وهكذا تتحول جلستك مع نفسك إلى صلاة تطلب فيها القوة للسير فى حياة التوبة ونقاوة القلب ٠٠
ولا شك أن الشيطان يقاوم بكل قوته جلوسك مع نفسك ٠ لأنه يخشى أن تفلت من سيطرته ، عن طريق أمرين :
أ-إنه يخشى أن تجلس مع نفسك ، فتدرك سوء حالتك حالته الروحية ، فتفكر جديا فى التوبة ، وبهذا تفلت من يده ٠
ب-يخشى إن جلست مع نفسك ، أن تجلس مع الله ايضاً ، و تنال منه قوة روحية لا يقوى الشيطان على مقاومتها ، فتغلبه بهذه القوة الإلهية ٠
والشيطان جرب أن كثيرين ، جلسوا مع أنفسهم فتابوا ٠٠ وكمثال لهؤلاء قصة الإبن الضال (لو ١٥ : ١١ – ٢٤) ٠
لما كان هذا الإبن الضال مشغولا مع أصحابه ، إستمر فى ضلاله ، إذ لم يكن لدية وقت ولا رغبة للجلوس مع نفسه ٠٠
ولكن كيف إذن بدأت قصة توبته ؟تلك القصة التى استحقت أن تسجل فى الإنجيل من فم الرب نفسه
بدأت لما جلس إلى نفسه فى يوم ما ، وفحص حالته ، وفكر فى حياته وفى الوضع الذى وصل إليه ٠ وأدرك الحقيقة المرة
أدرك – فى جلسته مع نفسه – مقدار سوء حالته التى انحدر إليها ٠٠ فقالت " كم من أجير عند ابى بفضل عنه الخبز ، وأنا هنا أهلك جوعا " ٠٠ ولكن هل مجرد إدراك سوء الحالة يكفى ؟ كلا ٠ إنما لابد من الوصول إلى جل ٠ وما هو الحل ؟ قال "أقوم وأذهب إلى أبى ،وأقول له " أخطأت إلى السماء وقدامك ، ولست مستحقا أن أدعى لك إبنا ٠ إجعلنى كأحد أجرائك " (لو ١٥ : ١٧ _ ١٩) ٠
لقد أدرك سوء حالته ، وعرف الحل ، ووصل إلى قرار ، و نفذ ٠٠
نفذ فى الحال ،إذ يقول الكتاب بعدها مباشرة " فقام وجاء إلى أبيه ٠٠ " (لو ١٥ : ٢٠) ٠ وبدأ حياة جديدة إصطلح فيها مع الآب ٠٠
ويقينا لو لم يجلس الإبن الضال هذه الجلسة المصيرية مع نفسه ، ما كان قد وصل إلى القرار وإلى التوبة والإنسحاق و الرجوع والتصالح ، والخروج من قبضة الشيطان ،إلى حيث لبس الحلة الأولى ٠٠
مثال آخر هو القديس أوغسطينوس ٠٠
إنه لم يستطيع أن يتوب وهو فى دوامة المشغوليات ، دوامة الصحاب و الخطية واللذة ، ثم دوامة الفلسفة و الفكر ٠٠ ولكنه لما جلس إلى نفسه ، تلك الجلسة العميقة ٠ استطاع أن يصل إلى الإيمان وإلى التوبة ، و يرجع إلى الله ، و يفلت إلى البد من قبضة الشيطان ، ويصير بركة لكثيرين ٠

إنها ليست مجرد جلسة عادية ،إنما هى جلسة مصيرية ..
صدقونى إن أهم عمل للآباء و المرشدين والوعاظ ، هو دعوة كل إنسان خاطئ إلى الجلوس مع نفسه فى حضرة الله ، وفى ضوء وصاياه ، مثلما فعل أوغسطينوس أو الإبن الضال الذى حسنا قيل عنه إنه " رجع إلى نفسه " (لو ١٥ : ١٧)
لذلك فالشيطان يقاوم جلوس الإنسان مع نفسه . وذلك بأمرين :

أ-إما أنه يمنع جلوسك مع نفسك بأن يقدم لك عشرات المشغوليات ،

ومئات الأفكار . ويذكرك بأمور ترى أنها هامة جداً ويجب أن تتفرغ لها . وكل ذلك لكى تعود إلى دوامتك مرة أخرى .. مثال ذلك إن انتهرت فرصة بداية عام جديد من حياتك لتجلس مع نفسك ، يمكن للشيطان أن يعمل على شغل هذه المناسبة بالحفلات والمجاملات ، حتى تشتغل بها ولا تخلو للتفكير في نفسك .
وإن كانت بداية عام ميلادي ، أو عام قبطي ، تريد أن تجلس فيها مع نفسك ، يحاول أن يمنعك عن ذلك بأنشطة روحية واجتماعات وكلمات ، حتى لا تتفرغ لنفسك . فما أسهل في عيد النيروز مثلاً ، أن ننشغل بالحديث عن الشهداء وعذاباتهم واحتمالهم وشجاعتهم وأمجادهم ، وننسى أنفسنا .. نتحدث عن التاريخ ، وننسي الواقع الذي نعيشه .. نتحدث عن جدودنا العظام ، ولا نفكر في كيف نشاتهم ... حسنة بلا شك هي أخبار الشهداء ، ولكن إلى جوارها فلنفكر في أنفسنا ، لأنهم تركوا لنا مثالاً لنقتدي به ...
ولكنها محاولة – ولو بأسلوب روحي – لمنع الإنسان من الجلوس مع نفسه . فإن أصررت على الجلوس مع نفسك . وقلت " إفعلوا هذه ، ولا تتركوا تلك " .. حينئذ يلجأ الشيطان إلى حيلته الثانية وهي :

ب – يحاول الشيطان أن يدخل في جلستك مع نفسك ، ليفقدها فوائدها ..

إنه لا ييأس أبداً . مادام لم يستطع أن يمنعك عن الجلوس مع نفسك ، فليمنع عنك رو حياتهم . وذلك بأن يقدم لك أفكاراً وأحاسيس ، ويمنعك من تبكيت نفسك ، ويخفف من مشاعر ندمك .. ! فكيف ذلك ؟
إن تذكرت أيه خطية ، فبدلاً من أن ينسحق قلبك بسببها ، وتوبخ ذاتك عليها بدموع التوبة ، يقدم لك الشيطان عنها أعذاراً وتبريرات !
أما أنت فأعلم أن هدفك من هذه الجلسة الروحية هو تنقية نفسك وليس تبريرها . وتنقية نفسك وليس تبريرها . وتنقية النفس تأتى بمعرفة خطاياها وتبكيتها عليها ، وليس بتدليل النفس أو مجاملتها أو تخفيف المسئولية عنها بإلقائها على الوسط الخارجي أو على الآخرين .

لذلك في جلستك مع نفسك ، كن صريحاً معها إلى أبعد حد ..

لا تجاملها ولا تدللها ، فهذا لا ينفعك روحياً ، ولا يقودك إلى التوبة . بل إكشف لها كل أخطائها وكل ضعفاتها ، بكل ما فيها من دنس ومن بشاعة . ولا تحاول أن تقدم عنها أعذاراً أو تبريرات . إنما قدم عنها توبة وندماً وانسحاق قلب . واعرف أن العشار قد خرج مبرراً دون الفريسى ، لأنه انسحق أمام الله وطلب الرحمة لأنه خاطئ (لو١٨ : ١٣) . والكتاب يقول " أنت بلا عذر أيها الإنسان " (رو٢ : ١) . ويقول أيضاً " ليس لهم هذر في خطيتهم " (يو١٥ : ٢٢) . إنك لا تنال المغفرة بالتبريرات ، إنما بالتوبة تؤهل للغفران ...
فكما تميز إنك لا تنال المغفرة بالتبريرات ، إنما بالتوبة تؤهل للغفران ...
فكما تميز العشار على الفريسى بإدانته لنفسه ، كذلك تميز اللص اليمين على زميلة اللص الآخر في قوله " نحن بعدل جوزينا ، لأننا ننال استحقاق ما فعلناه " (لو٢٣ : ٤١) ...
مغبوط هو الإنسان الذي يتكشف خطاياه في جلسته مع نفسه . ومغبوط أكثر من يقدم هذه الخطايا للرب محفوفة بالندم ،مبللة بالدموع .
إهتم إذن بإدانة نفسك ، فإن ذلك يساعدك على التوبة ويجلب لك الإتضاع وانسحاق القلب ، ويمكنك من الإعتراف ، ويجعلك قريباً من الرب الذي يقول عنه الكتاب " قريب هو الرب من المنسحقين بقلوبهم " . وحسناً قال القديس الأنبا أنطونيوس " إن دنا أنفسنا ، رضي الديان عنا " .
ولهذا فإن جلست مع نفسك ، وتذكرت خطاياك ، فلا تعذر ذاتك ، ولا تجلب اللوم على غيرك ناسياً ما فعلته أنت ، كما فعل آدم وحواء ...

إن لومك لغيرك لا يبررك ، حتى لو كان ذلك الغير ملوماً فعلاً ... لهذا يجب أن تركز على ما فعلته أنت ، لأنك مطالب به ...

إنها حيلة ولاشك من الشيطان أن يجعلك في محاسبتك لنفسك ، تهتم بمسئولية الآخرين عن خطاياك ، وليس بمسئوليتك أنت ...!

ولعل من حيلة أيضاً ، أنه يقلل لك من خطورة خطاياك ...

ولا يجعلها تبدو على حقيقتها في بشاعتها ، كما لو كانت شيئاً بسيطاً ، لا تستحق أن تحزن بسببها وتندم . وما أسهل أن يسمى لك الخطايا بغير أسمائها ، أو يفلسف الخطية ، ويحاول أن يخفيها وراء سلامة القصد أو حسن النية ..!

وهكذا يوسع ضميرك ،لكي يبتلع خطايا معينة ، لا تريد أن تتحمل مسئوليتها أو نتائجها ..

وكل هذا يقودك ولا شك إلى الإستهانة واللامبالاة ، ولا يساعدك على التوبة ، بل ربما يدفعك إلى الاستمرار فيما أنت فيه ، ويبعد عنك خشوع القلب وانسحاقه . أما أنت فكن حازماً مع نفسك ووبخها . وإن كنت لا تحتمل أحياناً أن يكلمك الغير بصراحة من جهة أخطائك ويوبخك ، فعلى الأقل يمكنك أن توبخ نفسك بنفسك . قل لها ما يريد الناس أن يواجهوك به ، ولكن يمنعهم الخجل ، أو الأدب والإحتشام ، أو عدم رغبتهم في جرح شعورك .. وكما قال القديس مقاريوس الكبير " أحكم يا أخي على نفسك ، قبل أن يحكموا عليك " .

وإن كان في طبعك شئ من القسوة أو الشدة فاستخدمه ضد نفسك ولا تستخدمه مع الناس ... إن نفسك هي التى تحتاج إلى الشدة لكي ترتدع ولا تعود تخطئ . أدبها إذن بقضيب من حديد ، وربها في خوف الله وفي طاعته . وإن كان يلزمك باستمرار محاسبة النفس ، فإنه يلزمك أيضاً معاقبة النفس ، بدلاً من أن يعاقبها الله ...

وفي إدانتك لنفسك ، تذكر قول القديس العظيم الأنبا أنطونيوس :

" أن ذكرنا خطايانا ، ينساها لنا الله ، وإن نسينا خطايانا ، يذكرها لنا الله " .

إن داود الملك ، لما كان لا يحس بخطيئته ولا يذكرها ، أرسل له الله ناثان النبي ، فشرح له بشاعة الخطية وقال له " أنت هو الرجل " (٢صم١٢ : ٧) . ولما أدان داود نفسه وقال " أخطأت إلى الرب " سمع بعدها مباشرة عبارة " والرب نقل عنك خطيتك . لا تموت " (٢صم١٢ : ١٣) . فلا تنتظر أنت أن يرسل لك الله ناثان آخر يكشفك ..

إجلس إذن مع نفسك لكي تدينها ، وتؤهلها بالتوبة لنوال المغفرة .

وإن كان البعض قد تعود أن يجلس جلسة جدية مع نفسه في بداية العام الجديد ، أو في الأصوام ، أو في مناسبات هامة في حياته ..

فاجلس أنت مع نفسك كل يوم وحاسبها ..

إفحصها ، واطمئن باستمرار على نقاوتها . واسهر على سلامة اتجاهاتها ، وتابعها في حياة التوبة ، إن كانت قد بدأت هذه التوبة من قبل .. خوفاً من أن تفتر الحرارة التى بدأت بها الطريق مع الله .

"2"

لا تستخدم أسلوب التبريرات والأعذار

إن كنت تريد أن تحيا في حياة التوبة ، فلا تحاول أن تقدم اعذاراً أو تبريرات عن كل خطية تقع فيها ...

فالإعذار لا تتفق مع حياة التوبة ، ولا مع حياة التواضع ...

فالتبرايرات معناها أن الإنسان يخطئ ، ولا يريد أن يتحمل مسئولية أخطائه ... يخطئ ويقدم الموضوع كأنه طبيعى جداً ، هناك أسباب دعت إليه ! كأن لا خطأ فى الأمر ..
مثل هذا الذى يجد لخطيته ما يبررها ، كيف يمكن يتوب عنها ؟!

التبريرات هى محاولة لتغطية الخطية ، وليست توبة عن الخطية . وبإيجاد مبرر للخطية ، ما اسهل أن يستمر المخطئ فيها ، وعذره معه !!

إنسان يغطى الخطية بعذر ، كما يغطيها غيره بأكذوبة . ويريد بهذا التبرير أن يخرج من الخطية سليما بلا عيب لا، بلا لوم ، يلتف بثوب من المجد الباطل .. بينما الخطية هى الخطية مهما كانت الأسباب المحيطة بها ، أو الظروف المصاحبة لها .. ألسنا في صلاة الثلاثة تقديسات نطلب حلا ومغفرة حتى عن الخطايا الخفية ، والتى فعلناها بغير معرفة ، أو بغير إرادتنا ، ولا نعتبر كل هذه مبررات صدق الذي قال إن الطريق جهنم مفروش بالأعذار و التبريرات و الحجج .

تاريخ الإعتذارات قديم :

خطية المبررات قديمة بقدم البشرية ، منذ ابوينا آدم وحواء ..

حاول آدم أن يبرر خطيته بأن المرأة أعطته . وحاولت حواء أن تبرر خطيتها بأن الحية أغرتها . ولكن الله ما قبل عذرا من آدم ولا من حواء . ولا حتى وجد هذه الأعذار تستحق الرد أو المناقشة . بل على العكس عاقب آدم على الذر الذي قدمه ، وقال له في مقدمة عقوبته " لأنك سمعت لقول إمراتك وأكلت من الشجرة .. " (تك ٣ : ٧) . وللأسف . توارثنا نحن خطية التبرير هذه من آدم وحواء عبر الأجيال ..

بل أن قديسا عظيما مثل إبراهيم أبى الآباء ، وقع في هذه الخطية عينها ، لما قال عن سارة إنها أخته (تك ٢٠ : ٢ : ١١) .

وبسبب هذا أخذها أبيمالك ملك جرار على بيته . وكان من الممكن أن يقترب إليها ، لولا أن الرب منعه في حلم وأنذره بالموت بسبب ذلك .. فلما عاتب أبيمالك أبانا غبراهيم قائلا له " بماذا أخطأت إليك ، حتى جلبت على وعلى مملكتى خطية عظيمة ؟! أعمالا لا تعمل عملت بى ! " .. أجاب أبونا إبراهيم بمحاولة يبرر فيها مسلكه ، وقال " إنى قلت ليس في هذا المكان خوف الله البتة ، فيقتلونى لأجل إمراتى " (تك ١٠ : ١١) .

وما اسهل الرد على هذا التبرير ، الذي ألقى فيه المسئولية على غيره ..

لأنه يمكننا أنيقول : ولماذا أتيت يا أبانا إلى هذا المكان الذي لا يوجد فيه خوف الله ؟ ولماذا أقمت فيه ولم تتركه مادام هو هكذا ؟ وهل دخلت هذا المكان بإرشاد من الله الذي قال لك من بدء دعوتك " إذهب .. إلى الأرض التى أريك " (تك ١٢ : ١) . وهل يجوز يا أبانا أن تضحى بإمراتك من أجل سلامتك ، وتعرضها بهذا الخطر إقتراب رجل غريب إليها ، وتعرض هذا الغريب لغضب الله ؟! ولماذا تلجأ إلى هذه الطرق لحمايتك ، دون اللجوء على معونة الله ؟!

ويبدو أن أبانا إبراهيم لما وجد التبرير ، إستمر وجعله سياسة ثابتة !

وهكذا قال لزوجته في صراحة تامة " هذا هو معروفك الذي تصنعينه إلى : في كا مكان نأتى إليه ، قولى عنى هو اخى " (تك ٢٠ : ١٣) . وبهذا كان ممكنا في كل مكان يحلان فيه أن تتكرر نفس المشكلة ، لأن إبراهيم وجد تبريرا لذلك (تك ٢٠ : ١٢) ، ولم يقل : هى زوجتى ! يندر أن يقول إنسان " أنا أخطأت " مادام أسلوب التبرير ممكنا .

وقد تكون الخطية واضحة جداً ، لا تقبل النقاش ، ومع ذلك لا مانع من ان تقدم عنها تبريرات وأعذراً

مثال ذلك صاحب الوزنة الواحدة الذي أخذها ودفنها في حفرة في الأرض ، دون أن يتاجر بها ويربح كزميليه ٠٠ هذا أيضاً لما حاسبه سيده لم يخجل من أن يقدم تبريرا وعذرا ، ولكنه حسبما يقول المثل " عذرا اقبح من ذنب " ٠٠ فقال " ياسيد ، عرفت أنك إنسان قاس ، تحصد من حيث لم تزرع ، وتجمع من حيث لم تبذر ، فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك في الأرض " (مت ٢٥ : ٢٤ ، ٢٥) ٠ وطبعا لم يقبل الرب هذا العذر منه ، وأمر بطرحه في الظلمة الخارجية ٠

مخالفة يونان النبى للرب ، وكانت مخالفة واضحه ، وأيضاً كان لها تبرير!

هرب يونان من الرب ، ورفض أن يذهب إلى نينوى حسب أمر الرب ، بل ذهب بسفينة على ترشيش ٠ ولما أرجعة الرب ، وكرز لأهل نينوى وتابوا " غم ذلك يونان غما شديداً فاغتاظ " ومع ذلك قدم تبريرا لموقفة ، ليثبت أنه على حق ، فقال " آه يا رب ، أليس هذا كلامى إذ كنت بعد في أرضى ٠ لذلك بادرت بالهرب إلى ترشيش ، لأنى علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطئ الغضب وكثير الرحمة و نادم على الشر ٠ فالآن يا رب خذ نفسى منى ، لأن موتى خير من حياتى " (يون ٤ : ١ – ٣) هذا هو العذر الذي قدمه النبى ليبرر به مخالفته للرب ، وحزنه على خلاص ١٢٠ ألف نسمة !! من يقبل هذا الكلام ؟!

خطية واضحة اخرى ، وهى أن شاول الملك أصعد محرقة للرب ، وهو ليس كاهنا ٠٠ ومع وضوح الخطية قدم لها تبريرات ٠٠

فلما وبخه صموئيل النبى على ذلك ، لم يقل " أخطأت " ، ولم يقدم ندما وتوبة ، إنما قدم أعذاراً وتبريرات ٠٠ ! فقال للنبى " لأنى قد رأيت أن الشعب تفرق عنى ، وأنت لم تأت ، و الفلسطينيون متجمعون في مخماس ٠٠ فتجلد ت وأصعدت المحرقة " (١صم ١٣ : ١١ ، ١٢)

وطبعا لم يقل النبى منه هذه الأعذار ٠ واسمعه عقوبة الله له ، بأن مملكته تقوم ، وأن الرب أختار رئيسا آخر للشعب بدلا منه ٠٠

وإيليا النبى الجبار ، وجد له عذراً ، لما خاف من إيزابل وهرب !

وصله تهديدها (١صم ١٩ : ٢) فخاف وهرب ! ولما سأله الله عن هروبه بقوله " مالك ههنا يا غيليا ؟" وجد تبريرا ٠٠ فقال مرتين " قتلوا أنبياءك بالسيف ، وبقيت أنا وحدى ٠ وهم يطلبون نفسى ليأ خذوها " (١مل ١٩ : ١٠ – ١٤)٠ وفى هذا التبرير ، نسى كل اعمال الله العجيبة معه ، وكيف قواه على مقابلة آخاب الملك وتوبيخه (١مل ١٨ : ١٨) ، كما قواه على قتل ٤٥٠ نبيا من أنبياء البعل (١مل ١٨ : ٢٢ ، ٤٠) ٠ فلم يكن هناك داع للخوف والهروب مادامت يد الله معه ٠٠

ولم يقبل الله طبعا هذا العذر من إيليا ٠ وأمره بعدة مهام ، منها أن يذهب ويمسح إليشع بن شافاط نبيا عوضا عنه " (١مل ١٩ : ١٦) ٠ أما عبارة " بقيت أنا وحدى " فرد الرب عليها بأنه أستبقى ٧٠٠٠ ركبة لم تجث للبعل (١مل ١٩ : ١٨) حقا ، ما أكثر التبريرات ، وكلها غير مقبولة ٠ فما الهدف منها ؟

يريد الإنسان بهذه التبريرات ، أن يكون بلا لوم أمام الناس ، وربما أمام نفسه أيضاً ، لكى يريح ضميره إذا إحتج عليه ٠٠

ولكن حتى لوقبل الناس هذه الأعذار ، وحتى لو أستطاع الإنسان آن يخدع نفسه ويخدر ضميره ليقبل هذه التبريرات ، أترى الله يقبلها ؟! الله العالم بكل شئ ، والذى رفض كل هذه الأمثلة التى أوردناها ، الله الذي أمامه " يستد كل فم " (رو ٣ : ١٩) ٠٠ إن التبريرات لا تصلح مع الله ، إنما يصلح الخضوع والإعتراف بالخطية ٠٠

وهناك تبريرات أخرى تبدو كلون من تدليل النفس ٠٠

مثال ذلك عذراء النشيد التى قرع الرب على بابها ٠٠ و ظل طول الليل هكذا ، حتى امتلأ رأسه من البطل ، وقصصه من ندى الليل ، وهو يناديها بأرق الألفاظ ٠٠ ومع ذلك اعتذرت عن أن تفتح له بقولها " قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه ؟ قد غسلت رجلى فكيف أوسخهما " (نش ٥ : ٢ ، ٣) ٠
أترى قبل الرب منها هذا العذر ؟! كلا ، بل تحول وعبر ، وجعلها تقاسى مرارة التخلى بقولها " طلبته فما وجدته دعوته فما أجابنى " ٠٠

ومن أمثلة التبريرات غير المقبولة ، الإعتذرات عن الخدمة ٠٠

موسى ، الذي اعتذر عن الخدمة بقوله للرب " لست أنا صاحب كلام ، منذ أمس ولا أول من أمس ٠٠ بل أنا ثقيل الفم واللسان " (خر ٤ : ١٠) ٠ ولم يقبل الرب هذا العذر من موسى ٠ وعالج له موضوع ثقل اللسان ٠
وأميا ايضاً اعتذر عن الخدمة بقوله " لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد " (أر ١ : ٦) ٠ ولم يقبل الرب منه هذا الإعتذار ، بل وبخه قائلا " لا تقل إنى ولد ، لأنى إلى كل من أرسلك إليه تذهب ، وتتكلم بكل ما آمرك به ٠ لا تخف ٠٠ لأنى معك ، انقذك " (أر ١ : ٧ ، ٨) ٠
وهكذا لم يقبل الرب ايضاً عتذار من قال له " إئذن لى أن أمضى أولا وأدفن أبى " بل قال له " إتبعنى ودع الموتى يدفنون موتاهم " (مت ٨ : ٢١ ، ٢٢)
ولكن ما أعجب الراعى الصغير ، الذي يهجم السد على غنمه ٠٠ فلا يعتذر عن حمايتها بضعفه أمام عنف الأسد ٠٠ يشبه شيئا من هذا ما فعله داود الصغير (١صم ١٧)

متى يتخلص المخطئ من تبريره لعمله ، كما تخلص داود النبى ، الذي لما عد الشعب ، لم يحاول أن يقدم لذلك تبريرا ، بل ضربه قلبه وقال للرب " لقد أخطأت جداً فيما فعلت ٠ فالآن يا رب أزل إثم عبدك ، لأنى انحمقت جدا " (٢صم ٢٤ : ١٠) ٠ هكذا يتكلم الإنسان المتواضع التائب المعترف بخطيئته امام الله ٠٠

أما غير المتواضع وغير التائب ، فإنه يحاول أن يجد تبريرا عند ارتكاب الخطية ، وبعد ارتكابها أيضاً ،

وفى الحديث عنها بصفة عامة ٠٠

ويؤسفنى أن أقول أن توالى الأعذار و التبريرات عند مثل هذا الشخص تجعل المبادئ و القيم عنده تهتز ٠٠ ومادام كل خطأ له ما يغطيه ، إذن فلا توجد مثل يسير على منهاجها ، أو روحيات يتمسك بها ٠٠
وسنحاول هنا أن نذكر بعض الأعذار العامة التى يعتذر بها البعض ، إذا لم يسلكوا حسنا في حياتهم ٠

١-يقولون كل الناس هكذا (الكل كده) ٠ هل نشذ عن المجتمع ؟!

وكأنهم بهذا يعتبرون أن الخطأ إذا صار عاما ، لم يعد خطأ يلام عليه الفرد !
كأن نقائص المجتمع كله لم تعد نقائص ، أو صار الخطأ العام مبررا لخطأ الفرد !! كلا ، فالخطأ هو خطأ ، عاما كان أو خاصا ٠ ومن اجل ذلك يقوم المصلحون الإجتماعيون بإصلاح أخطاء المجتمع ٠ وكذلك يهاجمها الرعاة و الكهنة و الكتاب واصحاب المبادئ ٠ ثم لننظر إلى الكتاب المقدس ٠ ونرى مدى الحكم على هذا العذر ٠٠

نوح الاباء ، كان يعيش ببره في عصر كله فاسد ٠٠

وبلغ من فساد الناس في تلك الأيام ، أن الله أغرق العالم كله بالطوفان ، إذ رأى " أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير
كل يوم ٠٠ " (تك ٦ : ٥) ٠ " فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض ٠٠ " (تك ٧ : ٢٣) ٠
أكان هذا الفساد العام عذرا لنوح أن يسلك مثلهم هو أسرته ، ويقول " كل الناس هكذا ، هل نشذ عن المجتمع ؟ " أم هو سلك بكماله أمام الله و الناس ٠ وكان لابد أن يشذ عن هذا المجتمع الفاسد ٠٠ وإن كانت عبارة " نشذ عن المجتمع " تتعبكم ، فلنقل بتعبير أفضل " نتميز عن المجتمع " ٠ وهذا التمايز قال عنه الكتاب : " لا تشاكلوا هذا الدهر " (رو ١٢ : ٢) ٠ أى لا تصيروا شكله ٠٠

ونفس هذا الكلام نقوله أيضاً عن لوط في سدوم ٠٠

كانت المدينة كلها فاسدة ، مما أدى إلى ان يحرقها الرب بالنار (تك ١٩) ٠ ولم يوجد فيها عشرة فقط من البرار ، حتى لا يهلك الله هذه المدينة من أجل العشرة (تك ١٨ : ٣٢) ٠ فهل كان هذا عذرا يسمح للوط أن يسلك مثلهم ، حتى لا (يشذ) عن المجتمع ٠٠! وهل في ذلك يتبع المثل القائل " إن كنت في بلد بعيد فية العجل ، حش وارمى له " ٠٠ !
كلا ، بل يحتفظ الأبرار بمبادئهم السامية ، مهما كان الخطأ عاما ٠ وعلى العكس يمكن أن يقال : إن كان الخطأ منتشرا ن فهذا يحتاج إلى حرص أكثر ٠٠ سدوم خلص منها ثلاثة فقط : لوط وإبنتاه ٠ وهلك الجميع ٠٠

مثال آخر ، هو يوسف الصديق في أرض مصر ٠٠

لعله كان الوحيد في أرض مصر ، الذي يعبد الله ن بينما كان الكل يعبدون الديانات المصرية القديمة : رع وآمون وإيزيس وأوزوريس وبتاح وحتحور ٠٠ إلخ ولم يسمح يوسف لنفسه أن يجارى المجتمع ٠

وهكذا كان دانيال أيضاً و الثلاثة فتية في أرض السبى ٠٠

حتى في طعامهم كانوا مميزين ، مع أنهم كانوا أسرى حرب ، مستعبدين و تحت قوانين ملزمه ٠ وما اجمل قول الكتاب في ذلك : " وأما دانيال فجعل في قلبه ألا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه " (دا ١ : ٨) ٠ هكذا أنت ، عش بروحياتك السليمة ، حتى لو عشت بها وحدك ٠

إن لم تستطع أن تؤثر المجتمع بروحياتك ، فعلى الأقل لا تندمج فيه و تخضع له ٠ ولا تجعل الأخطاء العامة تؤثر عليك

المفروض في أولاد الله أنهم يطيعون ضمائرهم ، ولا ينجرفون مع التيار ، معتذرين بان الجو العام هكذا ٠ إن القلب الضعيف هو الذي يسقط ويحتمى وراء الأعذار ٠ وكذلك محبو الخطية ، و الذين يعرجون بين الفرقتين (١مل ١٨ : ٢١) ٠ أما القلب الذي يحب الله فهو قوى ٠ مهما وجد من صعوبات في طريق التوبة ، يحاول أن ينتصر عليها

لماذا إذن تأخذ موقفا ضعيفا أمام الذين يعيرونك بتدينك ؟

أولئك الذين يسخرون بالأسلوب الروحى ، محاولين بسخريتهم أن يضعفوا معنوياتك ، ويجذبوك إلى طرقهم ، ويفقدوك ثمار توبتك !! فإن كنت تائبا حقا ، لا تجعلهم سبب نكسة لك ٠ فإما أن يكون قويا في إقناعك ، و تثبت لهم سمو حياة الروح ٠ وإما أن تصمت وتظل ثابتا طريقك الروحى ، دون أن ترتد ٠
هنا ونتحدث عن سبب آخر يعتذر به البعض ، وهو العوائق :

٢-البعض يعتذر بالعوائق ٠ بينما يليق بالأقوياء أن ينتصروا على العوائق ٠ و سنقدم اللص اليمين كمثال رائع ، ورفض العوائق كمبرر ٠٠

ما أكثر العوائث التى كانت تقف امام إيمان هذا اللص ٠٠ حتى أنه لو كان لم يؤمن – كزميله – لكان له عذره بل أعذاره ٠٠
بمن يؤمن ؟ إنه لم ير المسيح في قوته وتجليه ومعجزاته ٠ و الذين رأوا الكثير من معجزات المسيح الباهرة ضعفوا في ذلك الحين ، وواحد من ابرز تلاميذ أنكر ٠٠ وفى أذنى اللص كانت تدوى أصوات الجماهير " أصلبه ٠ أصلبه " ٠ فهل يؤمن اللص بشخص يراه مصلوبا أمامه ، في ضعف ، والدم ينزف منه وألفاظ الإستهزاء و التعيير و التحدى تحيط به من كل جانب ن وهو صامت ٠٠ و الكهنة ورؤساء الكهنة ضده ، وشيوخ الشعب ضده ، و القادة و معلمو الشريعة ضده ، والحكام ضده ، وحتى اللص الآخر المصلوب إلى جواره يسخر به أيضاً ٠٠

الذين حملوا المفلوج هم مثال آخر على تخطى العوائق (مر ٢ : ١ – ١١) ٠

ما كان أسهل على هؤلاء أن يعتذروا للمفلوج بانهم لا يستطيعون مساعدته و توصيله إلى المسيح ٠ فالبيت الذي يوجد فيه مملوء بالشعب ، والزحام شديد جدا ، و الطرق كلها مسدودة ، ولا يوجد أى منفذ أو أى مدخل ، ولا توجد أية طريقة للوصول إلى المسيح ٠
أما هم ، فلم يعترفوا بكل تلك العوائق ، لأن محبة الخير التى فيهم كانت أقوى من العوائق ٠ فحملوا المفلوج على محفة ، وثقبوا سقف البيت ، وأنزلوا مريضهم إلى الرب ليشفيه ٠ ما أعظم هذه النية الخيرة ، وهذه الإرادة القوية ، وعلى رأى المثل " حيثما توجد إرادة ، وتجد وسيلة " أيضاً :

القلب القوى يجد مائة وسيلة للشئ الذي يريد أن يفعله ٠٠

وايضاً قال الآباء " إن الفضيلة تريدها لا غير " ٠٠ يكفى أن تريد ، وحينئذ تجد النعمة تفتح أمامك أبوابا كانت مغلقة ، وروح الله القدوس يقويك ، وأرواح الملائكة و القديسين تحيط بك لا تعتذر إذن بالعوائق ، إنما فكر جيدا كيف تنتصر عليها ٠٠

زكا العشار أيضاً ، كانت أمامه عوائق في الوصول إلى المسيح ٠٠

بل حتى مجرد رؤية المسيح كانت غير ممكنة بالنسبة إليه : الزحام شديد جدا و كان هو قصير القامة ٠ وايضاً كان رئيسا للعشارين أى إنسانا مكروها من الكل بعيدا عن الروحيات ، يسخرون إن طلب اللقاء

بالمسيح ٠ ففكر أن يصعد على جميزة ليراه ٠ وكان أمام هذا عائق آخر هو مركزه الكبير ٠ ولكنه انتصر على هذا كله ٠ لذلك استحق أن يكلمه الرب ويقول له : " ينبغى أن أمكث اليوم في بيتك " (لو ١٩ : ٥) حقا إنه لو كان الدافع الداخلى ضعيفا في قلب زكا ، لوجد تبريرا من العوائق التى أمامه ، وما وصل إلى المسيح ٠

فهل أنت دوافعك الداخلية ضعيفة لذلك تعتذر بالعوائق ؟!

هوذا امامنا مثل حدث في عصر الإستشهاد : شاب لم تنفع معه كل طريق التعذيب ٠ فأرادوا إسقاطه بإغرائه من جهة عفته ، ففشل الإغراء ٠ فربطوه إلى فراش لتأتى إمرأة و تخطى معه ٠ فلما رأى هذا الشاب أنه لا حيلة للتخلص ، جز على لسانه ، حتى سال دمه وبصقه في وجهها ، فاشمأزت وتركته ، وأنقذ الشاب عفته ٠٠

لو كان ضعيفا من الداخل ، لوجد تبريرا للسقوط ٠ ولكن قوته الداخلية جعلته ينتصر ، ولا يعترف بالعوائق و لا التبريرات ٠ وهذا يجعلنا ننتقل إلى الحديث عن عذر آخر يقدمونه :

٣-يعتذر البعض بشدة الضغوط الخارجية ، أو شدة الإغراء الخارجى ٠٠

عن القلب الثابت في الداخل ، لا يمكن أن يخضع للضغوط الخارجية ، ولا يسقط بسببها ، ولا يتخذها تبريرا لسقوطه ٠٠

إنما يبرر موقفه بالضغوط الخارجية ، الشخص الذي محبته ثابتة من نحو الله ومن نحو الوصية ، أو في قلبه خيانة في الداخل ، وليس هو مخلصا لله بالحقيقة ، ولا مخلصا لوصاياه ٠٠ !

خذوا يوسف الصديق كمثال رائع في الإنتصار على الضغوط الخارجية ٠٠

لاشك أن الضغط الخارجى كان شديدا عليه جدا ٠٠ كان عبدا مستعبدا لإمرأة ٠ و المرأة هى التى تطلب منه الخطية ، وتلح في ذلك ، وهو يرفض ٠ وتلح أيضاً ٠ وهو تحت سلطانها ، تستطيع أن تسئ على سمعته ، وأن ترميه في السجن كما فعلت اخيرا ٠ ولو كان ضعيفا من الداخل ، لوجد ما يبرز سقوطه ! ولكنه قال : كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله " (تك ٣٩ : ٩) ، واحتمل من أجل بره ٠٠

إن القلب النقى الثابت في بره ، لا يعترف بالمبررات ، ولا يخضع للإغراء الخارجى ٠ مثال ذلك قصة داود مع شاول الملك ٠٠

حاول شاول مراراً عديدة أن يقتل داود بلا ذنب ، وطارده من برية إلى أخرى ٠ وأخيرا وقع في يد داود ٠٠ رآه نائما في كهف ٠ وقال رجال داود له " هوذا اليوم الذي قال لك عنه الرب هأنذا أدفع عدوك ليدك ، فتفعل به ما يحسن في عينيك " (١صم ٢٤ : ٤) ٠

وكان الإغراء شديداً ، يتخلص به من عدوه ، ومن الموت الذي يتهدده ، ويتولى الملك بدلا منه ٠ ولكن داود رفض هذا الإغراء وقال " حاشا لى من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدى مسيح الرب ، فأمد يدى إليه ، لأنه مسيح الرب هو " ٠ ووبخ داود رجاله (١صم ٢٤ : ٦ ، ٧) ٠

وكانت هناك تبريرات كثيرة : ٠٠ من قال إنه مسيح للرب ؟ لقد أعلن الرب رفضه له (١صم ١٦ : ١) كذلك كان روح الرب قد فارقه ، وبغته روح ردئ من قبل الرب " (١صم ١٦ : ١٤) ٠ وكان داود يعرف هذا ، لأنه هو الذي كان يضرب له على العود ، فيرتاح ويذهب عنه الروح الردئ (١صم ١٦ : ٢٣) ٠ هذا إذن إنسان خاطئ ومرفوض ٠ فإن تخلصت منه تكون قد خلصت الشعب من شره ٠٠ كلا ، إنه مسيح الرب هو ٠٠

وأنت يا داود ، أنت هو مسيح الرب الحقيقى ٠ مسحك صموئيل النبى ملكاً و حل عليك روح الرب (١صم ١٦ : ١٢ ، ١٣) ٠ فأصبحت أنت البديل الرسمى لذلك الشرير ٠ ولو أخذت الملك ن لا تكون قد اغتصبته فهو حقك ٠ و الشعب كله سيفرح بك ٠ كما أن الله هو الذي دفعه إلى يدك ٠٠ وتذكر أن هناك حربا بينك وبينه ، وهو يريد قتلك ٠ فإن قتلته تكون طبيعة الحرب ٠٠٠

ولكن داود لم يقبل شيئا من هذه التبريرات جميعها ٠ وقال " كيف أمد يدى إلى مسيح الرب ؟! " ٠ ليكن خاطئا وشريراً ، وليكن مرفوضاً ، وليكن عدوا لى ، ليكن ما يكون ولكنه مسيح الرب هو ، لا أمد يدى إليه

إنها صورة مثالية للقلب النقى الذي يرفض التبريرات ، والإغراءات .. تنتقل إلى نقطة أخرى في مشكلة الأعذار :

٤-يعتذر البعض فيقول أنا ضعيف ، والوصية صعبة ..

قد تقول إنك ضعيف ، إن لم تضع معونة الله في اعتبارك . فأنت لست وحدك قد تكون ضعيفاً ، ومع ذلك تقول " أستطيع كل شئ في المسيح الذي يقودنى (في٤ : ٣) . طالما صلاتك موجودة فأنت لست ضعيفاً لأن قوة الله ستعمل فيك تنصرك ضد كل خطية ، وتقيمك من كل سقطة ...

لو كان داود نظر إلى نفسه كضعيف ، ما حارب جليات ...

هذا الشعور بالضعف ، كان مبرراً لكل رجال الجيش أن يبقوا في أماكنهم يقوموا لمحاربة جليات . أما داود ، فلم يكن يسمح للمبررات أن تحميه من وصية الله وعمل الروح .

كانت هناك مبررات أمام داود تعفيه من منازلة جليات ، لكنه لم يستخدمها :

أولاً : هو ليس من رجال الجيش ، إنما جاء طعاماً لأخوته ، وكان يمكن أ، يقتصر على هذه المهمة ويمضي ، طالباً لهم صالح الدعوات ...

ثانياً : كان جليات رجلاً مخيفاً في جسمه الهائل وأسلحته الجبارة . ولا يلوم أحد صبياً صغيراً مثل داود إن امتنع عن محاربته .

ثالثاً : إن أحداً لم يطلب منه هذا الأمر أو حتى يفكر فيه !

رابعاً : كان كل قادة الجيش خائفين من الرجل ، حتى الملك شاول نفسه لم يتقدم لمحاربته ..

فما كان أسهل على داود أن يعتمد على هذه المبررات ، ويقول " ما شأني بهذا الأمر . ولماذا أحشر نفسي في مسئوليات غيري ؟! ويمضي . ولكن غيره داود دفعته أن يتقدم لمقاتلة جليات ويخلص الشعب منه .

الأعذار موجودة ، ولكن رفض استخدامها والاحتماء بها ...

وصعوبة العمل يشهد بها الكل ، ولكنه انتصر عليها بالإيمان .

لقد عاقب الرب الذين أضعفوا معنويات الشعب بالحديث عن المصاعب .

أولئك الذين رأوا الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً ، ولكنهم قالوا " غير أن الشعب معتز ، والمدن حصينة .. لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا .. وقد رأينا هناك الجبابرة بنى عناق ... فكنا في أعيننا كالجراد ، وهكذا كنا في أعينهم " (عد١٣ : ٢٧ – ٣٣) .

وبهذا الحديث الذي يحطم الروح المعنوية " رفعت كل الجماعة صوتها وصرخت . وبكى الشعب تلك الليلة وتذمر " (عد١٤ : ١) . ورفض الرب أولئك الذين صعبوا الأمر وشرحوا استحالة تنفيذه .

لذلك لا تقل عن وصية الرب إنها صعبة . لأنها لو كانت صعبة ما أمر الرب بها . كيف يأمر بما لا يمكن تنفيذه ؟!

إن الله لا يمكن أن يأمرنا بالمستحيل . إنه يعطي الوصية – مهما كانت تبدو صعبة – وفي نفس الوقت يعطي القدرة على تنفيذها . يعطي القدرة على تنفيذها . يعطي الوصية ، ويعطي معها النعمة . والروح القدس يعمل داخل القلب لكي يؤهله للعمل ، بل ويشترك في العمل معه ... وإلا ما كان أحد يقدر أن ينتصر على إبليس الذي هو مثل أسد يزار يجول ملتمساً من يبتلعه هو (١بط٥ : ٨) .

إن إبراهيم أبا الآباء لم يمتنع عن تنفيذ وصية صعبة جداً ...

قال له الرب " خذ إبنك ، وحيدك ، الذي تحبه ، إسحق ... وأصعده محرقة ... " (تك٢٢ : ٢) . ولم يعتذر أبونا إبراهيم بصعوبة الوصية ، وبأنها فوق مستوي الطبيعة ، وبأن هذا إبن المواعيد ، وإن شيخوخته ، وماذا يقول لأمه ... بل بكر صباحاً ، وذهب لينفذ وصية الله ...

الله الذي أعطي إبراهيم القوة على التنفيذ ، هو أيضاً قادر أن يعطيك قوة الذي جعل أرميا الصغير مدينة حصينة وأسوار نحاس على كل الأرض (أر١ : ٨) هو قادر أن يقويك مثله ...

في طريق التوبة ، لا تخف من خطية ، ولا من عادة أو طبع ، ولا من شيطان ، بل قل " أستطيع كل شئ في المسيح الذي يقوينى " ... ولا تجعل هذا الخوف مبرراً لك في ترك العمل الروحى ...

أبونا إبراهيم طلب الله منه ابنه الوحيد ليذبحه ، فلم يبخل به عليه ، ولم يقل الوصية صعبه . ولم يحاول أن يوجد مبررات ليمتنع .
وأنت ، ما هو الشيء الصعب الذي يطلبه الرب منك ولا تستطيعه ؟! هل هو يطلب منك أن تذبح إبنك الوحيد ، أم المطلوب منك بسيط جداً ؟!

طوباهم أولئك الجبابرة الذين انتصروا على قلوبهم من الداخل ، يعتذروا بصعوبة الوصية كما نفعل نحن في تبرير أنفسنا ..

حقاً إن ملكوت السموات يحتاج إلى قلوب كالصخر ، لا تلين أمام العوائق ، ولا تضعف أمام الصعاب . وتنفيذ وصية الكتاب في قوله " تشدد ، وكن رجلاً " (١مل٢ : ٢) . هنا تظهر الرجولة الحقة ، في حياة النقاوة .

الذين لا يريدون يتحولون المبررات

عند البعض ، مادام العذر موجودا ويمكنهم تقديمه ، حينئذ تصير الخطية سهلة و التقصير سهلا ٠ دون مراعاة لمشاعر الرب الذي يتحولون عن محبته ، ودون أمانة للوصية أو التزام بها ٠ وأثناء الإعتذار ، يخادع الإنسان نفسه ، ويكون ضمير مخلخلا غير ثابت ٠

وباب الإعتذار واسع ، قد يدخل فيه الصدق والكذب ٠٠

أى قد تكون الأعذار غير حقيقية ، أو من السهل الأنتصار عليها ، وليست عائقا حقيقا له قوة المنع التى تغلب الإرادة ٠ وقد تكون العذار فرصة للتهاون أو المحبة الخطية ٠ أو قد تكون ستارا للكبرياء التى ترفض الإعتراف بالخطأ ٠ وقد تكون سببا ثانويا وليست هى السبب الحقيقى ٠ وعلى العموم فالتبرات والأعذار دليل على عدم التوبة ٠٠

العجيب أن الإنسان غير التائب ، على الرغم من أخطائه ، نفسه جميلة في عينيه ن يناقش من أجلها ويجادل ٠٠!

كل شئ يعمله ، له في نظره أسبابه وحكمته ٠ وكل خطية لها تبريرها ٠ وكل تقصير في أعمال الفضيلة ، له أيضاً تبرير ٠ ولا يوجد خطأ في أى تصرف يتصرفه ! ٠٠ يتكلم كما لو كان معصوما لا يخطئ ٠٠ يدافع ويبرر ٠ من الصعب أن تخرج من فمه كلمة " أخطأت " ٠٠ ! وإن شددت عليه الخناق ، فأقصى ما يقوله هو " آه ٠٠ هذا العمل ، من الجائز أن البعض يفهمونه على غير المقصود منه ٠٠ ! ولكنى أقصد ٠٠ " وتتوالى سلسة أخرى من التبريرات ٠٠

كأنه إله ٠٠ لا يخطئ !! " الم أقل إنك آلهة " (مز٨٢ : ٧) ٠

هولاء (الآلهة) الذين لا يخطئون ، لا يمكن أن يتوبوا ! عن أى شئ يتوبون ؟ حقا لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ٠٠ هؤلاء لا يحتاجون إلى المسيح الغافر و المخلص ! فأى شئ تراد سيغفر لهم أو يخلصهم منه ؟! حتى الذين يقصرون في كل الواجبات الروحية من صلاة وصوم وحضور الكنيسة والتناول ٠٠ يجدون ايضاً مبررات لتقصيرهم ، وكأنهم لم يخطئوا ٠

تسأل أحدهم لماذا لا نصلى ؟ ولماذا تذهب إلى الكنيسة ؟

فلا يقول لك مطلقا " أنا مقصر " أو " أنا مخطئ " ٠ إنما يبرر تقصيره بانه ليس لديه وقت ٠ وإن ناقشته في ذلك يضع أمامك قائمة طويلة من المشغوليات ٠٠ فإن سألته " ولماذا لا يكون الرب ضمن مشغولياتك ؟ ولماذا لا تحسب الصلاة أمرا هاما تحجز له مكانا في تنظيمك لوقتك ؟ ٠٠ حينئذ بدخلك في تبرير آخر ، في محاولة لفلسفة الخطأ ، فيقول :

المهم في القلب ٠ ومادام قلبى نقيا ، لا حاجة إذن إلى الصلاة ! فإن الله هو إله القلوب ٠٠

وطبعا الرد واضح ٠ فالقلب النقى لا يغنى عن الصلاة ، بل يساعد عليها القلب النقى فيه محبة الله ٠ والذى يحب الله يتكلم معه ، ويصلى ٠٠ والإنسان الروحى يجمع بين الأمرين : نقاوة القلب ، والصلاة ٠ وكما قال الكتاب " إفعلوا هذه ، و لا تتركوا تلك " نقاوة القلب لازمة للصلاة ، فالصلاة التى تخرج من قلب نقى هى المقبولة أمام الله ٠٠

كذلك يبدو أن الذي يرد بهذه العبارة لا يفهم معنى عبارة نقاوة القلب) ٠ فإن كان القلب نقيا ، لا يمكن أن يقول إنه لا حاجة به إلى الصلاة ٠ فالذى لا يحتاج إلى صلاة ، ليست له نقاوة القلب ٠

وقد تسأل آخر : لماذا لا تصوم ؟

فيقول لك : وهل الذين يصومون كلهم قديسون : فلان يصوم ويفعل كذا ٠٠ وفلان يصوم ويفعل كذا ٠٠! فإن قلت له : وما شأنك بهؤلاء ؟ إن الله سوف يسألك عنهم ، وإنما سيسألك عن نفسك حينئذ يرجع إلى نفس التبرير ، بفلسفة الموضوع ويقول : الحياة مع الله ليست بالأكل والشرب ٠ والمهم في نقاوة القلب !! كما لو كان الصوم لا يساعد على نقاوة القلب !!

وعبثا تحدث مثل هذا عن روحانية الصوم وفائدته ، وأن من يسلك فيه بطريقة روحية ينمو في حياة الروح ، وأن الله أمر بالصوم لفائدته ، والأنبياء كانوا يصومون مع نقاو قلوبهم ٠ والسيد المسيح نفسه صام ٠٠ وهنا لا تجد منطقا ، إنما هى تبريرات لمجرد التخلص من المسئولية ٠

وقد يعتذر آخر بعدم وجود مرشدين روحيين و لا قدوات صالحة ٠٠

ويبدو أن هذا الإعتذار أيضاً مبالغ فيه ٠ فالذى يحتاج إلى إرشاد لا بد سيجده ٠ وإن لم يجد مرشدين ، أمامه الكتب تملأ الدنيا وفيها كل شئ ٠٠ وأمامه الصلاة ، يطلب من الرب فيرشده ٠ ومعه الضمير ، ومعه الكتاب المقدس ٠٠

إن القديس الأنبا أنطونيوس ، الذي عاش وحده في البرية ، ولم يكن هناك راهب قبله ليرشده ، لم يعتذر بعدم وجود مرشدين ، بل شق الطريق وحده ، وبنعمة الله وصل ، وأرشد غيره

أما القدوات الصالحة فهى كثيرة ٠ على الأقل لا تطلب كل الصفات المثالية من شخص واحد ، إنما خذ من كل إنسان فاضل قدوة في نقطة معينة ٠ وهناك أيضاً سير القديسين والأبرار الذين انتقلوا ٠

وخلاصة القول إن الذي يريد أن يصل إلى الله ، لن يعدم الوسيلة ٠ ويبقى السؤال الوحيد هو : هل تريد ٠٠ ؟

جميل من السيد المسيح أنه كان يسأل بعض المرضى الذين يأتون إليه طالبين الشفاء ، بعبارته الخالدة العميقة : " أتريد أن تبرأ " (يو ٥ : ٢٦)

نعم ، إن كنت تريد ، فإن الله مستعد أن يعمل معك ويقويك ، وهو الذي يغسلك فتبيض أكثر من الثلج ، وهو الذي يطهرك من كل خطية ، ويطهرك من كل دنس الجسد و الروح ٠ ولكن المهم أن تريد ٠

اما إن كنت لا تريد ، فلا داعى للتبريرات ٠ كن صريحا مع نفسك ٠

"3"

لا تؤجل التوبة ولا تضيع الفرصة

فرص للتوبة ضيعها البعض :

من مراحم الله على الخطاة ، أنه يقدم لكل خاطئ فرصا كثيرة لكى يتوب ، تزوره فيها النعمة و تعمل فى قلبه ..

ونتيجة لعمل الله داخله ، يجد قلبه قد التهب برغبة مقدسة فى التوبة و الرجوع إلى الله .. ربما يكون قد تأثر بعظة ، أو بكتاب أو باجتماع روحى ، أو بقدوة صالحة .. أو أن حادثة موت أو مرض هزته من الداخل ، أو مناسبة معينة رأى أنه يجب عليه استغلالها .

و الحكيم هو الذى يستغل تلك التأثرات ، ولا يدع الفرصة تفلت منه ..

مثلما حدث مع الابن الضال ، الذى حينما زراته النعمة ، وأثرت فى قلبه و فكره ، قال " اقوم الآن .. " وقام وذهب إلى أبيه ، وقدم توبة .

أما الجاهل فيجعل الفرصة تعبر دون ان يستفيد منها .. ثم يبحث عنها فلا يجدها .. وفى ذلك ، ما أخطر العبارة التى قيلت عن عيسو إنه : " لم يجد للتوبة مكاناً ، مع أنه طلبها بدموع " (عب ١٢ : ١٧) .

كان قد جاء إلى ابية متأخرا ، بعد أن تحولت البركة إلى يعقوب ، وأصبح هو المختار الذى بنسله تتبارك جميع قبائل الأرض ..

وبكى عيسو " وصرخ صرخة عظيمة ومرة " (تك ٢٧ : ٣٤ ، ٣٨) ولكن بعد فوات الوقت ، بعد أن صار البكاء لا يفيد شيئا ..

أنظر إلى عذراء النشيد ، ماذا حدث لها . وخذ درسا ..

كانت نائمة ، كأى خاطئ .. ولكن قلبها كان مستيقظا لنداء الرب . وسمعت صوته يناديها " إفتحى لى .. " ولكنها تباطات ، و التمست الأعذار . ثم قامت أخيرا لتفتح ، ولكن بعد فوات الفرصة ، بعد أن كان حبيبها قد تحول وعبر .. وإذا بها تصرخ وتقول " خرجت نفسى عندما أدبر . طلبته فما وجدته ، دعوته فما اجابنى " (نش ٥ : ٦) . وتعرضت المسكينة لآلام كثيرة .. غير أن الرب من أجل محبتها منحها فرصة أخرى . أما بالنسبة إليك :

وربما تضيع منك هذه الفرصة ، ولا تجد فرصة أخرى فهكذا حدث لفيلكس الوالى ، و للملك أغريباس

كل منهما جاءته الفرصة ن حينما وقف بولس الرسول يترافع أمامه . ومن جهة فيلكس ، يقول الكتاب إنه " بينما كان (بولس) يتكلم عن البر و التعفف والدينونة العتيدة أن تكون ، إرتعب فيلكس " (أع ٢٤ : ٢٥) . عملت النعمة فى قلبه ، وحركته إلى الإيمان و التوبة . ولكنه لم يستغل الفرصة ، ورأى أن يؤجلها إلى مناسبة اخرى ، فقال للقديس بولس " إذهب الآن ، ومتى حصل لى وقت أستدعيك " (أع ٢٤ : ٢٦) .

وللأسف الشديد ، لم يقل سفر أعمال الرسل أن فيلكس حصل على وقت واستدعى بولس .. وهكذا ضاعت منه فرصة العمر كله ..

و هكذا اغريباس الملك أيضاً ، تحدث أمامه القديس بولس العظيم ، بكل ما فيه من عمق وإقناع ، وبكل ما فيه من عمل الروح . فتأثر أغريباس جداً ، و عملت النعمة فى قلبه ، وقال لبولس " بقليل تقنعنى أن صير مسيحيا " (أع ٢٦ : ٢٨) .

ولكن المسكين لم ينتهز الفرصة ، وقام من منصة القضاء و مضى ٠ ومضت معه التوبة والإيمان ، وضاعت الفرصة ٠ ولم يقل الكتاب شيئا بعد ذلك عن أغريباس ٠٠ وبينما كان بينه وبين الله هذا القليل ٠

ليته فعل ، مثل الخصى الحبشى ، الذى انتهز الفرصة ونال الخلاص ٠٠

هذا الخصى دبرت نعمة الله أن يقابله فيلبس فى الطريق ، ويشرح له ما كان يقرأه من سفر أشعياء ٠ وتأثر الرجل ، وعمل الله فى قلبه ، فآمن ، ولم يترك الفرصة تفلت فقال لفيلبس " هوذا ماء ٠ ماذا يمنع أن أعتمد " (أع ٨ : ٣٦) ٠ وفى الحال نزلا إلى المناء ، وتعمد ٠٠ " وذهب فى طريقة فرحاً " ٠٠ إنه من الأمثلة الرائعة لانتهاز الفرصة ٠٠

وأنت يا أخى كم فيلبس أرسله الله فى طريقك ، وتأثرت به ، ولكنك جعلت الفرصة تفلت من يدك ، ولم تستفد منها

لذلك لا تؤجل التوبة ٠ فكثيرون من الذين أجلوا التوبة ، لم يتوبوا على الإطلاق ، وضاعت حياتهم

انظر إلى اليهود ، كم من مرة رفضوا الرب ، وساروا وراء آلهة أخرى ٠ وكم كان الرب يرسل إليهم الأنبياء والرسل لكى يجذبهم إليهم وكانوا يضيعون هذه الفرص كلها ، حتى ألقاهم الرب على يدى أعدائهم ، ورفض صلواتهم وذبائحهم و قال لهم " حين تبسطون أيديكم ، أستر وجهى عنكم ٠ وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع " (أش ١ : ١٥) ٠ وايضاً قال لأرميا النبى "وأنت فلا تصل لأجل هذا الشعب ، ولا ترفع لأجلهم دعاء و لا صلاة ، ولا تلح على ، لأنى لا أسمعك (أر ٧ : ١٦) ٠ فهل تريد بتوالى التأجيل أن تصل إلى هذا الوضع ؟!٠

إن توالى تأجيل التوبة ، قد يعنى رفض التوبة ٠٠ وهذا هو الذى حدث لفرعون ٠٠ حتى هلك ٠٠

كم مرة قال فرعون لموسى وهرون " خطأت ٠ صليا لجلى " ٠٠ ومع ذلك لم يتب ٠٠ أنظروا إلى قوله بعد ضربة البرد و الرعود " أخطأت هذه المرة ٠ الرب هو البار ، وأنا وشعبى الأشرار صليا وكفى حدوث رعود الله البرد فأطلقكم " (خر ٩ : ٢٧ ، ٢٨) ٠٠ ومع ذلك لم يتب فرعون ، ولم يف بوعوده ، والجأ إلى التأجيل ٠ وها هو بعد ضربة الجراد يقول لموسى وهرون " أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما ٠ والآن إصفحا عن خطيتى هذه المرة فقط ٠ وصليا إلى الرب إلهكما ، ليرفع عنى هذا الموت " (خر ١٠ : ١٦ ، ١٧) ٠ ورفع الرب عنه هذه الضربة ، كما رفع غيرها ، ولم يتب ٠٠

كانت ألفاظ التوبة على فمه ٠ ولم تكن التوبة فى قلبه ٠٠

كان يصرخ خوفا ، وليس إقتناعا ٠ وكان يعد بالتوبة ولا يوفى ٠ وظل يؤجل وعوده للرب يوما بعد يوم ،وضربة بعد ضربة ، إلى أن أدركه الغضب الإلهى ، وغرق فى البحر الأحمر وهلك ٠ وكان تأجيل التوبة بالنسبة إليه ، هو رفض عملى للتوبة ٠٠

إنها فرص عرضها الرب عليه ، بالضربات العشر ٠ وكان يتأثر بها ، ويوقن أنه لا بد أن يتوب ٠ ولكنه لم يستغل هذه الفرص لخلاص نفسه ٠ وكانت محبة العالم فى قلبه ، أكثر من محبة التوبة ، فهلك ٠٠

ومن أمثلة الذين ضيعوا فرص التوبة ، الكرامون الأردياء (مت ٢١) ٠٠

أولئك الذين كم من مرة يرسل لهم صاحب الكرم عبيده ، فلا يستجيبون ، ولا يرجعون عن شرهم ٠ وأخيرا أرسل إليهم إبنه ، وكانت فرصة للتوبة ، فلم يتوبوا ٠٠ فماذا حدث ؟ لقد قال لهم أخيرا " مبالكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره " (مت ٢١ : ٤٣) ٠

لنأخذ شمشون الجبار مثالا لتأجيل التوبة ٠٠

كان قد بدأ بداية طيبة ، إذ حل عليه روح الرب ٠ ثم بدأت خطيئته حينما تعرف بدليلة واسلمها قياده وخضع لمشورتها ٠ وقد خدعته هذه المرأة أكثر من مرة ، وسلمته لأعدائه ، وكان يعرف هذا ، ومع ذلك لم يتب (قض ١٦) ، وأستمر فيما هو فيه ٠

وأخيرا كسر نذره ، وأخذه اعداؤه وقلعوا عينيه ، وأوثقوه بسلاسل ، وكان يطحن فى بيت السجن (قض ١٦ : ٢١) ٠ هكذا فعلت به الخطية وتأجيل التوبة ٠ وإن كان الله قد أعطاه فرصة أخرى يوم وفاته ، كرجل من رجال الإيمان (عب ١١ : ٢٢ ، ٢٣) ٠

إن التباطؤ فى التوبة قد يهلك الإنسان ، كما حدث لعاخان بن كرمى ٠٠

هذا أخذ من المال الحرام وخبأه ٠ وانهزم الشعب خطيئته أمام قرية صغيرة هى عاى ، فلم يتحرك ضميره ويعترف بالخطأ ٠ وقال الرب " فى وسطك حرام يا إسرائيل " ٠ وأعلن يشوع هذه الحقيقة ، ولم يتحرك عاخان ٠ ثم بدأ يشوع يلقى القرعة ليعرف من هو المتسب فى غضب الله ٠ ولم يتقدم عاخان ليعترف ٠ ووقعت القرعة على سبطه يهوذا ، وعلى عشيرته (الزارحيين) ٠ وكل ذلك وعاخان لا يتقدم ليعترف ٠٠ إلى أن أشار الله إليه بالإسم ٠٠
فاعترف ما فعله ، بعد فوات فرصة التوبة ٠ إعترف كمن كشفه الرب ، وليس كمن يكشف نفسه ٠ وأخذوه فرجموه (يش ٧ : ٢٥) ٠

لذلك حسنا أن الملاكين لم يسمحا للوط بأن يتباطأ ٠٠

حدث ذلك حينما أراد الله أن يحرق سدوم ٠٠ يقول الكتاب " وكان الملاكان يعجلان لوطا ٠٠ " ولما توانى ، أمسكا بيده وبيد إمرأته وبيد إبنتيه ، وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة ٠ وقالا له " إهرب لحياتك " (تك ١٩ : ١٥ – ٧١) ٠٠ كان لابد أن يبتعد لوط بسرعة عن مكان الشر ، حتى لا يهلك ٠ هناك أمور خطيرة تلزم معها السرعة ، ومنها التوبة ٠٠ لا يصلح لها التباطؤ ، و لا يصلح التأخيل ٠٠
إن العذارى الجاهلات ، جئن متأخرات ، بعد أن أغلق الباب ٠٠
لذلك خسران الملكوت ٠ ووقفن أمام الباب المغلق يقلن فى أسى أو فى يأس " يا سيد افتح لنا " فلم يسمعن سوى تلك العبارة المخيفة " الحق أقول لكن إنى لا أعرفكن " (مت ٢٥ : ١٢) ٠ لقد جئن ، ولكن بعد فوات الفرصة ، بعد أن أغلق الباب ٠٠
حقا ما أخطر وما أعمق تلك العبارة التى قالها الرب فى سفر الرؤيا عن الخاطئة إيزابل :

" وأعطيتها زمانا لكى تتوب عن زنالها ، ولم تتب " (رؤ ٢ : ٢١) ٠

وعبارة " أعطيتها زمانا " هذه ، يقف القلب أمامها بخشوع ٠٠ ويصمت ٠ وإذ لم تتب هذه الخاطئة فى الزمان الذى أعطاها الرب غياه ، فإن الرب شرح ما سوف يوقعه بها من ضربات ٠٠ وقال فى ذلك أيضاً ، إنه " سيعطى كل واحد بحسب أعماله " (رؤ٢ : ٢٣) ٠
إن الله بطول أناته ، أعطى زمانا لهذه الخاطئة لكى تتوب فيه ٠

فلا يجوز أن يؤجل الإنسان توبته ، مستهينا بطول اناة الله ٠

هوذا الرسول يوبخ على ذلك قائلا " أم تستهين بغنى لطفه وامهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة " (رو ٢ : ٤) ٠ ويرى الرسول أن مثل هذا الإنسان يدل على أن فى قلبه قسوه ، وعلى أنه غير تائب ، ويذخر لنفسه غضبا فى يوم الغضب (رو ٢ : ٥) ٠

أمثلة لم تؤجل :

يعجبنى فى داود النبى ، أنه كان سريع التوبة ٠٠

كان غنسانا مثلنا ، يمكن أن يخطئ ٠ ولكن قلبه كان رقيقا حساسا ، يستجيب لصوت الله بسرعة ، ويتوب توبة صادقة دون تأجيل أو إبطاء ٠ ظهر هذا لما وبخته أبيجايل فى لطف ، حينما أراد الإنتقام لنفسه من نابال الكرملى ، فلم يجادلها ولم يبرر موقفه ، وغنما قال لها " مبارك عقلك ٠ و مباركة أنت ، لأنك منعتنى اليوم عن إتيان الدماء وانتقام يدى لنفسى " (١صم ٢٥ : ٣٣) ٠
وكانت توبته سريعة جداً ، لما عد الشعب ٠ إذ ضربه قلبه ٠ وقال " أخطأت جداً فيما فعلت ٠٠ إنحمقت جداً ٠٠ " (٢صم ٢٤ : ٢١ ، ١٧) ٠
ولما نبهه ناثان إلى خطيئته نحو إمرأة أوريا الحثى ، لم يجادل ، إنما قال " أخطأت إلى الرب " (٢صم ١٢ : ٧ ، ١٣) ٠ وامتلأت مزاميره بعبارات التوبة الصادقة والإنسحاق ، وبلل فراشه بدموعه (مز ٥٠ ، مز ٦) ٠

كذلك كانت توبة أهل نينوى ن توبة القديسة بائيسة ٠٠

فمع أن يونان النبى أعطى نينوى فرصة طويلة لتتوب ، ونادى قائر " بعد أربعين يوما تنقلب نينوى " (يون ٣ : ٤) ٠٠ إلا أن هذه المدينة العظيمة لم يؤجل توبتها إلى قرب نهاية هذه المدة ، غنما تابت مباشرة فى المسوح والرماد ، توبة عميقة ، شملت الكل ٠ فرفع الله غضبه عنها ٠٠
و القديسة بائيسة ، التى اخذ الرب روحها فى نفس يوم توبتها ، فى نفس الأمسية التى أتفقدها فيها القديس يوحنا القصير ، لو أنها أجلت توبتها ، وموعد صعود روحها تلك الليلة ، ترى ماذا كان سيصبح مصيرها ؟

سعيد إذن من يستغل الفرصة التى يرسلها الله لتوبته ، ولا يقسى قلبه من يدرى ، ربما هذه الفرصة لا تعود ٠٠

حدث هذا مع سجان فيلبى ، الذى كان حافظا للسجن ، حينما أحدث الرب زلزلة فى نصف الليل ، فانفتحت ابواب السجن ، وانفكت القيوم ، لإنقاذ بولس وسيلا ٠ وهذا لم يتأخر ، وإنما قال لبولس وسيلا " سيدى ، ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص ؟ " (أع ١٦ : ٣٠) ٠ وآمن ٠ وأخذ بولس وسيلا إلى بيته "فى تلك الساعة من الليل " – أى بدون أى إبطاء – " اعتم فى الحال هو و الذين له أجمعون " (أع ١٦ : ٣٣) ٠

أليس درسا لنا فى قصة سجان فيلبى ، أن نقرأ عبارة " فى الحال " ٠٠

وأيضاً عبارة " فى تلك الساعة من الليل " ٠ وكان ذلك " نحو نصف الليل (أع ١٦ : ٢٥) ٠ لماذا إذن نؤجل توبتنا ٠

نفس الأسلوب نقرأه تقريبا فى توبة زكا ٠٠

قول الرب له " إسرع وانزل " ٠ وقد نفذ زكا فى الحال ، وأخذ المسيح على بيته ٠ وفى ذلك يقول الإنجيلى " فأسرع ونزل وقبله فرحا " (لو ١٩ : ٦) ٠ وهكذا قال الرب : (ايوم) حدث خلاص لهذا البيت ٠
إن أمور التوبة ، لا يجوز فيها التأجيل مطلقا ، إنما يناسبها عبارات : الآن ، كما فى قصة الإبن الضال (لو ١٥) ٠ (فى الحال) ، (فى تلك الساعة) كما فى قصة سجان فيلبى (أع ١٦) (أسرع) ، (واليوم) كما فى قصة زكا (لو ١٩) ٠

كل قصص التوبة فى سير القديسين ، تتميز ايضاً بعدم التأجيل :

مريم القبطية ، حالما أمكنها أن تدخل كنيسة القيامة و تتبارك من الأيقونة للحال نفذت ما عزمت عليه فى توبتها ٠ وهكذا صارت سائحة قديسة ٠٠
وبيلاجية ، لما تأثرت بعظة القديس نونيوس ، لم تتركه حتى منحها نعمة العماد ، و نترك لكم باقى التفاصيل فى أمثلة التاريخ ٠٠

* قابلوا الرب ولم يستفيدوا :

ونقول عن أول إنسان فى العالم أضاع فرصة التوبة ، هلك ٠٠

إنه قايين : كلمة الرب بنفسه ، وأنذره من جهة خطيته ، ولم يكن قد تورط بعد ٠ وقال له " عند الباب خطية رابضة ٠٠ و أنت تسود عليها " (تك ٤ : ٧) و نصحه بالتوبة " إن أحسنت ، أفلا رفع " ٠٠ ولكن قايين أضاع الفرصة ، ولم يسمع للنصيحة ، وترك الأفكار و المشاعر تسيطر عليه ٠٠ فسقط ، وكان سقوطه عظيما ٠٠

و العجيب أن هناك كثيرين تقابلوا مع الرب ، واضاعوا هذه الفرصة !

الشاب الغنى ، كانت له فرصة لقاء مع الرب ، وسمع منه نصيحة لخلاصه ٠ ولكنه للأسف سمعها ، ومضى حزينا (مت ١٩ : ٢٢) ٠ وعبارة " وتعال إتبعنى " التىقالها له الرب ، لم يعمل بها ٠٠ وهكذا أضاع الفرصة ٠

والفريسى الذى دعا المسيح إلى بيته (لو ٧ : ٣٦) لم يستفد أيضاً من هذه اما أنت فإن تكام روح الله فى قلبك ن فلا تضيع الفرصة ٠ إن ملايين من الذين فى الجحيم ، يتمنون دقائق حياة كالتى لك١٠ مجرد دقائق ، أو حتى لحظات ، يقدمون فيها توبة ٠٠ ولكنهم لا يجدون ٠ لقد

ضاعت الفرصة واغلق الباب ٠٠ وأنت يا أخى ، لك هذه الحياة كلها ، ألا تفكر فى التوبة ، و تنتهز الفرصة ٠ وكما قال الرسول " مفتدين الوقت ، لأن الأيام شريرة " (افى ٥ : ١٦) ٠

واعلم أن تأجيل التوبة عمل من أعمال الشيطان الذى لا يريد التوبة ٠

هو يعلم أن منعك عن التوبة منعا صريحا ، أمر لا يقبله ضميرك ٠ لذلك لا يقول لك مطلقا " لا تتب " إنما كلما تحرك قلبك نحو الله ٠ يقول لك لا مانع ، ولكن ليس الآن ٠ الفرصة أمامنا طويلة ٠٠ ! ويظل يقودك فى سلسلة لا نتتهى من التأجيلات ، حتى تنتهى الحياة !

* عواقب التأجيل ليست فى صالحك :

إن تأثرت تاثرا روحيا ، وعزمت على التوبة فلا تؤجل :

١-انت لا تضمن نفسك ٠ لا تضمن أن تستمر فيك هذه المشاعر الروحية ٠ بل ربما تبحث عن هذه الرغبة فى التوبة ، فلا تجدها ٠٠ !

٢-ولا تضمن الظروف المحيطة بك ٠

٣-ولا تضمن الغد وما يأتى به ٠ فاستغل حالتك الآن

٤-ولا تضمن أية عراقيل يضعها العدو فى طريقك ، وقد عرف بعزمك على التوبة ، و بزيارة النعمة لك ٠

٥-وإذا بقيت فى الخطية ، منتهزاً فرصة أخرى ، ربما تتحول حالتك إلى أسوأ و تشتد الخطية عليك ، و تتحول من مجرد سقطه أو ممارسة ، إن عادة أو إلى طبع ، و تسيطر عليك تماما ، و تربطك بسلاسل لا يكون من السهل الفكاك منها ٠ و تدخل فى سقطات متتابعة لا تعرف لها نهاية ٠٠ !

إن الشيطان يؤجل لك التوبة ، ريثما يسيطر عليك تماما ٠٠ !

وتصبح فى حالة لا تعرف فيها كيف تتوب ، أو لا تريد فيها أن تتوب ، إذ يكون قد أدخل الخطية على عمق أعماق قلبك ، وفى نفس الوقت عمل على شل إرادتك ٠ وحينئذ يوقعك فى اليأس ٠٠

وهنا و نناقش نقطة اخرى وهى :

* على أى شئ يدل التأجيل ؟

إنه يدل على عدم محبتك لله ، ببقائكفى مخالفته وكسر وصاياه ، ورفض الحياة معه ، و التصالح معه ويدل أيضاً على أن محبة الخطية مازالت فى القلب ٠ ويدل على عدم جدية الرغبة فى التوبة ٠ فالرغبة الجادة تنفذ ٠ ويدل أيضاً على أن اهتمامك الخاطئ بذاتك اعمق عندك من إهتمامك بالله ومشاعره و علاقته بك ٠ وأقول إهتمامك الخاطئ بذاتك ، لأن الذى يهتم بذاته إهتماما سليما ، غنما يهتم بأبديتها و خلاصها ، وبالتالى بتوبتها ٠٠ لذلك لا تؤجل توبتك أبداً ، إنما كما يقول الرسول :

" إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم " (عب ٣ : ٧ ، ١٥) ٠

(4)
دقق قلبك

* مدى الإستجابة لصوت الله :

إن الله يدعو الجميع إلى التوبة ٠٠ ولكن القلوب تختلف فى مدى إستجابتها ٠

الله من فرط محبته للبشر " يريد أن الجميع يخلصون " (١تى ٢ : ٤) ٠وهو بنفسه يسعى إلى خلاصهم ومن أجل خلاصهم أرسل الأنبياء و الرسل ، وأرسل وحيه الإلهى يناديا فى كتابه المقدس أن نرجع إليه و نتوب " ومتغاضيا عن أزمنة الجهل " (أع ١٧ : ٣٠) ٠ ووضع فينا الضمير لكى يبكننا ، وارسل إلينا روحه القدوس يعمل فينا ٠ وأقام لنا الرعاة و الكهنة و الوعاظ و المعلمين ، لكى نسمع صوت الله إلينا من أفواههم ٠٠ ولكن المهم هو : من يسمع ؟ ومن يقبل ؟ وما مدى إستجابتنا لصوت الله ؟ وهنا تختلف نوعية القلوب :

مثال ذلك : الغصن اللين ، والغصن اليابس :

الغصن اللين يتجاوب معك : تعدله ينعدل ، تقيمة يستقيم تغير وضعه ٠ إنه طيع فى يديك ٠ أما الغصن اليابس فلا يلين لك ٠ وإن أردت أن تعدله يقاوم ٠٠ وعلى رأى الشاعر الذى قال :

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب

هناك قلوب قاسية من هذا النوع ، يعمل الرب معها فلا تستجيب ٠

تماما مثل مريض لا يستجيب للعلاج ٠

يقدم له الطبيب الأدوية المألوفة لمرضه ، والتى يستجيب لها أمثاله من المرضى ٠ أما جسده هو ، فلا يستجيب لها ٠ لا تأتى هذه العلاجات بنتيجة معه ٠ وقد يستمر المرض كما هو ، على الرغم من العلاج ، أو تتأخر الحالة عن ذى قبل ٠٠

وهكذا القلب القاسى الذى لا تأتى وسائط النعمة بأية نتيجة معه ٠ وتستمر طباعه كما هى ، وأخطاؤه كما هى ٠

يقينا إن هذا القلب القاسى لا يريد أن يبرأ ٠

أو هو – لقساوة قلبه – لا يريد أن يعترف بأنه مريض يحتاج إلى شفاء ٠ فيبقى فى مرضه كما هو ٠ كالفريسيين القساة الذين عاصروا و عاشروا المسيح سنوات وراوا معجزاته ولم يستفيدوا ، بل قالوا بعدها إنه خاطئ ! وسمعوا تعليمة ولم يستفيدوا ، بل قالوا إنه مضل وناقص للشريعة ٠ وينطبق على هؤلاء القساة القلوب ، قول سليمان الحكيم : **إن دققت الأحمق فى هاون ٠٠ لا تفارقه حماقته (أم ٢٧ : ٢٢)**

ذلك لأن قساوة القلب ، لا تسمح للخاطئ المتمسك بمساكه ، أن يغير سلوكه أو يترك خطيئته ٠ إنه رافض لله مهما سعى الله إليه ليخلصه ٠٠

عجيب أن الله الحنون يسعى وراء الإنسان ٠ والإنسان يرفض الله !

الله العظيم يسعى إلى التراب و الرماد ٠ والتراب الرماد يغلق قلبه أمام الله ٠ الله يتكلم وينادى ٠ وهذا المخلوق المسكين يسد أذنيه ، ويسد قلبه ، ويرفض أن يفتح للرب ٠ الله يقرع على الباب ، حتى يمتلئ رأسه من الطل ، وقصصه من ندى الليل (نش ٥ : ٢) ٠ والإنسان يغلق بابه ، ولا يأبه بهذا القلب الكبير الذى أتاه " طافراً على الجبال ، و قافزا على التلال " (نش ٢ : ٨) ٠٠ إنها قساوة قلب ٠ وقد نرى أحيانا إنسانا يقسو على أخيه الإنسان ، فلا نستريح لقساوته ٠٠

أما أن يقسو الإنسان على الله نفسه ، فهذا كثير ..

ما أعجب أن يكون الإنسان قاسيا فى معاملته مع الله ، الله الحنون الطيب الذى روح هذا الإنسان فى يده ، والذى يعامل الكل برقة متناهية .

ولكن ليست كل القلوب هكذا ، فهناك قلوب طيبة ، لا تحتمل طرقة الله على بابها ، فتقوم لتفتح له بلا إبطاء ، حالما صوته الإلهى .

أمثلة من القلوب الطيبة :

أوغسطينوس – صاحب القلب الرقيق الطيب – قضى فترة طويلة بعيدا عن الله ، لأن الصوت الإلهى لم يكون قد وصل إليه واضحا . فلما وصله صوت الرب ، استجاب للتو ، بكل القلب و بكل العاطفة .. وصار قديسا ..

ومريم القبطية ظلت بعيدة عن الله زمنا ، وبعيدة عن صوته . ولكن لما شعرت بصوت الله وهو يناديها عند الأيقونة المقدسة ، تغيرت تغيرا كاملا ، و استجابت للرب ، وعاشت بقية عمرها فى محبته .

وهكذا بيلاجية ، مجرد منظر القديسين أثر فيها ، مجرد عظة سمعتها ، كان لها قلب رقيق سهل التأثر . وعلى الرغم من زناها و غناها ، تابت بسرعة . وكانت إستجابتها عجيبة .

عجيب فى قصص التوبة ، أن الزوانى يستجيبون للرب بسرعة .

وفى الواقع ليس هذا بعجيب ، لأن غالبية هؤلاء الزوانى لم تكن لهم قلوب قاسية . وإنما كانت لهم قلوب عاطفية ، تستجيب للحب بسرعة . ولكنها انحرفت فى حبها ، فاتجهت به نحو الجسد ، وغلبها الجسد . ولكنها حالما تجد حبا حقيقيا من الله أو من قديسيه ، وترجع بسرعة . فالعاطفة موجودة ، و الحب موجود ، ولم يكن ينقصهما سوى التوجيه السليم . بعكس أصحاب القلوب القاسية الذين لا يستجيبون بسرعة ، وربما لا يستجيبون على الإطلاق . و لذلك حسنا قال الرب لبعض هؤلاء القساة من رؤساء اليهود " الحق اقول لكم إن العشارين و الزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله " (مت ٢١ : ٣١) .

وعجيب أن كثيرا من هؤلاء الزناة ، وتحولوا من خطاة إلى قديسين .

العاطفة الملتهبة التى لهم ، لما تحولت إلى الله ، وإشتعلت بمحبته ، و استطاعت أن تصل إلى حياة القداسة بسرعة . لسنا نذكر فقط أوغسطينوس ومريم القبطية وبيلاجيه ..

إنما يعوزنى الوقت إن تحدثت عن خاطئات أخريات استجبن للرب بسرعة وتحولن إلى قديسات : مثل القديسة بائيسة ، والقديسة تاييس ، والقديسة مرثا ، و القديسة مريم بنت أخى القديس إبراهيم المتوحد ، و القديسة أفدوكيا .. و غيرهن كثيرات

ومن أمثلة هؤلاء من الرجال : القديس يعقوب المجاهد ، والقديس تيموثاوس السائح ، وبدء حياة مار أو غريس .

إنهم جميعا لم يأخذوا من الله مجهودا فى إرجاعهم إليه .

لم يتركوا الله يلح عليهم ، أو يناديهم بلجاجة .

المرأة السامرية ، مجرد جلسة واحدة مع المسيح ، غيرت حياتها كلية . وتحولت من إمرأة خاطئة " لها خمسة أزواج ، و الذى معها ليس لها " ألى القديسة السامرية .. كان لها قلب رقيق يمكن أن يستجيب بسرعة للرب أكثر من الفريسيين العنفاء الذين يتكلمون عن المبادئ العالية و لا ينفذونها .

وداود النبى – بعد خطيئته وزناه – لم يحتمل من ناثان عبارة واحدة هى ط أنت هو الرجل " فصرخ للتو قائلا " أخطأت إلى الرب " . وتاب عجيبة ، كان فيها فى كل ليلة يعوم سريره ، وبدموعه يبل فراشه " (مز ٦) .

نعم إن القلب الرقيق ، قد تكفيه كلمة لتغيير حياته .

عبارة واحدة سمعتها تاييس من القديس بيصاريون ، ، جعلتها تسقط على الأرض ، و تنفجر باكية ، ثم تخرج معه من مكان الإثم لتحيا كقديسة ٠
وعبارة واحدة سمعتها بائيسة من القديس يوحنا القصير ، جعلتها تتأثر ، كما ثاثرت ببكائه عليها ٠٠ وخرجت معه تائبة ٠ وصعدت الملائكة بروحها فى تلك الليلة طاهرة كشعاع من نور ٠
القصص كثيرة ، وكلها تدور فى فلك واحد ، وهو القلب الرقيق الذى يستجيب بسرعة ٠٠ وليس هذا فقط فى دائرة الزوانى الذين تابوا ٠ وإنما فى نطاقات اخرى كثيرة نجد قلوبا رقيقة ، سهلة الإستجابة ، لا تعاند الرب ، بل تسمع له بسرعة ، وترجع إليه ٠

شاول الطرسوسى غيرته عبارة واحدة من الرب ٠

كان شاول شديداً جداً فى تنفيذ الشريعة ٠ وكان مضطهداً للكنيسة ٠ ولكن لم تكن فى قلبه قسوة ، إنما كانت فى قلبه غيرة حسبها مقدسة ، وفعل ما فعله بجهل (اتى ١ : ١٣) ٠ فلما ظهر له السيد المسيح الذى كان شاول يضطهده ، وسمع منه عبارة واحدة ٠٠ قبل الكلمة بفرح ، وتحول إلى العكس ٠٠ وآمن وتألم لأجل المسيح ٠

وبطرس الرسول ، مجرد أن سمع صياح الديك بكى بكاء مراً ٠

لم يكن محتاجا إلى كثير من التوبيخ ٠ يكفى أنه سمع الديك ، حتى قامت ثورة فى داخله ضده ، عصرت قلبه وعصرت عينيه ٠ هكذا القلب ، يكفيه القليل ليتوب ٠
زكا العشار تطلع إليه المسيح ، وكلمة ٠ فلم يحتمل ٠ وأعلن توبته أمام الجميع (لو ١٩ : ٥) ٠ وكم كلم المسيح كتبة وفريسيين و كهنة ، ولم يستفيدوا ٠ أما زكا ، فلم يكن قلبه فى التوبة قاسيا مثلهم ، على الرغم مما هو معروف العشارين من ظلم ٠
ومتى العشار ، لم يعوزه أيضاً لتغيير حياته ، سوى كلمة واحدة من المسيح ، هى " أتبعنى " (متى ٩ : ٩) ٠ فترك كلشئ ، وقام وتبعه ٠ وبنفس الوضع فعل بطرس وأندراوس الصيادان حينما قال لهما المسيح " هلما ورائى فأجعلكما صيادى الناس " (مر ١ : ١٧) ٠
القلب الحساس ليس فقط يطيع صوت الله ن بل يستجيب لأية إشارة منه ولو من بعيد ، يهتز قلبه لها ، لأن قلبه متفتح لله باستمرار ٠

المسألة إذن تتركز فى القلب : هل هو قاس أم سهل ٠ و النوعان يظهران معا فى قصة داود و نابال الكرملى ٠٠

نابال الكرملى سمع رجاء من داود أن يعطيه من جراز غنمه ، لأنه كان هو وجنده محتاجين إلى الطعام ٠ فلم يستجب نابال لأجل قساوة قلبه ٠ فأنذره داود فلم يرتدع ، بسبب قساوة قلبه أيضاً ٠ ما نفع معه الرجاء و لا التهديد ٠
أما أبيجايل زوجة نابال ، فما أن سمعت بقصة داود مع زوجها ، حتى تحرك قلبها بسرعة و استجابت ٠ وقابلت داود وقدمت له ما يحتاجه جنده من طعام ، واستعطفته ٠ وفى نفس الوقت وبخته فى أدب على أنه حاول أن ينتقم لنفسه ٠٠
وداود فى هذه القصة – مع شدته – يقدم مثالا للقلب الطيب الذى يقبل التوبيخ بسرعة ، ويرجع عن أخطائه ٠ إذ قال لها " مبارك عقلك ، ومباركة أنت ، لأنك منعتنى اليوم من إتيان الدماء و انتقام يدى لنفسى " (١صم ٢٥ : ٣٣) ٠

القلب الطيب يقبل التوبيخ ٠ أما القلب القاسى فيثور ٠

داود قبل التوبيخ من أبيجايل ، وهى إمرأة ٠٠ وكذلك القديس الأنبا انطونيوس قبل التوبيخ من تلك المرأة " لو كنت راهبا ، لكنت تسكن فى الجبل " ٠ ولم يقبل الكلمة فقط وينفذ ، بل قال فى قلبه بالأكثر إن ذلك صوت الله إليه بعكس ذلك ، شاول الملك ٠ وهو معروف بقساوة القلب – لما كلمه إبنه يوناثان من أجل داود قائلا " لماذا يقتل ؟ ماذا عمل ؟ " (١صم ٢٠ : ٣٢) ، حمى غضب شاول على يوناثان إبنه ، ووجه رمحه إليه ليقتله ، وشتمه بشتائم صعبة ، وأخزاه (١صم ٢٠ : ٣٠ ، ٣٤) ٠

إن القلب القاسى ، لا يقبل التوجيه ولا النصح ، ولا يتحول عن فكره ٠ وإنما تقنعه كبرياؤه بان يثبت حيث هو ٠ لذلك حسنا قال الكتاب :

الرب يقاوم المستكبرين (يع ٤ : ٦) ٠

لم يقف الرب يوما ضد العشار المسكين ، لكن وقف ضد الفريسى القاسى المتكبر ، وضد الكتبة و الفريسيين القساة ، الذين فى قساوتهم يحملون الناس أحمالا عسرة الحمل ٠٠ (متى ٢٣) ٠ هؤلاء القساة يخسرون أنفسهم ، ويخسرون الناس ، ويخسرون الله ٠

قسوة القلب تعطل التوبة :

ولعل من أبرز ألأمثلة لهذه القسوة فرعون ٠

لم تستطع جميع الضربات أن تلين قلبه ٠ وإن كان أحيانا قد قال " أخطأت إلى الرب " (خر ١٠ : ١٦) ، إنما كان يرجع بعدها ويشتد قلبه كما كان ٠٠ و كلما كان يعد وعداً ، كانى يرجع فى وعده بعد إرتفاع غضب الرب ٠ وكما قال الكتاب " فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج ، إغلظ قلبه ولم يسمع لهما (لموسى وهارون " (خر ٨ : ١٥) ٠

وظل فرعون فى قساوة قلبه حتى هلك ٠٠ كان الله يريد أن يجذبه إليه بتلك الضربات ، ولكنه رفض أن يستمع للرب ، على الرغم من كل عجائب الله التى لمسها بنفسه ٠٠

مثال آخر : هو الشعب المتمرد فى البرية ٠

كل عجائب الله معهم فى ارض مصر ، وكل عجائبه معهم فى البرية ، وكل إحساناته الكثيرة إليهم ٠٠ كل ذلك لم يلين قلوبهم ! ٠٠ لا الضربات العشر ، ولا شق البحر الأحمر ، ولا المن و السلوى ، ولا الماء الذى فجره الله لهم من الصخرة ، ولا عمود النار الذى كان يضئ لهم ليلا ، ولا السحابة التى كانت تظللهم وتهديهم نهارا ٠٠ لا شئ من هذا كله جعلهم يتوبون ٠٠

فوصفهم الرب مراراً عديدة بانهم شعب صلب الرقبة

(خر ٣٢ : ٩ ، ٣٣ : ٣ ، ٥ ، ٣٤ : ٩ ، تث ٩ : ٦) ٠ وقال إنهم " قساة الوجوة ، صلاب القلوب " (خر ٢ : ٤) ٠ وقال عنهم " صلاب الجباه ، قساة القلوب " (حز ٣ : ٧) ٠٠

وبسبب قساوتهم هذه ، لم يستجيبوا للرب ولم يطيعوه ، بل كانوا دائمى التذمر عليه ٠ لا يتوبون مطلقا مهما احسن إليهم ، حتى قال عنهم : **مددت يدى طول النهار لشعب معاند مقاوم (رو ١٠ : ٢١)**

تصوروا الله يمد يده ليصالح شعبا ٠ فيرفض الشعب يد الله الممدودة باستمرار ، طول النهار ٠ ولا يمد يده إليها ليصافح أو ليصالح ٠٠ فماذا انتفعوا من قساوة قلوبهم ؟

لقد خسروا الرب ، وخسروا أرض الموعد ، ولم يدخلوها ، بل هلك جيلهم المتذمر كله فى البرية ٠ وغضب الله عليهم وكاد يفنيهم ، لولا شفاعة موسى فيهم (عد ٣٢) ٠

وابتلعت قساوة القلب كل شئ ٠ ولم تذكر شيئا من إحسانات الله ، ولم تلن ، ولم ترجع إليه ٠ وكل أقوال الأنبياء وإنذاراتهم لم تأت بأية نتيجة ٠

وكأن بذار الله بالنسبة إليهم ، قد وقعت على صخر !

بذار على صخر ، لا يصلح معها ماء ، ولا سماد ، ولا أيدى عاملة ، ولا خبرة زراعية ٠ إنها على صخر ، لا تدخل إلى داخل هكذا القلب القاسى لا يتأثر بشئ : يوبخه ضميره ، فلا يشعر يوخز الضمير ٠ يفتقده الروح القدس ، ليبكته على خطية ، فلا يستجيب لصوت الروح فيه ٠ يسمع كثيرا ، ويقرأ كثيرا ، ولا فائدة ٠٠ يدخل الكنيسة ويخرج ، وهو كما هو بنفس القلب ٠ ويعترف ويتناول مراراً ، ولا يغير فيه الإعتراف شيئا ولا التناول ٠٠ لا تنفع معه إحساناتك الله إن تذكرها ، ولا تحنيفه إنذارات الله و لا تردعه

٠ إنه صخر قلب قاس لا يتأثر ٠ ينطبق عليه قول ابينا إبراهيم أبى الآباء " ولا إن قام واحد من الموتى يصدقونى " (لو ١٦ : ٣١) ٠ لأجل ينبهنا الكتاب قائلا :

إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم (عب ٣ : ٧)

وصوت الله يأتينا من مصادر متعددة ٠٠
قد يكلمنا الله من خلال كتابه المقدس ، أو عن طريق العظات والإرشاد الروحى ٠ أو من خلال الأحداث التى تظهر فيها يد الله ، أو فى الجلسة الهادئة مع النفس ٠٠ والمهم فى كل ذلك أن نقابل صوت الله بأذن صاغية وقلب مفتوح ٠٠ قلب لين ، غير معاند ٠

حتى إن وقعنا فى قساوة القلب مرة ، لا نستمر ٠

فعذراء النشيد ، وإن كانت لم تفتح للرب فى أول مرة ، وقسى قلبها عليه ، وإلا أن القلب عادة فرق مرة أخرى ٠ وقالت : حبيبى مد يده من الكوة ، فانت عليه أحشائى (نش ٥ : ٤) ٠ وقامت تبحث عن هذا الحبيب فى كل مكان ، وتقول " أحلفكن يا بنات أورشليم ، إن وجدتن حبيبى ، أن تخبرنه بأنى مريضة حبا " (نش ٥ : ٨) ٠
ليتنا نحارب قسوة القلب فينا ، لأنه إن رق قلبنا ، ستؤثر فينا كل الوسائط الروحية ، و وتقودنا إلى التوبة ومحبة الله ٠

الإنسان الحساس الرقيق ، كل شئ روحى يؤثر فيه

إن سمع قداسا أو لحنا يتأثر ٠ إن سمع عظة ــ و قرأ كتابا روحيا يتأثر ٠ وقد يتأثر أيضاً يتذكر أحبائه الذين رقدوا ٠٠ فإن أخطأ يقول " لعل روح فلان ترانى الآن " ٠٠ وبذلك يرجع عن الخطأ لتوه ٠ مجرد صورة يراها للمسيح مصلوبا ، قد تحصر مشاعره فيبكى ، كما فعلت القديسة العذراء التى قالت فى داخلها " وأما أحشائى فتلتهب بالنار عند نظرى إلى صلبوتك الذى أنت صابر عليه يا إبنى و إلهى " ٠

عينا الإنسان الحساس ، أشبهها بأسفنجة مملوءة ماءاً ٠

بأقل لمسة أوضغطه ، يفيض ما بها ٠ وهكذا الإنسان ذو القلب الرقيق ، دموعه قريبة باستمرار ٠ إن أخطأ يرجع بسرعة ، ولا يستمر فى الخطأ ٠ كما فعل داود النبى ، وكما حدث لبطرس الرسول فى إنكاره ٠٠ يدرك خطأه بسرعة ، ويندم بشدة ويتوب لوقته ٠٠
إبعد يا أخى إذن عن قساوة القلب ٠ وليكن قلبك رقيقا حساساً يستجيب لكل تأثير روحى بلا إبطاء ٠

واعلم أن قساوة القلب لها أضراراها الخطيرة :

فهى تؤدى إلى الفتور الروحى ، وغلى السقوط ، وتجعل الإنسان لا يأتى بثمر على الإطلاق ٠ وإن استمرت القساوة فى القلب على الدوام كمنهج حياة ، فإنها تجعل الحياة تيبس تماماً ، وتكون نهايتها الحريق (عب ٦) ٠

لا تقل : " وماذا أفعل ؟ هذه طبيعتى " ٠٠

كلا ٠ إن طبيعتك هى فى الأصل صورة الله ومثاله (تك ١ : ٢٦) ٠ وكل خطأ أتى بعد ذلك هو عرض زائل ، يمكن التخلص منه بالتوبة ، وقبول عمل الروح القدس فيك ٠ وكم من قساة تحولوا إلى ودعاء ٠٠ كالقديس موسى الأسود الذى تحول من قاتل ، إلى راهب وديع طيب القلب جداً ، وصار مرشد لكثيرين ، وتخلص قلبه تماما من كل قساوة تجاه الله و الناس ٠

لنبحث إذن عن أسباب قساوة القلب ، ونرى كيف يكون علاجها ٠

أسباب قساوة القلب و علاجها

هناك أسباب لقساوة القلب ٠ نستعرض

١-ممارسة الخطية

الخطية تقسى القلب ٠ والإستمرار فى ممارسة الخطية يقسى القلب بالأكثر ٠ لأنه طالما الإنسان يحيا فى الخطية ، فإنه ينسى الله ، وينسى الوصية ، وينسى الصليب ، وينسى الموت و الفداء ٠ و النسيان يقسى قلبه ٠ فيشرب الخطية كالماء ، ويتعود عليها ٠ وتصبح سهلة أمامه ٠ لا يسمع فيها صوت ضميره ، ولا صوت الروح ٠٠

والتوبة عن الخطية تزيل هذه القسوة ٠ بل إن مجرد التأمل فى بشاعة الخطية ، يطرد هذه القسوة من القلب ٠ وقد تحدثنا عن هذا بالتفصيل فى الباب الول من هذا الكتاب ٠

٢ ـ الشعور بحلاوة الخطية :

إن ذاق الإنسان الخطية ، ووجدها حلوة ، ما أسهل أن ينسى محبة الله ، وينسى وصاياه ، ويتقسى قلبه ٠ وتغطى حلاوة الخطية على كل شئ ، و تبسط غشاوة على العقل و القلب ٠

حواء لما رأت الشجرة شهية للأكل ، تقسى قلبها ٠

ونسيت وصية الله ، ونسيت حكم الموت ٠ ولم تعد أمامها حياة النقاوة و لا محبة الله ٠ وشهوة الشجرة غطت على كل شئ ٠

كذلك شمشون نسى نذره ، وخدرته الخطية ٠

حينما كان مع دليلة ، لم يكن مع الله ٠ أنسته الخاطئة كل شئ ٠ ونداء روح الله الذى فيه ، لم يعد يعطى تأثيره ٠ بل نسى أن دليلة لم تكن مخلصه له ، وسلمته لأعدائه أكثر من مرة ٠ ولكن القلب بالشهوة كان قد تقسى حتى عن سماع صوت العقل ٠ اصبح صلبا ، لا يؤثر فيه شئ ٠٠ وفقد شمشون كرامته ونذره (قض ١٦) ٠

لهذا السبب أيضاً الشاب الغنى وصية المسيح٠

كان يبحث عن الحياة الأبدية ويسأل عنها ٠ وكان يحفظ الوصايا منذ صباه ٠ ولكن كانت هناك محبة المال فى قلبه ٠ وحلاوة هذا المال ، قست قلب هذا الشاب ٠ فسمع الوصية من المسيح ، ومضى حزينا ، لأنه كان ذا أموال كثيرة (متى ١٩ : ٢٢) ٠

وحلاوة الخطية قست قلب فرعون ٠٠

امامه مئات الآلاف يمكنه أن يسخرهم فى أعماله ٠ كيف يمكن أن يترك كل هؤلاء يمضون ، ويخسر هذا الجيش من المسخرين ؟! حلاوة هذه الخطية ، خطية السخرة ، وخطية السيادة ، قست قلبه ، فلم يستفد

من كل الضربات التى حلت عليه و على مصر كلها ٠ وكلما كان القلب يستجيب ، كانت حـــلاوة الخطيـــة تثنيه فيرجع ٠

كذلك فعل آخاب ، حين اشتهى حقل نابوت اليزرعيلى ٠

من أجل حلاوة هذا الحقل فى عينيه ، كسر وصية الله ، واستسلم لنصيحة إيزابل ، وقتل نابوت ظلما بعـــد أن لفق حوله تهما ، و استحضر شهود زور ٠ كانت حلاوة هذا الحقل تغشى على ضميره تماماً ، وتقسى قلبه الذى قبل الظلم و القتل ٠

حلاوة الخطية تجعل صوت الضمير يفقد تأثيره ، ويتقسى القلب ٠

فغما أن الإنسان ينسى وصية الله ، وإما أن يؤجل تنفيذها لكى يستمر بقاؤه مع الخطية التى يحبها فتـــرة أطول ٠ و خلال هذا يصم أذنيه عن كل صوت داخلى يبكته ، وعن كل صوت خارجى ينصحه ٠ ويصـــبح قلبه صلبا غير قابل للتحول ٠ يناديه العقل أن يبعد عن هذه الخطية الت يحبها ، ويناديه ضميره ، و تناديه كل المؤثرات الروحية ٠ ولكن القلب الذى تقسى بالخطية ، يقول : " نعم سأبعد ، ولكن ليس الآن " ويؤجل التوبة ٠

و التأجيل يقسى القلب ، فلا يلين للهاتف الروحى ٠

قساوة القلب تجعل الإنسان يؤجل التوبة ٠ وتأجيل التوبة يقسى القلب بالأكثر ٠ فكلما يؤجل الإنسان توبته ، ويستمر شاعراً أنه يتمتع بالخطية ، تزداد حالته سوءا ٠ ممارسته للخطية تشعره بحلاوتها ونفعهـــا ٠ وحلاوتها نفعها ٠ وحلاوة الخطية تدعوه إلى مزيد من الممارسة ٠ وفى كل ذلك يكون القلب قاسيا لا يتأثر بالروحيات ٠

لا حل إلا أن يفقد الشعور بحلاوة الخطية ٠

فإما أن يصل إلى الإقتناع بانه فى حالة ضياع ، وبأن الخطية تضره هنا و تفقده أبديته ٠ وإما أن بعـــض نتائج الخطية تهزه هزا ٠ وإما أن الله يضربه فيستيقظ ٠ وإما أن يمل من الخطية و يتعب ٠ و حينئذ يفكر تفكيرا آخر وهناك علاج آخر هام وهو :

الإكثار من أغذية الروح ، حتى تفقد الخطية حلاوتها ٠

لابد أن تتغير نظره الإنسان إلى الخطية ٠ ولعل هذا ما يقصده الرسول بقوله " تغيروا عن شكلكم بتجديـــد أذهانكم " (رو ١٢ : ٢) ٠ وبتجديد الذهن لا يشعر بحلاوة فى الخطية ٠

نتناول سببا آخر لقساوة القلب وهو :

٣- التأثير الخارجى الضار :

إن العشرة و الصداقة و البيئة ، لها بلا شك تأثير على حالة القلب ٠٠
فإن عاشرت أشخاصا ، لهم قلوب حساسة لوصايا الله ، فغنك تتعلم منهم هذه الحساسية ، ونتعلم الدقة فى السلوك الروحى ٠

وإن عاشرت أشخاصا لا يبالون ، يعلمونك قساوة القلب

ربما لولا عشرة إيزابل ، ما كان آخاب الملك قد تقسى قلبه ليقتل نابوت اليزرعيلى (١مل ٢١) ٠ إيزابل هى التى قدمت له الفكرة الخاطئة ، وساعدته على تنفيذها ، ودبرت له كل شئ ، وسهلت لـــه العقبـــات ، وقست قلبه فتقسى ٠٠

وهكذا فعلت نصيحة الشباب مع رحبعام ، فتقسى قلبه ٠

نصحوه أن يقول للناس " إن خنصرى أغلظ من متنى أبى ٠٠ أبى أدبكم بالسياط ، وأنا أؤدبكم بالعقارب " (١مل ١٢ : ٨ – ١١) ٠ وهكذا أفهموه الكرامة بأسلوب ضيعه ٠ فتقسى قلبه ، نفذ نصيحتهم ٠٠

وهكذا من يسهلون الخطية للآخرين ، ويساعدونهم عليها ٠

هناك أشياء قد ينفر منها القلب بطبيعته ٠ ولكنه إن شجعه احد عليها ، أو قاده ، فإنه يستسلم ويســـقط ٠ كمن يتعلم التدخين لأول مرة ، أو كجماعات الهيبز الذين كانوا يقترفون أموراً بشعة كالعرى امام الناس ، أو ممارسة الجنس امام الصدقاء ، أو أنواع أخرى من الإباحية ، ومن القتل وشرب الدماء٠ وكان أتباعهم يشمئزون منها فى اول الأمر ، ولكنهم ينقادون اخيرا ويمارسونها ، كما ورد فى مذكراتهم ٠٠ ويتقســـى قلبهم ٠ وقد صدق أحد الأدباء ، حينما قال :

قل لى من هم أصدقاؤك ، اقول لك من أنت ٠

أصعب شئ هو الضمير الواسع ، الذى يبرر كل خطأ ، ويجد لكل خطيئة تعليلاً ، ويجعل العقل فـــى خدمـــة رغبات النفس ٠ فإن وجدت هذا النوع من الناس ، فابعد عنه ، لئلا يغرس فى قلبك أفكاراً وشـــهوات لـــم تكن فيه ، يقسى قلبك بتبرير الخطية ، أو باعتبارها شيئا طبيعياً ، أو على الأقل يهزأ من تدقيقك فى الحياة الروحية ، معتبرا ذلك تطرفا أوعقداً ٠٠ فيقسى قلبك ٠

وقد تكون الصحبه الشريرة كتبا أو وسائل إعلام ٠

أو مطبوعات ، أو تسجيلات صوتية ، أو أفلام ، أو شرائح ٠٠

وكل ذلك يترك فى نفسك تأثيرا فى اتجاه معين ، ويقودك حيث لا يريد الله لك ، ويعلمك أشياء جديـــدة قـــد تضرك ، ويغرس فيك أفكاراً قد تغير نظرتك الروحية ، فيتقسى قلبك٠٠ أو يقدم لك مفـــاهيم جديـــدة عـــن الحرية ، وعن القوة ، وعن الشخصية ، وعن السعادة ، ربما تشوش على مبادئك وقيمك ٠٠

إحترس إذن ٠ وكن مدققا فى اختيار ما تقرأ و ما ترى ٠ وافحص ما تسمع ، حتى داخل بيتك ٠

وافحص كل فكر جديد ٠ وتدرب على تمييز الأرواح ٠

لا تقبل كل مشورة وكل فكر و كل رأى ٠ إنما كن قويا من الداخل ٠ ولتكن لك فضيلة الإفـــراز و تمييـــز الأرواح (١يو ٤ : ١) ٠ ولا تفقد مبادئك الروحية ٠ وكن دقيقا فى اختيـــار أصـــدقائك ٠ وكـــن كثيـــر الإستشارة فى كا جديد تقابله ٠ وافحص كل شئ فى ضوء تعليم الكتاب وسير القديسين و المبادئ الروحية الثابتة ٠٠ وايضاً من الأشياء التى تساعد على تقسية القلب :

٤- الاستسلام للعوائق

المفروض أن ننتصر على العوائق لا أن نستسلم لها ٠

ما اسهل أن يضع الشيطان امامك عوائق فى كل تفاصيل حياتك الروحية : بالخوف على الصحة قد يقـــف عائقا أمام الصوم ٠ وقلة الوقت قد تقف عائقا أمام الصلاة و القراءة الروحية والإجتماعات و الخدمة ٠ و الإحتياج المالى ربما يقف عائقا امام دفع العشور لله ٠ و المشغولية قد تقف عائقا أمام تقديس يوم الـــرب وما يسمى بالحكمة قد يغطى كل تصرف خاطئ ٠ فتكون الحكمة العالمية عائقا أمام تقدمك الروحى ٠ (وبالحكمة) قد تتعلم التملق والمحباة و الخوف ٠٠

واستسلامك للعوائق ، يعلمك التهاون ، ويقسى قلبك ٠

غن القلب القوى لا يعترف بأن هناك عائقا يقف أمامه ٠ و لا يسمح لهذه العوائق أن تقسى قلبه ، بل يحيا فى حياة الإنتصار المستمر ٠ و يجد فى الإنتصار على كل عائق لذة روحيـــة ٠٠ وإن وضـــع الشـــيطان عوائق امامه ، يتذكر قول الرسول " فقاوموه راسخين فى الإيمان " (١بط ٥ : ٩) ٠
من الأسباب الأخرى التى تقود إلى قساوة القلب :

٥- الاستهانة بلطف الله :

أحيانا يخطى الإنسان ٠ وإذ لا يجد أمامه عقوبة إلهية رادعة ، يستهين بوصايا الله ، ويفقـــد مخافتـــه ، ويتقسى قلبه ٠٠ بينما نرى الإنسان يدقق فى تصرفاته الرسمية ، حيث توجد مؤاخذة ومساءلة وعقوبة ويذكرنا هذا بقول الرسول " أم تستهين بغنى لطفة وإمهاله وطول اناته ، غير عـــالم ان لطـــف الله إنمـــا يقتادك إلى التوبة ٠ ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبا فى وقت الغضب " (رو ٢ : ٤ ، ١٥)

القلب القاسى بنفعه أحيانا الحديث عن مخافة الله ٠

الذى تذيبه المحبة ، يمكن الحديث معه عن محبة الله ٠ أما الذى يستهين و يســـتهتر و لا يبـــالى ، فـــإن مخافة الله قد تنفعه ٠ والرسول يقول " لا تستكبر بل خف " (رو ١١ : ٢٠) ٠ ويقول ايضـــاً " مكملـــين القداسة فى خوف الله " (٢كو ٧ : ١) لعل هذا يذكرنا بأن الكبرياء هى أحد أسباب قساوة القلب :

٦- الكبرياء

الكبرياء تقسى القلب ٠ والمتكبر لا يفكر إلا فى ذاته وفى كرامته ٠ لا يضع الله امامه ، ولا الناس ٠ وفى سبيل تنفيذ مشيئته ، يمكن أن يفعل أى شئ ، و لا يبالى وهكذا يصل إلى قساوة القلب ٠
اما المتواضع ، فينسحق قلبه أمام الله ، ويطيع ، ولا يقسو ٠
وإذا وصل الإنسان إلى انسحاق النفس ، يمكن أن يقوده الإنسحاق إلى التوبة ، إذ تفارقه قساوة القلـــب ، وتلازمه النعمة ٠ من الأسباب التى تؤدى أيضاً إلى قساوة القلب :

٧- فقدان هيبة الوسائط الروحية

فالذى يمارسها بلا روح ، تفقد هيبتها عنده ٠

وبالتالى تفقد تأثيرها عليه ٠ وهكذا لا يستفيد منها ، فيتقسى قلبه ٠
قديما كان يدخل إلى الكنيسة ، فيتجشع قلبه ويخاف ، إذ يشعر أنه أمام الله فى بيته ٠ أمـــا الآن ، فهـــو يتحدث ويناقش ، ولا تترك فى نفسه أثراً ٠ وكذلك الهيكل ٠٠
كذلك اعتاد التناول ، و الإعتراف بغير خشية ، اعتاد الصلاة و القراءة بغير روح ٠ واعتاد الصوم كعمـــل جسدانى ٠٠ ولأن قلبه تقسى بالخطية والإستمرار فيها ، لم تعد هذه الوسائط الروحية تغير من أمره شيئا

كمريض تعود أدوية معينة ، ففقدات تأثيرها عليه

أو كأنسان ياخذ مسكنات بكثرة ، إلى ان تفقد هذه المسكنات مفعولها بالنسبة إلى آلامه ٠ أو كموظف يقابل رئيسا له باستمرار ويختلط به ، فلم يعد يخشاه أو يهابه كباقى الموظفين ٠٠ أو كإنسان عاش فى أمـــاكن مقدسة واعتادها ، فلم يعد يتأثر بها كمن يزورها لأول مرة ٠٠
لذلك يحتاج من يمارس الوسائط الروحية ، أن يمارسها بروح ، بعمق ، بفهم وخشوع ، حتى تعود هيبتها إليه ، ويستفيد منها لترد قلبه إلى الله ٠٠

إبعد عن الخطوة الأولى
واحترس من الثعالب الصغار

إن كنت تريد أن تتوب ، فاحترس من الخطوة الأولى نحو الخطية ٠ وفى غالبية الحالات لا تهجم عليك الخطية دفعة واحدة بكل قوتها ، إنما تزحف إليك زحفا فى مدة طويلة حتى تصل إليك بتدريج كثير ٠٠ فانظر من أين تأتيك الخطية ، وارقب مراحلها ٠

ومراحل الخطية تبدأ غالبا باتصال ، ثم إنفعال ، ثم إشتعال ٠

تتصل بك الخطية أولا عن طريق العثرات ، أو التهاون ، و المعاشرات الردية ٠ فغن أعطيتها مجالا ، قد تؤثر عليك فتنفعل بها سواء أكان إنفعالا فكريا أو عاطفيا فإن تهاونت مع هذا الإنفعال الداخلى ، يشتد فيتحول إلى اشتعال ٠ وفى هاتين المرحلتين تكون مؤثرات الخطية قد انتقلت من الخارج إلى الداخل ٠ وهذا أخطر وقد يتطور الأمر إلى ما هو أشد ٠

يتطور الأمر إلى صراع داخلى ، ربما ينتهى إلى تسليم فسقوط ٠

إنه صراع بين الضمير و الخطية ، أو بين الروح والمادة ٠ و الصراع يدل على أن الإنسان رافض للخطية ، وأنه يقاوم ٠ وهى مرحلة متعبة ، ولكنها أفضل من التسليم والسقوط ٠ ويكون الإنسان قد أوقع فيها نفسه يتهاونه فى المراحل السابقة

أنت لا تضمن هذا الصراع بينك وبين الخطية ٠

قد تنجح فيه بعد تعب ٠ وقد تفشل فتلقى سلاحك ، وتستسلم للعدو وتسقط ٠ فالخطية من طبعها ، إنها لا تستريح حتى تكمل ٠٠

وإن سقطت فى الخطية ، لا يترك كالعدو ، بل يستمر فى حربه ، حتى تتكرر الخطية ، وحتى تتحول إلى عادة عندك أو طبع فيك ٠ وتصل إلى الوضع الذى لا تستطيع فيه أن تقاوم ٠٠ بل تخضع لكل ما يقترحه الشيطان عليك كعبد له وللخطية التى سيطرت عليك ٠

سبى العدو لك ، وعبودية الخطية ، يمثلها سبى بابل ، حيث يقول المرتل " على أنهار بابل هناك جلسنا ، فبكينا حين تذكرنا صهيون " (مز ١٣٦) ، ويقول " كيف نسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة ؟١" ولا يكتفى عدو الخير بأن يجعل فريسته عبدا للخطية ، وإنما قد يتطور إلى وضع أبشع ٠٠

قد تتطور العبودية إلى مذلة العبودية

أى الوضع الذى يشتهى فيه الإنسان الخطية ولا يجدها ٠٠ ! ويطلبها متوسلا بكل قـواه ٠ كمـن يطلـب شهوة المال أو شهوة المقتنيات ، أو شهوة الجسد ، فلا يجدها ٠ أو كمن يطلب العظمـة أو الكبريـاء أو الإنتقام أو التشفى ، ويسمعى بكل ورغبته لعله يجد ٠٠
وكأنه يتوسل إلى الشيطان ، ان يمنحه الخطية ! ٠٠ وهذه مذلة ، وقد يتمادى الشيطان ، أو يتسول مـن الشيطان ، أن يمنحه الخطية ! ٠٠ وهذه مذلة ، وقد يتمادى الشيطان حتى يحتقر هذا الإنسان !
ففى أية مرحلة من هذه المراحل أنت كائن ؟

ليتك تختصر الجهاد ، وتبعد عن الخطوة الأولى

فهذا أسهل لك وأريح ، وأكثر ضمانا ٠ كما أنه يدل على نقاوتك ، وعدم قبولك للخطية ٠ ويدل على عـدم تفاوضك مع العدو تعاملك معه ٠ وعن هذا شرح القديس دورثيئوس :

مثال الشتلة الصغيرة ، والشجرة الضخمة ٠

فقال إنه من السهل جداً أن تقتلع شجيرة صغيرة من الأرض ٠ تمد يدك فتنزعهـا بسـهولة ٠ ولكـن إن صبرت عليها حتى تصير شجرة ضخمة ، يكون من الصعب عليك اقتلاعها ٠٠ وحتى إن نجحت ، فهنـاك خطورة أخرى ٠

قد تنتصر على فكر شرير داخلك ، بعد صراع مرير٠ ولكنه أثناء الصراع يكون قد نجس ذهنك وربما قلبك

وحتى إن طردته من عقلك الواعى ، قد يبقى فى ذاكرتك ، وفى عقلك الباطن ٠ وربما يعود اليك بعد حين ، أو يظهر فى أحلامك أو فى ظنونك ٠٠ فلماذا كل هذا الشعب ؟ الوضع السليم هو أن تتخلص منـه مـن بادئ الأمر ، قبل أن يستقر ، وقبل أن يتسع نطاقه في محاولة تدمير روحياتك . حاول أن تنتصر من البدء ، من مرحلة الاتصال .
بقدر إمكانك ، حاول أن تبعد عن الإتصال بالخطية .
في ذلك يقول المزمور " طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار . وفي طريق الخطاة لـم يقـف . وفي مجلس المستهزئين لم يجلس " (مز١) . وقد لاحظ أحد القديسين لوناً من التطور فيما ذكره المزمور . سلوك ، ثم وقوف ، ثم جلوس . المرحلة الأولي هي السلوك أي المشي . أخطر منها الوقوف معهـم . وأخطر منهما الجلوس أي الإستقرار . كما أن مرحلة المستهزئين الأخيرة هي أبشع من مرحلة الخطاة . إذ تعني خطاة مستهزين .
لذلك لا تسمح للخطية أن تتطور معك ، أو أن تجعلك تتطور معها ٠ ومن أول خطوة إبعد عنهـا ٠ هذا عن كنت تريد أن تتوب ، وإن كنت تريد أن تحفظ قلبك نقيا ٠ وعلى أية الحالات :

فى أية مرحلة وجدت ، لا تتطور إلى أسوأ ٠٠

لأن أراتك قد تكون قوية فى أول هذا القتال ، فى مرحلة الإتصال ٠ فإذا نفعلت تكون إرداتـك قـد بـدأت تستجيب للخطأ ٠ وفى الإشتعال تكون قد ضعفت وفى الصراع تدخل فى مرحلة حيـاة أو مـوت ٠ فـإن سقطت ، تكون إرادتك قد انتهت ٠ وتصبح إنسانا مسلوب الإرادة ٠ فالتفت إلى نفسك ، واحتـرس منـذ الخطوة الأولى ٠ واعلم هذا جيدا ، أنه :

كلما يخطو الإنسان خطوة فى طريق الخطية ، تضعف إرادته

ويميل إلى الخطية ، ويكون قد أعطى الشيطان مكانا ، ووسع له داخل نفسه كلما يخطو خطوة أخرى نحو الخطية ، تقل محبة الله فى قلبه ، ويكون سقوطه أمراً متوقعا جدا ٠٠ لذلك يقول المزمور " يا بنت بابـل الشقية ٠٠
طوبى لمن يمسك أطفالك ، ويدفنهم عند الصخرة " (مز ١٣٦) ٠
بنت بابل (أرض لسبى) هى الخطية ٠ وأطفالها هم شهوات الخطية أو أفكارها منذ الأولى ، قبل أن تكبر الخطية ٠ طوبى لمن يمسكهم ويدفنهم (أى يتخلص منهم) عند الصخرة ٠ وكما يقول الكتاب " و الصخرة

كانت المسيح (١كو ١٠ : ٤) ٠ أى طوبى لمن يقاوم الخطية ، من أول ولادتها فى الفكر ، و يستعين فى القضاء عليها بقوة من المسيح نفسه ٠ وسنحاول أن نضرب أمثلة من الكتاب عن تطور مراحل الخطية :

كيف تطور الأمر فى سقوط أمنا حواء ؟

لنأخذ درسا فى حياتنا من هذه الخطية الأولى ٠ هل سقطت حواء حينما قطفت من الشجرة فأكلت ، وأعطت رجلها فأكل معها ؟ كلا ، فقد كانت هذه هى المرحلة الأخيرة من المأساة ٠ و كانت تطوراً طبيعيا جدا لكل ما سبقها ٠ وكان الأمر متوقعا ٠٠! فكيف ذلك ؟

كيف تطور المر مع حواء ، حتى قطفت من الشجرة ؟

بدأت المشكلة حينما جلست مع الحية ، فأسمعتها الحية كلاما عجيبا " لن تموتا ٠٠ يوم تأكلان تنفتح اعينكما ، وتصيران مثل الله ، عارفين الخير والشر " (تك ٣ : ٤ ، ٥)
وهنا دخل الشك فى قلب حواء ، ثم بدأت تفقد الإيمان فى صدق كلام الله الذى قال " يوم تأكلان موتا تموتاً أو على الأقل بدأ إيمانها يتزعزع ، ودخلها الشك ٠٠ وأسلمها الشك إلى الشهوة ، شهوة الألوهية ، وشهوة المعرفة ، وليس مجرد شهوة الثمرة ٠ وهنا كان انفعالها الداخلى قد بلغ أقصاه ٠ وفقدت حواء ساطتها ، وفقدت نقاوتها الداخلية ٠ ونظرت على الشجرة ، فإذا هى : جيدة للأكل ، وبهجة للعيون ، وشهية للنظر (تك ٤ : ٦) ٠
كل يوم كانت حواء تمر على الشجرة ، لأنها فى وسط الجنة ، ولم تكن تنظر إليها هكذا ٠ فمن أين هذه النظره ؟

فكر غريب دخل إلى القلب ، تحول إلى شهوة ٠ وسيطرت الشهوة على القلب ، واستسلمت لها الإرادة

وما كانت حواء قادرة فى ذلك الحين ، وما كان آدم قادرا ، على الإمتناع عن الأكل ٠ فحالة قلبهما كانت قد تغيرت تماما عن وضع النقاوة و البساطة الأولى و حل الشك محل الإيمان ٠ واشتد الإغراء جدا ٠ وضعفت الإرادة جدا ٠ وسقطت حواء وآدم معها ٠

كان يجب على حواء ان تبعد عن الخطوة الأولى ٠

فلا تجلس مع الحية وهى " أحيل حيوانات البرية " ٠ وإن جلست ، فما كان يجب أن تسمع كلاما ضد وصية الله ٠ وإن سمعت ، كان يجب أن ترفضه ولا تصدقه ٠ ولا تجعل الفكر الخاطئ يدخل إلى القلب ، ويتحول إلى شهوة ٠ وإن جاءتها مثل هذه الشهوة ، كان يجب أن تقاومها ٠٠
ولكنها تركت الأمور تتطور فى قلبها ، وتقودها من خطية إلى أخرى ، حتى وصلت إلى أقصى درجات السقوط ٠٠ وما كان أغناها عن كل هذا ، لو بعد منذ الخطوة الأولى ٠٠

أتريد أنت إذن ألا تسقط ؟ إبعد عن الحية ٠

إبعد عن " المعاشرات الردية التى تفسد الأخلاق الجيدة " (١كو ١٥ : ٣٣) إحترس من التأثيرات الخارجية الشريرة ٠ واحترس من أن تنفتح عيناك لكى تبصر الخطية ٠ إبعد عن هذه الخطوة الأولى ، حتى لا تقودك إلى الضياع شيئا فشيئا ٠

فبهذه السقطة عينها سقط شمشون ٠ بسبب حية أخرى ٠

شمشون الجبار ، القاضى العظيم ، ذو الكرامة و الهيبة ، الذى كان روح الرب يحركة (قض ١٣ : ٢٥) ، والذى حل عليه روح الرب (قض ١٤ : ٦) ٠ شمشون هذا ، باح بسره ، وكسر نذره ، واذله أعداؤه فقأوا عينيه ، وجعلوه يجر الطاحون فى بيت السجن (قض ١٦ : ٢١) ٠ وقد تأثرت جدا من هذا المنظر ، وأنا شاب صغير ، منذ حوالى أربعين سنة ٠ وكتبت قصيدة على السان شمشون أولها :

انا الجبار أم شبحى ... انا شمشون أم غيرى
إذا ما كنت شمشونا ... فأين مهابة القدر ؟
وأين كرامة القاضى ... وأين مواكب النصر ؟
وأين النور من عينى ... وأين الطول من شعرى ؟

***

وأين كرامة القاضى هل تدرين ما ســـــرى؟
أجيى إننى مصـــــغ فقد حيرت فى أمـــرى ؟
أنا الجبار أم شبـــح أنا شمشون أم غيـــرى ؟

شمشون هذا : هل حلت مأساته فجأة ، أم لها تطورات ؟

نعم لها تطورات ، خطوة تقود إلى خطوة ٠ أولها انه ذهب إلى غزة ، وأخطأ هناك (قض ١٦ : ١) ٠ ثم تعرف على إمرأة إسمها دليلة ٠ وتطورت علاقته بها إلى أنه أحبها وتعلق بها ، ثم أقام عندها ٩ وفى كل هذا ما كان ضميره يتعبه ! وأحس أعداؤه هذا فاستغلوها ضده ٠ وحاولت ان تعرف سر قوته لتسلمه إلى أيدى اعدائه ٠ وسألته أكثر من مرة ، وكانت تخبر أعداءه ، وهو يعلم هذا ٠٠ ومع ذلك بقى على علاقته بها ٠ ولكنت ضاعت شخصيته معها ٠٠ وتطور إلى أن أخبرها بسره ، فباعته لأعدائه بالفضة ٠ ورضى أن يسلمها رأسه لحلق شعره ٠ وضاعت قوته ، فأسروه

ما كان أغناه عن كل هذا ، لو أنه بعد عن الخطوة الأولى ٠٠ أو لو أنه أستيقظ إلى نفسه فى اية مرحلة من المراحل التى مرت عليه٠٠ ، قبل أن يصل إلى المأساة ٠٠

مأساة لوط ، مرت أيضاً بمراحل وتطورات ٠

لقد هلكت سادوم ، وهلك معها كل غنى لوط ٠ وفقد كل شئ وجميع أقاربه ، وفقد إمرأته أيضاً ٠ وكـــان يمكن ان يهلك مع المدينة لولا أن أخرجه مع إبنتيه ملاكان (تك ١٩) ٠
وأنا عندما أحلل مشكلة لوط ، إنما أرجع بعقارب الساعة إلى الخلف سنوات ٠٠ حينما كـــان يعـــيش فـــى صحبة رجل الله ابرآم ، إلى جوار البر والمذبح ٠ ثم بدأت المشكلة ٠٠

أحب لوط الغنى والإتساع ، فاشتهى الأرض المعشبة ٠

وأدى به هذا المر إلى أن ينفصل عن رجل الله إبرآم ٠ وكانت أول خسارة له ٠٠ ثم تطلـــع يبحـــث عـــن الأرض المعشبة ، فرأى سدوم ٠ وكانت أرض سقى " كجنة الله ، كأرض مصر " (تك ١٣ : ١٠)
" فاختار لوط لنفسه " ٠ وكان هذا خطأ روحيا ٠ " وكان أهل سادوم أشراراً وخطاة لدى الرب جداً " (تـــك ١٣ : ١٣) ومع ذلك : لم ينظر لوط إلى روحيات المكان ، بل إلى خضرته !
فترك إبرآم و المذبح ، ليذهب إلى الأرض المعشبة ، فى عشرة الأشرار ٠ ذهب إلى المكان الذى فيه خير مادى ، وليس إلى المكان الذى فيه الله ! وبدا أن روحياته فى الدرجة الثانية من اهتمامه " وكان البـــار – بالنظر والسمع ، وهو ساكن بينهم – يعذب يوما فيوما نفسه البارة بالأفعال الأثيمة " (٢بط : ٢ : ٨) ٠

ومع ذلك كله ، تطور الحال به أسوأ ٠

فاختلط بشعب الأرض ، وزوجهم من بناته ٠ فقد هيبته الروحية بينهم ، حتى أنه عندما أنذرهم بحكـــم الله فيما بعد " كان كمازح فى أعين أصهاره " (تك ١٩ : ٤٠) ٠ وهجموا على بيته حين دخل عنده الملاكان ٠٠ وانتهى الأمر بهلاك المدينة وفقد كل ما كان له ٠

وكان الأجدر أن ينتبه من البداية ، ولا يترك ابرآم ٠

كان عليه أن يحارب فى قلبه الخطوة الأولى ، وهى محبة الرض المعشبة ، محبة الغنى والاتســـاع ٠ إذن ما كان يحدث له شئ من كل هذا الذى حدث ٠

لنتأمل إذن خطية داود ٠ ونرى خطوتها الأولى ٠

لقد زنى داود ، وقاده الزنى إلى القتل ، ليغطى خطيئته ٠ كما قاده الأمر إلى أسلوب من الكذب والإلتـــواء لخداع أوريا الحثى (٢صم ١١ : ٨ – ١٣) ٠ فهل كان الزنى هو الخطوة الأولى ؟ كلا ٠ سبقها إنه رأى المرأة تستحم فاشتهاها ٠ ومع ذلك لم تكن هذه هى الخطوة الأولى ، إذ سبقها أن داود قام عن ســـريره ، وتمشى على سطح بيت الملك ، وتطلع على بيوت الناس وأسرار حياتهم الشخصية ٠ ولكن ســـبقت هـــذه خطوة أخرى أساسية :

كانت الخطوة الولى فى سقطه داود ، حياة الترف ٠

هذا الترف الذى يجعله يبيت فى قصره ، بينما الشعب منشغلا فى الحرب فى الصحراء ، وهو لا يشاركهم حتى بشعوره ٠ لقد كان أوريا أكثر نبلا منه فى هذه النقطة ، إذا لما دعاه داود أن يذهب إلى بيته ويستريح ، أجاب أوريا " ٠٠ عبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتى إلى بيتى ، لآكل واشرب واضطجع مع إمرأتى ؟! وحياتك نفسك لا أفعل هذا الأمر " (٢صم ١١ : ١١) ٠

قديما لم يكن داود هكذا ٠ لقد تغيرت حياته ٠

كان مطاردا من شاول ، هاربا من برية إلى أخرى ٠ يسكن فى المغارات ، يحارب بنفسه ، ويبيت على الأرض ٠ ولم يخطئ وقتذاك ٠ أما الآن فإنه فى ترف ، يسكن القصور ، وله خدام وحشم وعبيد ٠ ويرسل الجيش ليحارب ، بينما هو فى بيته على سريره ، يقوم منه ليتمشى على السطوح ، وينظر الناس وليست له مشاعر المشاركة مع جيشه المحارب ٠٠

وقاده الترف إلى الشهوة ، ثم إلى الخطية ومحاولة تغطيتها ٠

وسقط فى خطايا كثيرة ، جعلته فيما بعد يبلل فراشه فى كل بدموعه (مز ٦) ٠ ولما أراد الله أن يعالجه من هذه الخطوة الأولى ، سمح أن يقوم ضده أبشالوم ويخرج داود من قصره حافيا ، (٢صم ١٥ : ٣) ، و يشتمه شمعى بن جيرا فى الطريق ، وبرده الرب إلى طقسه الأول ٠٠

فلنتأمل إذن كيف أمكن يبخر سليمان للأوثان ٠

سليمان احكم أهل الأرض فى جيله ، الذى ظهر له الله مرتين وكلمه (١مل ١١ : ٩) ٠ ومنحه الحكمة و الجلالة وسعة الصدر ، وكيف امكن أن يسقط فى هذه الجهالة العجيبة ؟ إنها لالم تأت فجأة ولا شك ، إنما سلكت فى تطورات ٠

وكانت الخطوة الأولى أن تزوج نساء غريبات (١مل ٩ : ١٦ ، ٢٤)

وتطور المر إلى ان قال الكتاب " وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات و حيثيات " (١مل ١١ : ١) ٠ وكان هذا ضد وصية الله التى تمنع الزواج بالأجنبيات ٠٠

وتطور الأمر إلى انه بنى مرتفعات على الجبال لآلهة هؤلاء النسوة الغريبات ،

كى يوقدون ويذبحن لآلهتهن " (١مل ١١ : ٧ ، ٨) ٠ وانتهى أمر سليمان فى تطور الخطية معه بمأساة ، إذ يقول الكتاب " وكان فى زمان شيخوخته أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة اخرى ٠٠٠ فذهب وراء عشتاروت إلهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين ٠ وعمل سليمان الشر فى عينى الرب " (١مل ١١ : ٤ – ٧) كل ذلك تطور من الخطوة الأولى ، الزواج بأجنبيات ٠

يعوزنى الوقت إن تحدثت عن تطور الخطية قادتهم إلى خطوات أبشع٠ ولكنى أقول :

لست أقوى من الأنبياء و الحكماء والجبابرة الذين سقطوا٠ فاحترس من الخطوة الأولى للخطية ٠

واهرب لحياتك ٠

إنك لست أقوى من آدم الذى كان فى الفردوس فى حالة فائقة للطبيعة ، ولا أقوى من داود الذى حل عليه روح الرب و كان مسيحا للرب ، ولا أقوى من شمشون نذير الرب الذى كان روح الرب يحركه ، ولا أقوى من سليمان الذى كلمه الرب مرتين و كان احكم أهل جيله ، ولا أقوى من ابراهيم أب الآباء و خليل الله ، الذى لكى ينقذ نفسه كذب وقال إن سارة أخته و عرضها للضياع (تك ٢٠ : ١١ ، ١٣) ٠

وصدق الكتاب حينما قال الخطية إنها :

" طرحت كثيرين جرحى ٠ وكل قتلاها أقوياء " (أم ٧ : ٢٦) ٠

إذن فلنحترس من الخطية بكل قوتها ٠ ليس فقط حينما تشتد علينا ، وتهجم مثل أسد يزأر ملتمسا من يبتلعه (١بط ٥ : ٨) ٠ وكلا ، وإنما من أول خطوة ، نمسك أطفالها ، و ندفنهم عند الصخرة ٠٠ ليس فقط الخطايا الواضحة البشعة ، وإنما كل الخطية مهما بدت بسيطة أو صغيرة أو تافهة ، نعمل بقول الوحى فى سفر النشيد :

خذوا لنا الثعالب ،الثعالب الصغار ، المفسدة للكروم " (نش ٢ : ١٥)

الكرم بصفة عامة هو الكنيسة ، وبصفة خاصة : قلب كل مؤمن ٠ و الثعالب هى الخطايا الماكره التى تبدو صغيرة ، وليست مثل الوحوش الكاسرة التى يستعد الجميع لها ٠

خطورتها ، أنها لصغرها ، ربما لا يهتم أحد بها ٠٠

فيتركونها تنمو وتكبر ، حتى تتطور إلى وضع مخرب يصعب مقاومته ٠ وهذه الوصية تدعونا إلى التدقيق والإهتمام ، وأن نبحث فى حياتنا ما هى هذه الثعالب الصغار لكى نقاومها ٠ كما أننا نتعلم درسا هاما وهو لا يجوز إهمال أية خطية ، مهما بدت صغيرة ٠

فغن أى ثقب بسيط فى مركب ، قد يتسع إذا ما أهمل ، حتى يتحول إلى كارثة غرق ٠ ونهر النيل بمجراه العظيم بدأ بقطرات أمطار سقطت على الجبال الحبشة و سارت حتى وصلت إلينا نهـرا ٠ وتـل القمامـة الضخم الذى ألقوه على الصليب ، بدأ بمقطف واحد من القمامة ٠ وأطول مشوار فى الخطية ، بدأ بخطوة واحدة ٠

فلنحترس مدققين من كل خطوة للخطية ٠ و نطرد الثعالب الصغار ٠

التى ربما تكون أحيانا قليلا من الكسل أو التهاون و التراخى ، أو قليلا من التبسط فى الكلام أو التصرف ٠ عارفين أن الذى يهتم بالنسبة إلى القليل ، سيهتم ولا شك بالكثير أيضاً ٠ وكما يقول المثل الإنجليـزى ٠ إهتم بالبنس ، وستجد أن الجنية يهتم بنفسه ٠ إذن لا تغفل الأشياء الصغير ، بل اهتم بمقاومتها ٠

هناك ثعالب صغيرة دخلت دخلت حياة القديسين ٠ ولنأخذ ابراهيم مثلا ٠

فى مرتين ، ضحى أبونا ابراهيم بزوجته سارة ، قال إنها أخته ، فأخذوها إلى ملك البلاد ، إذ حسنت فـى عينيه ، لأنها كانت جميلة جدا ٠ مرة فى مصر (تك ١٢ : ١٠ – ٢٠) ٠ والأخرى فى أرض جرار (تك ٢٠ : ١ – ١٤) ٠ ولولا تدخل الرب نفسه ، لضاعت سارة ، وصارت زوجة لغير ابراهيم فى حياتـه ٠ فكيف وقع أبونا إبراهيم فى هذا الأمر ؟

لعل الخطوة الأولى هى الخوف على حياته ٠

خاف وقال لسارة " إذا رآك المصريون ، يقولون هذه إمرأته ، فيقتلوننى ويستبقونك " (تـك ٢ : ٢) ٠ وهل من أجل خوفك ، تضحى بامرأتك ؟ هذا كثير ٠

على أن خوف ابرآم من الموت ، سبقه خوف آخر من المجاعة ٠ يقول الكتاب " حدث جوع فـى الأرض ، فانحدر ابرآم إلى مصر ، ليتغرب هناك " (تك ٢ : ٠ ٠ وكانت مصر لغناها ترمز إلى الإعتماد على الذراع البشرى ٠

ولكن ثعلبا صغيراً كان قد دخل إلى ابرآم ٠ فما هو ؟

هذا الثعلب الصغير غير المرئى ، كان ضعف إيمان فى قلب ابرآم ، من جهة إعالة الله له فى وقت المجاعة ٠ ضعف الإيمان هذا ، قاده إلى الإعتماد على الذراع البشرى فنزل إلى مصر ٠ وعـرف الشـيطان نقـط الضعف هذه ، فقاده إلى الخوف على حياته من الموت ، كما خاف على حياته من الجوع ٠ والخوف قاده إلى التضحية بامرأته ، وقاده هذا إلى الكذب والإدعاء بانها أخته ٠٠ واستطاع الثعلب الصغير الذى دخـل إليه أن يفسد الكرم من كل من كل هذه النواحى ٠٠

ثعلب صغير آخر دخل إلى أيوب ، هو البر الذاتى ٠

كانت مشكلة أيوب أنه رجل كامل ومستقيم ، ويعرف عن نفسه انه كامل ومستقيم ٠ ومن اجل هذا ، وقع فى البر الذاتى ٠ وكان كما قال الكتاب " باراً فى عينى نفسه " (أى ٣٢ :) ٠ وظل الله ينقيه بالتجربة ، حتى قال " نطقت بما لم أفهم ، بعجائب فوقى لم أعرفها " (أى ٤٢ : ٣) ٠

ما أسهل أن نقطة صغيرة تجر إلى مشاكل عديدة جدا ٠

ثعلب صغير حارب يوسف الصديق ، هو الحديث عن النفس ٠

فتحدث امام أخوته عن أحلامه ، وعن الذين يسجدون له فى الحلم ، فأثار ذلك حسدهم ، وتحول الحسد إلى بغضة " وازدادوا أيضاً بعضا له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه " (تك ٣٧ : ٨) ٠ وتطور الأمر حتـى

باعوه أخيرا كعبد .. لذلك حسنا أن السيدة العذراء لم تكن تتحدث عن كل العجائب التى تحدث معها ، إنما تحتفظ بذلك فى قلبها (لو ٢ : ٥١) .

وكان القميص الملون ثعلبا صغيرا آخر سبب مشاكل .

القميص الملون الذى صنعه يعقوب لابن شيخوخته ، يوسف . فأثار حسد أخوته " فلما راى أخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع أخوته ، أبغضوه ، ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام " (تك ٣٧ : ٤) .. أتراك أنت أيضاً تفعل هذا ، حينما تغرق فى معاملاتك للناس ، وتظهر حبا لشخص منهم أكثر من غيره ؟!

حقا ، من كان يظن .. ؟!

من كان يظن أن الخطوة الأولى فى خطايا عديدة ، تصل إلى بيع الأخ ، وخديعة الأبناء لأبيهم و الوصول إلى عبودية فرعون ، كل هذه تكون بسبب قميص ملون أو رواية صبى صغير لأحلامه ؟ ولكنها الثعالب الصغار المفسدة للكروم

لذلك يقول الكتاب : " أسلكوا بتدقيق ، لا كجهلاء ، بل كحكماء " (أف ٥ : ١٥) . كن دقيقا جداً إذن ، فربما خطأ تظنه بسيطا يجر إلى مشاكل كثيرة . بينما التدقيق لابد ينفعك ، ويعلمك الحرص . ونضرب لذلك مثلا :

الذى يهتم بالحشمة داخل غرفته ، لابد سيحتشم فى الخارج .

الذى فى حجرته الخاصة المغلقة عليه ، يستحى من أرواح الملائكة و القديسين ، هذات لابد أن يسلك باحتشام فى الخارج أمام الناس . و تصير الحشمة من طباعه ومن ناحية أخري ، من لا يبالى بأن يجلس في وضع غير لائق ، في حجرته الخاصة ، قد يتعود ذلك ، ويجلس أحياناً بنفس الطريقة أمام الناس!

الشيطان ذكي . لا يهاجمك بخطية بشعة دفعة واحدة .

لا يطلب منك باباً واسعاً يدخل منه إلى حياتك . وكل ما في الأمر أنه يستأذنك في ثقب إبرة . وقد لا تبالي ، فتسمح له . وهذا يكفيه . يظل يوسعه حتى يتلف حياتك كلها . ولذلك فالتدقيق أفضل .

ما أكثر الخطايا التى تدخل من ثقب إبرة .

الشيطان مثلاً لا يدعوك إلى عدم الصلاة ، إنما إلى تأجلها .. إن رآك متعوداً الصلاة حالماً تستيقظ ، يقول لك : أنتظر حتي تغسل وجهك وتفيق ثم تصلي . وقب أن تفيق يكون قد ألقي في ذهنك أفكاراً عديدة تشغلك وتنسيك ، وأشياء أخري تعطلك .. أما أنت فلا تعطيه ، بل استمر في صلاتك ، حتى وأنت ذاهب لتغسل وجهك .. كن محترساً إذن . وابعد عن الخطوة الأولي التي تقودك إلى الإهمال والفتور ، أو التى تقودك إلى الخطية .

والخطوة الأولى للخطية ، قد لا تكون خطية في ذاتها .

فربما علاقة خاطئة ، تكون بدايتها صداقة برئية لا خطأ فيها . وربما يكون ضياع وقت البيت كله ، حول التلفزيون والأفلام ، بدأ بفرجة بريئة على فيلم علمي أو مبارة للكرة ، ثم تطور الوقت ، حتى ضيع مذاكرة التلاميذ وحضور اجتماعات الكنيسة . فعلي الإنسان إذن أن يكون مدققاً ومحترساً ..والخطوة الأولي إلى الخطية ، تختلف من شخص لآخر .

الترف كان الخطوة الأولي لخطية داود ، والحسد كان الخطوة الأولي لخطية قايين واخوة يوسف . والتزوج بالأجنبيات الأولي في خطية آدم وحواء وخطايا عصر القضاة (قض٣: ٥ ، ٦) . ومحبة النساء كانت الخطوة الأولي في سقطة شمشون . والخوف كان الخطوة الأولي لخطية بطرس وخطية إبراهيم ..

فإبحث أنت ما هي الخطوة الأولي في خطاياك ؟

واحترس منها جداً . وإن وقعت في الخطوة الأولي ، لا تكمل الثانية .

ربما تكون خطوتك الأولي أنك ذهبت إلى غزة ، أو إلى سدوم ، أو إلى جرار ، ربما ضعف في شخصيتك يجعلك تستسلم لمشورة الأشرار . ربما لا تكون محبة الله في قلبك . ربما خطوتك الأولي هي الغرور أو الثقة الزائدة بالنفس التى لا تقودك إلى الإحتراس . وربما تكون الخطوة الأولي لسقوطك هي العثرات..

أياً كانت فسنحاول أن نبحثها معاً ، لكي نخلص منها ..

واستفد من دراسة الخطوة الأولي التى أسقطت غيرك .

وبخاصة أولئك الذين كانوا جبابرة في حياة الروح . أنظر إذن " كيف سقط الجبابرة ، وبادت آلات الحرب " (٢صم١ : ٢٧) .

وبالإحتراس من الخطوة الأولي ، تعلم حياة التدقيق .

واحرص أن تتخلص من الثعالب الصغار المفسدة للكروم . وكما قالت القديسة سارة : " إن فماً تمنع عنه الماء ، لا يطلب خمراً . وبطناً تمنع عنها الخبز ، لن تطلب لحماً " ..

(٦)

ابعد عن العثرات

واهرب من مصادر الخطية

إبعد عن العثرات بنوعيها :
سواء الواردة إليك من آخرين أو التى أنت تعثر بها غيرك

أبعد لخطورة العثرة :

العثرة في اللغة هي السقطة .

والذي يعثر غيره ، هو الذي يتسبب في إسقاط غيره .

وبهذا يحمل ذنب ذلك الساقط ، أو يشترك في ذنبه . وفي ذلك قال السيد المسيح له المجد " ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة " (متى١٨ : ٧) ، " خير له أن يعلق في عنقه حجر الرحي ، ويغرق في لجة البحر " (متى١٨ : ٦ ، لو١٧ : ٢) .

عبارة " ويل لذلك الإنسان " تدل على خطورة خطيته .

ولشعور القديس بولس الرسول بخطورة إثار الآخرين ، ولحرصه ألا يهلك أحد بسببه ، قال عبارته المشهورة " إن كان طعام [أكل اللحم] يعثر أيضاً ، نرى أن السيد المسيح :

وضع الذين يعثرون قبل الخطاة في استحقاق الدينونة .

فقال " هكذا يكون في انقضاء العالم : يرسل إبن الإنسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم ، ويطرحونهم في أتون النار " (متى١٣ : ٤ – ٤٢) . جاعلاً المعاثر قبل فاعلي الإثم ، لأنهم السبب ... وإن كان إعثار الآخرين أمراً خطيراً ، فإن إعثار الصغار والبسطاء أمراً أخطر .
وهكذا قال الرب في الويل الذي صبه على الذين تأتي منهم العثرات " من أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي .. " (متى١٨ : ٦) " خير له لو طوق عنقه بحجر رحى ، وطرح في البحر من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار " (لو١٧ : ٢) .

ذلك لأن الصغار والبسطاء ، يقبلون العثرة بسهولة .

إنهم يصدقون كل شئ ، بسرعة وبلا نقاش ، ولا يشكون فيمن يكلمهم ، وليست لديهم القوة على فحص الأمور ، و التمييز العميق بين ما هو حق وما هو باطل في كثير من الأمور ... وهكذا لا يوجد تكافؤ في كفتي الميزان ، بين من تصدر منه العثرة ومن يتقبلها ..

وعدم التكافؤ هذا ، وجد في عثرة حواء من الخطية .

حواء كانت بسيطة جداً ، نقية للغاية ، لا تعرف ما هى الخطية من قبل ، لا تعرف الشر ، لا تشك في كلام غيرها إذ لا تعرف أن هناك كائنات تكذب . لم تختبر الكذب ولا الحيلة من قبل ولم تعرفهما . والحية كانت " أحيل حيوانات البرية " تعرف كيف تكذب ، وكيف تسبك العثرة في مكر . وهكذا لعدم تكافؤ الكفتين أمكنها أن تعثر حواء .. وكانت حواء بالنسبة إلى الحية ، هي " أحد هؤلاء الصغار " .

هكذا إعثار الأطفال أيضاً ...

إنهم في سن يصدقون فيه كل شئ ، ويقلدون كل شئ ، حتى الحركات والملامح ، ويرددون الألفاظ التى يسمعونها ، بلا فهمو . هم عجينة سهلة ، يمكن تشكيلها بسهولة . لذلك حرام جداً أن يفسدهم أحد . ما أخطر العثرة التى يتقلونها من آبائهم ، ومن إخوتهم ، ومن الجيران والمدرسين والأهل ، ومن وسائل الإعلام المتنوعة .. إن العتامل معهم ينبغي أن يكون بحرص شديد ، كأجهزة حساسة ...

لذلك إبعد عن كل عثرة ، وبخاصة للبسطاء وللصغار ٠

إحذر كل حذر أن تتعب أفكار البسطاء ٠ تصور إنسانا بساطة الأطفال ، لم يتفتح قلبه للشر ٠ يأتى إنسان أكبر منه عقلا وأكثر منه خبرة ، فيفتح عينيه على عثرات ، ويدخل فى ذهنه أفكاراً من الصعب خروجها منه ٠ فيلوث فكره ، ويفقده بساطته ، و يشككه ، ويعثره ويسقطه ٠٠ ألا يحمل دينونته ؟

الذى يعثر صغيرا ، يكون كالذى يحارب من لا سلاح له ٠ وقد تؤخذ كلمة (صغار) النسبى وليس المطلق

أى من هو أصغر منك فى المعرفة وفى الإرادة وفى المركز ويمكنك إسقاطه ٠ حقا ما أخطر هذا الأمر ، فما هى خطورته إذن ؟ إننا نوضحها فى سببين :

١-شعور الإنسان بأن هذا الشخص كان بريئا ٠ ولولا الذى أسقطه ، وافسد فكره وشعوره ، ما كان قد سقط ٠٠

٢-ماذا يحدث لو أن هذا أسقط غيره قد تاب ــ بينما الذى سقط بسببه لم يتب ؟ لم يتب ؟ هل يستريح ضميره فى توبته ؟ وهو يرى من قد هلك بسببه ؟

لذلك إحترس جدا من أن تعثر غيرك ٠٠

إن توبتك فى يديك ، تستطيع أن تتوب إن رجع قلبك إلى الله ٠ ولكن توبة هذا الذى أعثرته ، ليست فى يديك ٠ فإن استمر فى خطيئته التى سقط فيها بسببك ، وهلكت نفسه ٠٠ هل تؤخذ نفسك عوضا عن نفسه وحتى عن غفر الله لك بالتوبة ، ألا يبقى فى قلبك ألم مرير ، وأنت ترى من قد هلك بواسطتك ، مهما خلصت انت ؟!

هذا إذا كنت خلصت أنت ؟!

هذا إذا كنت أنت سبب العثرة ، أما إن كانت العثرات تأتيك من آخرين ، فنصيحتى لك :

إبعد عن العثرات ٠ واهرب من كل أسباب الخطية ٠

تذكر قول الملاك للوط " إهرب لحياتك ٠٠ ولا تقف فى كل الدائرة ٠٠ لئلا تهلك " (تك ١٩ : ١٧) ٠ واذكر أيضاً أن هروب يوسف الصديق من العثرة التى ألحت عليه ، كان هو السبب فى عدم سقوطه فى الخطية ٠ كذلك الرب لما اختار أبانا ابرآم ، وأراد أن يكون به شعبا مقدساً ، أبعده عن العثرات ، بأن أخرجه من أرضه وعشيرته (تك ١٢ : ١) ٠

يهربك من الخطية وعثراتها ، تدل على رفضك لها ٠

فالهروب من العثرات فضيلة ، لأنه يدل على أن القلب من الداخل لا يريد الخطية ٠ لذلك إحترس من أن تظن الهروب ضعفا ٠ فليس من الحكمة أن يفتر الإنسان بقوته ، ويعرض نفسه للتجارب ، ويدخل نفسه فى حروب ربما تتعبه ٠ إذن لا تصف الإبتعاد عن العثرات بأنه ضعف ن بل قل إنه صيانة ٠ وقد نصح الآباء بالبعد عن " مادة الخطية " ٠ وقالوا فى ذلك

إن القريب من مادة الخطية ، تصادفه حربان ، من الداخل ومن الخارج ٠ اما المبتعد عنها فله حرب واحدة٠

وليس الآباء فقط هم الذين ينصحون بالهروب من العثرات ، بل الكتاب المقدس نفسه يقول " وأما الشهوات الشبابية فاهرب منها " (٢تى ٢ : ٢٢) ٠ ويعلل ذلك بأن " المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة " (١كو ١٥ :) ٠

و المزمور الأول واضح فى قوله " طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشهورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف ، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس " (مز ١ : ١) ٠ لأن صحبتهم كلها عثرات ٠٠

بل حتى السيد المسيح نفسه يقول : **إن كانت عينك اليمنى تعثرك ، فاقلعها والقها عنك ٠**

وإن كانت يدك اليمنى تعثرك ، فاقطعها والقها عنك (متى ٥ : ٢٩ ، ٣٠) قال ذلك فى العظة على الجبل وكرر نفس الكلام مناسبة أخرى (متى ١٨ : ٨ ، ٩) ٠

وهذا التكرار يدل على اهتمام الرب بهذه النقطة بالذات ، أى البعد عن العثرات ٠ وليس شرطا ان يؤخذ كلام الرب هذا بطريقة حرفية ، إنما يمكن :

تفسير هذه الآيات بمعنى روحى ، غير حرفى ٠

أى أنه : إن أتتك العثرة من أعز إنسان لديك ، الذى هو كعينك ٠ أو إن أتت العثرة من أكثر إنسان يساعدك ، كيدك اليمنى ، فابتعد عنه ٠٠ أو يمكن تفسير الاية بمعنى أنه إن أتتك العثرة من داخل نفسك وليس من الخارج ، فابعد عنها بكل حزم ، حسب وصية المسيح ، ولو أدى الأمر إلى استشهادك ٠٠

*من أين تأتى العثرة :

قد تكون العثرة داخلية ، من داخل الإنسان ٠

" من كنز قلبه الشرير تخرج الشرور " (لو ١٦ : ٤٥) فمنه تصعد شهوات وأفكار تزعجه ٠ قد تكون العثرة من حواسه التى تجمع له مناظر وأحاديث تتعبه ٠ قد تكون من رغباته ومسلياته وهواياته ، ومن أفكاره وأحاسيسة ، ومما خزنه لنفسه فى عقله الباطن من صور واخبار و أفكار ٠٠ لذلك فهو يبعثر نفسه ٠ وإن لم تأته شهوة من الخارج ، يجلبها لنفسه من الداخل ، بتصرفه الخاص ٠ حقا " إن أعداء الإنسان أهل بيته " (متى ١٠ : ٦) ٠ وبيته هو قلبه وفكره ٠٠

إن كنت هكذا ، فحاول أن تضبط نفسك ، كما قال الرسول " مستأسرين كل فكر لطاعة المسيح " (٢كو ١٠ : ٥)

هناك عثرات من الخارج : من البشر ومن الشياطين :

وفى الخطية الأولى للبشرية ، يوجد النوعان معا : وهما عثرة الشيطان لحواء ، وعثرة حواء لآدم ٠ والشيطان قد يعثر الناس بطريقة مباشرة ، وقد يعثرهم عن طريق البشر ، عو طريق خدامه الذين " يغيرون شكلهم كخدام للبر " (٢كو ١١ : ١٥)

وهناك عثرات من الشياطين ، كالرؤى والأحلام الكاذبة :

فالشيطان كما يقول الكتاب قد " يغير شكله إلى شبه ملاك نور " (٢كو ١١ : ١٤) ٠ ومعروفة القصة التى وردت فى البستان ، التى ظهر فيها الشيطان بهيئة ملاك لراهب قديس ، وقال له " أنا جبرائيل الملاك أرسلنى الله إليك " ٠ فأجابه الراهب فى اتضاع " لعلك أرسلت إلى غيرى واخطأت الطريق ٠ أما أنا فإنسان خاطئ لا استحق أن يظهر لى ملاك " ٠ فتركه الشيطان ومضى ٠٠

وقد يظهر شيطان كروح من أرواح البشر المنتقلين :

يقول انا روح فلان (أحد أقربائك أو معاوفك) ، ويخبر بأشياء تتعلق بهذا الإنسان أو بيته أو أهله ، حتى يصدقه من رأوه ٠ وقد يظهر فى صورة أحد القديسين أو السواح ، حتى يخدع الناس ٠

وقد يظهر الشيطان فى حلم ٠

وهناك احلام كثيرة من الشيطان ، كما قال القديس الأنبا انطونيوس عن خبر معين " جاء الشياطين فى حلم وأخبرونى " ٠ لذلك نصيحتى لك : لا تصدق الأحلام ، ولا تجعلها تقودك فى حياتك ٠ فليست كل الأحلام من الله ، كأحلام دانيال ويوسف الصديق ويوسف النجار ، إنما هناك أحلام من الشيطان ليعثر بها الناس ، وهناك رؤى من الشيطان ٠

وأيضاً لا تتبع الأرواح ، فقد أضلت كثيرين ٠٠

والكتاب يقول " لا تصدقوا كل روح بل إمتحنوا الأرواح هل هى من الله ، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا على العالم " (١يو ٤ : ١) ٠ وهؤلاء مرسلون من الشيطان ، وكذلك المسحاء الكذبة ، والمسيح الدجال فى آخر الزمان ، ضد المسيح الذى قال عنه الرسول " ٠٠ مجيئه بعمل الشيطان ، بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة ، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين " (٢تس ٢ : ٩) ٠

كذلك ميز أفكار الشيطان وحيله ٠٠

فقد يحارب بالفكر ، وليس فقط بالرؤى والأحلام والأرواح ٠ أما أنت فلا تصدقه ، كما يقول الرسول " لئلا يطمع فينا الشيطان ،لأننا لا نجهل أفكاره " (٢كو٢ : ١١) ٠ لذلك لا تتبع كل فكر يأتى إليك ، ظانا أنه من روح الله ! ولا تقل فى جرأة " الروح قال لى " ٠ وأصبر على الأفكار ، لتعرف هل هى من الله أم لا ٠ واستشر ٠

إن القديس مقاريوس الكبير جاءه فكر أن يزور الآباء السواح فى البرية الجوانية ، وهو فكر مقدس كما يبدو ٠ ولكن القديس مقاريوس قال فى ذلك " فبقيت مقاتلا هذا الفكر من الله أم لا " ٠٠ إذن لا تسرع وراء الفكار لتنفذها ٠٠

إن الشيطان قدم للمسيح ثلاثة أفكار ٠٠

ولكنه رفضها جميعا ، ولم يقبل شيئا منها ، ورد عليها ٠ فارفض أنت أيضاً كل فكر يأتيك من الشيطان ٠ وتذكر ما قيل على لسانك فى المعمودية " أجحدك أيها الشيطان ، وكل أفكارك الردية ٠٠ و كل جنودك ٠٠ وكل بقية نفاقك " ٠

أرفض كل فكر لا ينميك روحيا و لا يبنيك ، سواء جاءك من الشيطان أو من الناس ٠

وكما تهرب من عثرات الشيطان ، أهرب من عثرات الناس ٠

وعثرات الناس منها نوع عام قد يشمل المجتمع كله ٠ ومنها نوع خاص بك أنت بالذات من جهة الأشخاص الذين تختلط بهم ، سواء كانت عثرتهم لك ولغيرك ، أو لك وحدك ٠ سواء كانوا اعداء أو أصدقاء ٠

فالعثرة قد تأتى من أعز الأقرباء والأحباء ٠

وغالبية الشبان الذين يفسدون ، إنما يأتيهم الفساد من أصدقائهم الأعزاء جدا الذين لهم تأثير عليهم ٠ وشمشون أتته العثرة من دليلة ، وكانت أحب إنسان إلى قلبه ٠ كما أن آخاب الملك أتته العثرة من زوجته إيزابل ٠ ولا ننسى أن أبانا آدم اتته العثرة من حواء ٠ وما أكثر الأطفال فى البيوت الذين تأتيهم من والديهم عن كان البيت غير متدين – فيسمعون فى البيت الشتائم و كلام الشجار ٠ ويأخذون عن الوالدين كل الطبائع و العادات الخاطئة ٠

ويعقوب أبو الاباء أتته العثرة من أمه رفقة

هى التى اوعزت إليه أن يتنكر فى زى أخيه عيسو ، ويخدع أباه إسحق ، ويأخذ البركة منه ٠ وهى التى وضعت الخطة كلها ودبرت كل شئ ٠ ولما خاف يعقوب من هذه الخديعة وإمكانية إنكشافها قائلا " فأجلب على نفسى لعنة لا بركة " قالت له أمه " لعنتك على يا إبنى ٠ إسمع لقولى فقط ٠٠ " (تك ٢٧ : ٨ – ١٣) وما أسهل ان تأتى العثرة لأبنة من أمها ٠ الأم التى تتلف حياة إبنتها بعد زواجها ، و تعمل على خراب بيتها ، بالتدخل وفرض رأيها عليها و على زوجها ٠

السيد المسيح جاءته عثرة من تلميذه بطرس ، فوبخه ٠

و المقصود بهذه العثرة نصيحة خاطئة ٠ إذ فيما كان السيد يشرح لتلاميذه إنه ينبغى له أن يذهب إلى أورشليم " ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة و الكتبة ، ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم " ٠٠ لم يعجبه بطرس أن معلمه العظيم يسلم نفسه ٠٠ " فأخذ بطرس إليه ٠٠ وقال له يعجبه بطرس أن معلمه العظيم يسلم نفسه ٠٠ " فاخذه بطرس إليه ٠٠ وقال له فى محبة خاطئة " حاشاك يا رب ٠ لا يكون لك هذا " ٠ فالتفت الرب غليه وقال " إذهب عنى يا شيطان ٠ انت معثرة لى ٠٠ " (متى ١٦ : ٢١ – ٢٣) وهكذا رفض المسيح هذه العثرة من تلميذه وصديقه ٠٠

ينبغى أن ترفض العثرات التى تأتيك من أحبائك ٠

حتى لو كانت تلك العثرة من أقرب اقربائك ٠ فقد قال السيد المسيح " ٠٠ اعداء الإنسان أهل بيته ٠ من أحب أبا أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى ٠ ومن احب إبنا أو إبنة اكثر منى ، فلا يستحقنى " (متى ١٠ : ٣٦ ، ٣٧) ٠ وإن الحب هو أولا لله ، ومن محبته تنبع كل محبة ٠ و الطاعة هى اولا لله ، ومن طاعته تنبع كل طاعة ٠ حتى طاعة الآباء قال عنها الكتاب " أيها الأولاد أطيعوا و الديكم فى الرب فإن هذا حق " (أف ٦ : ١) ٠ هى إذن طاعة لازمة ، ولكن " فى الرب " ٠

ولذلك يوناثان لم يطع والده شاول فى اضطهاده لداود ٠

بل وبخه على ذلك بقوله " لماذا تخطئ إلى دم برئ بقتل داود بلا سبب " (١صم ١٩ : ٥) ٠ كان شاول الملك مع احترامه الشديد لوالدته بشبع ، لم يطعها فى وساطتها لأدونيا اخيه " (١مل ٢ : ١٩ – ٢٣)٠

ومن حدود الطاعة ، أنه لا تكون فيها عثرة ٠

من عشرتك مع الناس ، ومن خبراتك فى الحياة ، أصبحت تدرك تماما من أين تأتيك العثرة و بسبب من ، فاستفد من هذه الخبرة فى أن تحيط نفسك بجو نقى على قدر إمكانك ٠ والذين لا تستطيع أن تبعد عنهم جسديا ، إبعد عنهم من جهة الفكر ومنهج الحياة ٠ وكما قال الكتاب " لا تشتركوا فى اعمال الظلمة غير المثمرة ، بل بالحرى بكتوها " (أف ٥ ك ١١) ٠ فغن لم تستطع ان تبكتها ، فعلى الأقل لا تسر فى تيارها ، ولا تخضع للعثرة ٠

واحرص أنت نفسك ألا تكون عثرة لغيرك ٠

حتى لا تقع فى مسئولية أمام ضميرك وامام الله ، وربما أمام الناس ، إنك تسببت فى سقوطه أحد ٠٠

مسئولية العثرة :

شاب أعثر من فتاة ، ووقع فى الشهوة ٠ فما مسئوليتها ٠

الإجابة هى : إن كانت هذه الفتاة فى كامل أدبها ، وهى جميلة بطبيعتها ، و جمالها كان السبب فى عثرة هذا الشاب ، فلا لوم عليها إطلاقا ، ولا مسئولية عليها فى العثرة ٠

فهناك قديسات ، بسبب جمالهن ، أعثر البعض ٠

ولعله من ابرز الأمثلة على ذلك ، القديسة يوستينه التى كانت جميلة جدا ٠ وقد وقع إنسان فى محبتهـا ، ولم يستطع أن يستحوذ عليها ، فاستخدم السحر فى الوصول إلى ذلك ٠ وكان مجرد ذكر إسـمها يطـرد الشياطين المستخدمة فى السحر ، حتى آمن الساحر كبريانوس بسبب ذلك ، وصار من قديسى الكنيسة ٠٠ أنستطيع أن نقول إن القديسة يوستينة عليها مسئولية فى العثرة ؟! كلا بلا شك ، وإنما هنا :

المسئولية كاملة على من اشتهاها ٠ والعثرة بسبب شهوته ٠

وبنفس الوضع يمكننا أن نتكلم عن القديسة سارة زوجة أبينا إبراهيم ٠ كانت جميلة جداً ٠ وكان جمالهـا يجذب الملوك ، حتى أخذها فرعون إلى قصره مرة (تك ١٢: ١٤ ، ١٥) ٠ واخذها أبيمالك ملك جـرار مرة أخرى (تك ٢٠ : ٢) ٠ ولم يكن لها ذنب فى المرتين كلتيهما ٠ لا ذنب لها طبعا فى غنها جميلة ٠ إنما الذنب كله على من يشتهى ٠٠

إذن متى تكون المرأة مسئولة فى العثرة ؟

تكون كذلك إن قصدت أن تغرى الرجل و تجتذبه إليها بطريقة فيها لون من الإثارة ٠ أو إن سقط الرجـل بسبب سلوكها ، أو سبب حديثها أو بسبب إغرائها ٠

أو إن كانت فى زينتها أو فى ملابسها سبب عثرة فعلا بالنسبة إلى الإنسان العادى

وكذلك تكون الفتاة مسئولة إن عملت على إغراء الشاب ، إما بملء قلبه بشهوات تجعله يرتكـب الخطيـة بالحواس أو العمل ٠ أو أن تعثره بطريقة تشغل فكره فيهمل مسئولياته ويضيع روحياته ٠

أما إن كان كل السبب فى عثرة الفتاة هو جمالها الطبيعى ، فلا ذنب عليها ٠ نقول هذا حتـى لا تتشـكك بعض الفتيات الطاهرات ، ويقعن فى الوسوسة وفى عقدة الذنب بسبب جمالهن ٠ وما يقال على المراة فى ذلك ، يمكن أن يقال على الرجل ٠

وإلا فما ذنب كل هؤلاء ؟

ما ذنب يوسف الصديق فى أن إمرأة فوطيفار وقعت فى الشهوة بسببه ، لأنه كان جميلا ؟ هل نستطيع أن نقول إنه أعثرها ؟! أو أن ضميره يتعبه إذ وقعت فى الشهوة بسببه ؟ كلا ، بلا شك ٠

وبنفس المنطق ، ما ذنب الملاكين اللذين وقع أهل سدوم فى شهوة الجسد بسببهما ، وهما كملاكين ما كان لهما جسد ، بالإضافة إلى أن لهما طهر الملائكة ٠٠! إنما العثرة هنا ، فى القلب الفاسد الذى اشتهى ٠

ونفس الكلام يمكن أن يقال عن زكريا الراهب الشباب الصغير الذى حدثت عثرة بسبب جمـال صـورته ٠ وقد رويت قصته فى بستان الرهبان ٠ و اضطره أن ينزل إلى بحيرة الملح ويشوه جسمه وشكله ، ليبعـد العثرة التى تسببت من أخطاء غيره ٠٠

أما الذين يريدون أن يهربوا من مسئولية أخطائهم ٠

وذلك بأن يلصقوها ظلما بغيرهم ، قائلين إنه قد أعثرهم على الرغم من براءته ، فهؤلاء ينطبق عليهم قول الشاعر : نعيب زماننا و العيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

ما أجمل كلام السيد الرب عن العين البسيطة ٠٠

لقد قال " إن كانت عينك بسيطة ، فجسدك كله يكون نيرا ٠ وإن كانت عينك شريرة ، فجسدك كله يكـون مظلما " (متى ٥ : ٢٢ ، ٢٣) ٠ وكثيرون يعثرون ، لأن عيونهم ليست بسيطة ٠٠ عيونهم فيها الخطية ، لذلك كل شئ يمكن أن يثير الخطية فيهم ٠ فليت كل أحد يدرب نفسه على هذه العين البسيطة ٠

وكما تكلمنا عن مدى مسئولية الفتاة فى إعثار الشاب ، نقول :

هناك مسئولية أيضاً على الشاب فىإعثار الفتاة ٠

فقد يعثرها الشاب بكثرة المديح و الكلام المعسول ، وبالود الذى الذى يظهره لها فى تلطف زائد غير عادى أو يعثرها بكثرة إلحاحه عليها ، ومطارتها بشدة حتى تضعف و تحرج و تسـتجيب لـه ٠ كمـا يعثرهـا بالوعود التى يعطيها لها ، و التى يؤكدها مراراً فتصدقه ٠٠ وهكذا يعلقها ويتعبها ٠٠ ولكنها إن أعثـرت من مجرد شخصيته ، فلا ذنب له فى ذلك ٠

اما أنت فابعد عن المعثرات من كلا النوعين :

أ-إبعد عن العثرة المثيرة فعلا ، التى يوجد فيها نوع من الإغواء أو الإغراء ، و التى على صاحبها مسئولية فى إسقاط الآخرين ٠ وحاول على قدر إمكانك أن تكون عينك بسيطه ٠

ب-وابعد أيضاً حتى عن المجالات البريئة بطبيعتها ، ولكنها تسبب لك عثرة بسبب ضعفك أنت ٠ وقل لنفسك فى اتضاع : أنا لا أريد هنا أن أبحث عن المسئولية أين أضعها ، هل هى بسبب غيرى أم بسببى ٠٠ وإنما :

سأبعد حتى لا أسقط ، ولو بسبب ضعفى ٠٠

حتى لو كان غيرى بريئا تمام البراءة ، كبراءة الذئب من دم يعقوب ! أو كبراءةإبن يعقوب من خطية إرأة فوطيفار ٠٠

ونفس الكلام نقوله عن باقى أنواع العثرات ٠

ونقصد العثرات الأخرى ، خارج نطاق الأمور الجنسية ٠

كأن يفهمك إنسان بطريقة خاطئة ، بينما يكون كلامك واضحا جدا ، ولا يعنى إطلاقا ما قد فهمه ٠٠! أو أن يقول لك أحدهم " أنت تقصدنى بهذا الكلام " ، بينما تكون بريئا جدا ، ولا تقصده ، وإنما هو ظنونة وشكوكه وشعوره الداخلى بالخطأ ٠٠ ونقول إنه فى كل ذلك :

ليست العثرة من المتكلم ، إنما هى مسئولية الفهم الخاطئ ٠

ومع ذلك عليك من أجل المحبة ، أن توضح قصدك السليم ، وتشرح ما التبس على غيرك فهمه ٠ وأن تحترس فى كلامك حتى لا يفهم خطأ ٠ ومع ذلك إبعد عن العثرات ٠ وكنحريصا جدا فى الكلام وفى التصرف ، وخصوصا حيثما يوجد بعض الموسوسين الذين يفهمون الكلام بطريقتهم الخاصة ٠٠

هناك نوع من الناس ، يقول الواحد منهم بإستمرار :

انا تعقدت من تصرفات الناس ! أنا تعقدت من كلامهم !

ويقصد أنه قد أعثر منهم ومن كلامهم ٠٠ وسواء كان هذا الكلام صحيحا أو مبالغا فيه ٠ سواء كانت هناك عقد داخلية ، أو التعقيد فى تصرفات الناس ٠ فالسيد المسيح قد قال لنا " لابد أن تأتى العثرات " (متى ١٨ : ٧) ٠ ذلك لأننا لا نعيش فى عالم مثالى ، وإنما فى عالم مملوء بالعثرات ٠ فيه الحنطة ، وفيه أيضاً الزوان ٠ و سيبقى الزوان مع الحنطة إلى يوم الحصاد (متى ١٣ : ٣٠) ٠ فما هو موقفنا إذن ؟ الموقف السليم هو أن :

لا نبحث على من تقع مسئولية العثرة ، إنما نبحث عن الخلاص منها ٠

والخلاص منها ، هو فى الهروب من العثرات ، وليس فى فحص المسئولية فيها ٠ فى أسهل أن يوقعنا هذا الفحص فى أخطاء أخرى ولكن لا يجوز أن نقول إننا تعقدنا من عثرات الناس ٠

فلا يصح أن تفقدنا العثرات نقاوتنا الداخلية ٠

ولا يصح أن تفقدنا العثرات سلامنا القلبى ٠ نحن لسنا فى السماء ، ولكننا على الأرض ٠ والأرض لابد توجد فيها اخطاء ٠ والمهم هو أننا ننجو من هذه الأخطاء ٠ و ننجو منها بالتذمر والشكوى ٠ و لا ننجو منها إن كنا نتعقد منها ٠ إنما ننجو من العثرات ، بنقاوة القلب ، وبعدم الإستجابة لها ٠ وفى نفس الوقت لا نعثر احداً

وإن كنا أقوياء من الداخل ، لا تضرنا العثرات بشئ ٠

بل نكون كالبيت المبنى على الصخر ، الذى صادمته الأمطار و العواصف ، فلم تؤذه بشئ (متى ٧ : ٢٥) إن المسئولية ليست كاملة فى كل الحالات على الذى تاتى منه العثرة ٠

فهناك التجارب من الطرف الآخر ، ولولاه ما تمت السقطه ٠

قد يقول الكحول (السبرتو) إن عود الكبريت أعثرنى فاحترقت ٠ ولكنى اقول : لولا أن السبرتو مادة قابلة لفشتعال ، ما كان يعثره عود الكبريت ٠
هوذا عود الكبريت قائم كما هو ، وكوب الماء لا يعثر منه ، بل إنه إذا اقترب من كوب الماء ينطفئ ٠
و على كل ، سواء كنت ماءاً أو كحولا ، فالهروب بالنسبة إليك أضمن ٠ الهروب على الأقل فيه اتضاع يخلص كثيرين ٠ فقد أبصر القديس الأنبا الأنطونيوس فخاخ الشيطان منصوبة ، فصرخ " يا رب ، من يفلت منها ؟ " فأتاه الصوت " المتضعون يفلتون منها " ٠
العثرة الخطوة أولى ٠ إن وقعت فيها ، فلا تكمل باقى الخطوات ٠
ووجود العثرة ليس عذراً لك ، ولا تبريرا لأخطائك ٠
لأن الله وضع فيك روحه القدوس ، ومنحك قوة للمقاومة ٠ فإن استجبت للعثرة ، تكون قد خسرت هذه القوة الإلهية ولم تستخدمها ٠ إن الإنتصار ممكن امامك ٠ تذكر يوسف الصديق الذى كان أقوى من العثرة وانتصر ، على الرغم من شدة الحرب التى تعرض لها ٠

العثرة مجرد عرض ٠ فإن لم يصادف قبولا ، إنتهى أمره

أنواع العثرات :

يركز كثيرون الكلام فى العثرة على الأمور الجنسية ٠
وهى حقا هامة وخطيرة ، ولكنها ليست كل شئ ٠
و العثرات فى هذا المجال تأتى بطرق كثيرة من وسائل الإثارة الجنسية ، سواء عن طريق الإغراء الذى يقوم به الأفراد ، أو عن طريق وسائل اللهو المختلفة ووسائل الترفيه ، بالصور المعثرة ، والأغانى العابثة ، والفكاهات الجنسية ، أو عن طريق القصص البطالة التى تسمع وتقرأ ، وكذلك الروايات و الأفلام ٠ وقد تأتى العثرة عن طريق الخلطة ، والمعاشرات الردية ٠ وقد تأتى من داخل النفس ٠٠

أما أنت فابعد عن كل العثرات ، واضبط حواسك ٠
واعلم ان " الحواس هى أبواب للفكر " كما قال ماراسحق ٠ وما تراه وما تسمعه قد يجلب لك أفكاراً خاطئة ، ويكون معثرا لك ٠ والفكر قد يلد شهوة و الشهوة تقود إلى الخطية فعلية ٠
ولكن لعلك تسأل : ماذا أفعل ؟ هل أغمض عينى ، والعثرة فى كل مكان ؟! و لا بد أننى سأرى وسأسمع ٠٠ فأقول لك إنك لست مسئولا عن النظرة الأولى ، مادامت قد أتت عرضا ٠

ولكنك مسئول عن النظرة الثانية ودوافعها ٠
إن كان المنظر المعثر رأيته قد اثارك أو أعجبك ، فأعدت النظر إليه بإرادتك ، سواء فى صورة حية ، أو صورة مطبوعه ، فأنت هنا تكون قد أخطأت لأنك بإرادتك الحرة قد نظرت ٠ فإن كانت النظرة الأولى كذلك ، برغبتك وإرادتك ، فأنت مسئول عنها أيضاً ٠٠
ونفس الوضع نقوله عن السماعات الخاطئة ٠ إهرب منها ٠ فماذا عن لم تستطع ؟

إن اضطررت لسماعها ، فلا تعطها عمقك ، ولا فكرك ٠
ليكن سماعا عابرا ، لا تدخله إلى أعماقك ، ولا تفكر فيه ، ولا تعيده إلى ذهنك ، ولا تعلق عليه ٠ وكما قال الشاعر: إذ بليت بشخص لا خلاق له فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

وبقدر إمكانك إهرب من اللقاءات المعثرة ٠
فإن اضطررت إلى هذا ، إجعلها قصيرة المدى على قدر استطاعتك ٠ كذلك لا تنفرد مع شخص يقاتلك به العدو ، وتضعف من الداخل فى وجودك معه ٠ وحاول فى أمثال هذه اللقاءات ، أن ترفع قلبك إلى الله وتصلى ٠ ولا تكن فى اللقاء بكلف قلبك وعواطفك ٠٠
هذه كلمة مختصرة عن العثرات الجنسية ، وهى موضوع طويل وضعت فيه كتب ، وليس الآن مجاله ٠ غنما نحب أن نقول هنا ن إن العثرات ليست جميعها جنسية

فهناك عثرات الفكر مثلا ، وهى على انواع :

منها الفلسفات الخاطئة التى قد تقرأها فتشوش أفكارك ، وقد تجلب لك شكوكوا ، إذا كنت تقرأ وأنت غير مستعد لها مسبقا بفكر أصيل سليم ٠ ويلزمك الحرص فيما تقرأ ٠

وتوجد الكتابات الإلحادية ، والتى تهاجم الدين ٠

والملحدون كثيرون ٠ وكل ما يكتبونه توجد ردود عليه ، ولكنهم يشكلون عثرة بالنسبة إلى غير الدارسين وغير العارفين ، وتسبب لهم شكوكا هى أخطر عليهم من خطايا الجسد التى يسهل التخلص منها ٠

والمضلون فى الفكر الدينى كثيرون و معثرون ٠

كان يربعام بن بناط لإسرائيل إذ جعله يخطئ ، وينحرف عن عبادة الله (١مل١٤ : ١٦) . وقد كان من مضللي الشعب قبيل مجئ المسيح : يهوذا الجليلي في أيام الإكتتاب الذي أزاغ وراءه جمعاً غفيراً ... وثوداس الذي التصق به حوالي أربعمائة (أع٥ : ٣٦ ، ٣٧) . كذلك في ايام المسيح كان الكتبة والفريسيون والصدوقيون وأمثالهم مضلين للشعب . وكانوا عثرة كبيرة . أمسكوا مفاتيح المعرفة ، فما دخلوا وما جعلوا الداخلين يدخلون . لقد أعثروا الشعب كله بتعاليمهم .

ومن العثرات الفكرية ، الأفكار العقيدية المنحرفة .

الأفكار التى تشمل بدعة أو هرطقة ، أو فكراً لاهوتياً غير المسلم لنا من الآباء القديسين ، ولا يتفق مع العقيدة السائدة في الكنيسة والتى يؤمن بها الكل . وهذا الفكر قد يعثر الناس ، ويثير فيهم شكوكاً . فلا تقبل هذه الأفكار كما قال الآباء الرسل (غل١ : ٧ ، ٨ ، ٣ يو١٠ ، ١١) .

إهرب من هذه العثرات الفكرية ، فأنت في زمان التوبة .

أنت إنسان تبحث عن خلاص نفسك . فما شأنك الأفكار التى تشوش على ذهنك ، وتدخلك في مجالات من الجدل وربما في خصومات ، لا تتفق مع سعيك إلى نقاوة القلب بالتوبة . أتركها إلى المتخصصين يردون عليها . واعكف أنت على الكتب الروحية التى كلما تقرأها ، تزداد محبتك لله ، وتشعر باقتراب قلبك إليه .. وكما تهرب من العثرات الفكرية العقيدية ، إهرب من كل عثرات فكرية أخري مثل :

عثرات الفكر التى تجعلك تعثر في الناس وتدينهم .

فهناك أشخاص إذا أتعبتهم أفكار الإدانة أو أخبار الإدانة ، يصبونها جميعها في آذان الآخرين ، ولا يبالون إن كانت تعثرهم هذه الأخبار أم لا ، ولا يبالون بما تدخله في قلوبهم من جهة الشك في الناس ، أو إدانتهم والإقلال من شأنهم ، أو عدم المحبة لهم .. أما أنت فاهرب من كل هذه ، وحاول أن تحتفظ بمحبتك للكل .. والذين يشوهون صور الناس في نظرك ، إبعد عنهم ، لتحفظ بنقاوة فكرك .

وهناك عثرات من الذين يحكون أسرارهم للناس .

هم لا يستطيعون أن يحفظوا سراً ، حتى أسرارهم الخاصة وخطاياهم يحكونها للناس . وقد يعثر السامع من سماع هذه الأسرار والأخبار . ويعثر من اسماء الناس الذين تتعلق بها تلك الحكايات ، وربما يقع في خطايا بسببها .. ومع أن الكنيسة حرصت أن تجعل الإعتراف سراً ، إلا أن الناس مازالوا يحكون لغيرهم .. وتكون حكاياتهم عثرة ..

ومن العثرات الفكرية أيضاً ، المشورات الخاطئة والمضرة .

وكمثال لذلك " مشورة أخيتوفل " . وكان أخيتوفل هو مشير داود ، تركه وانضم إلى فتنة أبشالوم ، ليقدم له كانت عثرة لأبشالوم ، وتشجيعاً له في الثورة على أبية داود .. ولكن الرب سمع لصلاة داود وأبطل مشورة أخيتوفل ..

ومن أمثال مشورة أخيتوفل المعثرة مشورة بلعام لبالاق (عدد٢٢) . وقد أطلق عليها الكتاب إيم " ضلالة بلعام " (يه١١) . وقال عنه شفر الرؤيا أنه " كان يعلم بالاق أن يلقي معثرة أمام بني إسرائيل أن يأكلوا ما ذبح للأصنام ويزنوا " (رؤ٢ : ١٤) . وذلك لكي يحل عليهم غضب الله ، فينتصر عليهم عدوه .. ولا شك أنها كانت مشورة معثرة وشريرة .

فتخير أنت مشيرك ، وابعد عن كل مشورة معثرة .

سواء صدرت ممن تستشيرهم ، أو ممن يتطوعون لنصحك في حياتك . وقد يقدمون لك نصائح لا ترضي الله . وربما تأخذ صورة الإشفاق عليك ، بينما لا يكون إشفاقهم روحياً ...

ومن العثرات التى يتعرض لها البعض ، القدوات السيئة .

فلا تجعل هذا المر يعثرك ، مهما كان الشخص الذي أعثرت بتصرفاته كبيراً ولا يغير هذا الأمر من مبادئك شيئاً ، ولا من حبك لله وكنيسته . وتذكر أنه قيل عن إيليا النبي العظيم " إيليا كان إنساناً تحت الآلام مثلنا " (يع٥ : ١٧) .

ولتكن قدوتك الثابتة في السيد المسيح وسير القديسين . أما أخطاء الناس مهما كبروا فلا تجعلها تعثرك . فالخير هو الخير مهما بعد البعض عنه .. والكتاب المقدس ذكر لنا خطايا النبياء ، لنعلم أن الإنسان هو الإنسان بضعفاته أياً كان مركزه .

أما العثرات الخاصة في حياتك ، فافحصها واعرف أسبابها وابعد عنها لأن التوبة لا تتفق والعثرات .

إبحث عن الأسباب التى تعثرك وتقودك إلى الخطية ، ما هي ؟ وهل هي قريبة منك ؟ وكيف تبعد عنها ؟ وهل هي داخل نفسك أم تأتيك من آخرين .

وابعد عن هذه العثرات على قدر إمكانك حتي لا تؤثر عليك . واهرب من الأصدقاء الذين يجربونك إلى أسفل ويفقدونك روحياتك . وردد ما نقوله باستمرار في الصلاة الربية " لا تدخلنا في تجربة ، لكن نجنا من الشرير " ...

(7)
لا تتساهل مع الخطية

كثيراً ما يسقط الإنسان في الخطية ، بسبب التساهل . فكيف ذلك ؟

المعروف أن الخطية تبدأ بحرب من الخارج ، وتريد أن تدخل وتسيطر .

وبالتساهل تتحول الحرب من الخارج إلى داخل القلب .

فكيف يحدث هذا التطور ؟ وما دور التساهل فيه ؟

تكون الخطية في الخارج : منظراً مثيراً ، أو صورة في كتاب ، أو كلمة يقولها شخص ما ، أو أي شئ يمكن اشتهاؤه أو اقتناؤه . ثم يتساهل الإنسان مع حواسه ، مع سمعه أو بصره ، فيأتيه الفكر ضعيفاً في البدء ، ويمكن طرده بسهولة . ولكن :

بالتساهل مع الفكر ، ينزل إلى القلب ، ويتحول إلى شعور ٠

فإن استيقظ الإنسان إلى نفسه ، يمكنه التخلص من هذا الشعور، موقنا تماما ًأن هذا الشعور الخاطئ يبعده عن محبة الله ن يقوده إلى خطية ٠ بل هذا الشعور الخاطئ هو خطية فى حد ذاته ، وعدم نقاوة فى الداخل ، وينجس القلب ٠

ولكن بالتساهل مع الشعور ، يتحول على إنفعال أو شهوة ٠

وهنا يكون الإنسان قد بدأ يخضع للفكر ، وبدأ يدخل فى صراع داخلى ، بين شهوته وضميره ٠ ومن طبيعة الشهوة إنها تريد أن تسيطر ٠ إن طردت بحزم ن أمكن التخلص منها ٠ ولكن بالتساهل تبدأ الشهوة

أن تنتشر ، أو يبدأ الإنفعال ان ينتشر ٠ حتى تشمل هذه الحرب الداخلية فكر الإنسان وقلبه حواسه ، وربما جسده أيضاً ٠

وبالتساهل مع الشهوة ، تحاول أن تعبر عن ذاتها عمليا ٠

اى تحاول أن تشبع ذاتها بطريقة عملية ٠ فإن تساهل فى ذلك ، يتم العمل ٠ وتصبح الخطية كاملة ٠ ثم لا تستريح الخطية بهذا ، إنما تريد أن تتكرر ٠ فإما أن يتوب الإنسان بعد سقطته ، وإما أن تتكرر خطيته ولكنه أحيانا :

يتساهل فى عمل الخطية ، فتتحول إلى عادة أو طبع ٠

وبهذا يخضع لسيطرتها ، ويصير عبدا لها ، يفعلها بغير إرادته أحيانا ، ولا يملك السيطرة على نفسه ٠٠ كمن يقع فى الغضب تلقائيا ، ويثور دون أن يتحكم فىنفسه ٠ وكمن يخطئ فى الكلام دون أن يتحكم فى نفسه ٠ وكمن يزنى ، أو يجمع المال ، أو يستهزى بغيره ٠٠ كل ذلك تلقائيا ، دون يراجع نفسه ، ويتحكم فيما تفعل ٠٠

اما الأبرار ، فهم فى منتهى الحزم ، لا يتساهلون مع أنفسهم ٠

لهم رقابة شديدة جدا على أنفسهم : رقابة على كل فكر ، على كل شعور رقابة شديدة على حواسهم ، فى حزم ٠ ورقابة على كل كلمة تخرج من أفواههم ، و على كل تصرف ٠٠

قلوبهم " جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم " (نش ٤ : ١٢) ٠ ولقلوبهم وأفكارهم و حواسهم أبواب حصينة ، عليها حراسة مشددة ، لا يستطيع أن يفلت منها أحد ، فرقابة الضمير ساهرة فى حرص ، والنعمة تحفظها ٠

هذا الإنسان البار المحصن ، الساهر على خلاص نفسه ، يغنى لها ويغنى لحفظ الرب له ، ويقول " سبحى الرب يا أورشليم ٠٠

لأنه قوى مغاليق أبوابك ، وبارك بنيك فيك ،

وجعل تخومك فى سلام " (مز ١٤٧) ٠ فهل أنت هكذا ؟ أم أنت متساهل فى حراستك لنفسك ؟ غير مدقق فى غلق أبوابها ، بل تفتحها بين الحين و الحين ، ظانا أن العدو لا يقدر على هدم حصونك ٠٠ ؟

لا تتساهل إذن مع الخطية ، إعتمادا على قوتك ٠

ثقة منك أن الشيطان لا يقدر عليك ، على الأقل فى هذه النقطة بالذات ٠ إنما خذ درسا من سقطات القديسين والأنبياء ٠ واعلم أن الخطية " طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء " (أم ٧ : ٢٦) ٠ فالذى لا يحترس ، ولا يبعد عن العثرات ، ولا يهرب لحياته ، ولا يطلب معونة الله ونهاراً ، ويمكن أن يسقط كما سقط من قبله أقوياء ٠٠

واعلم أنك إن تساهلت مع الخطية ، يمكن أن تجرك – دون أن تشعر – خطوة خطوة فى السقوط ، وإلى الهلاك ٠

تأمل أية نتائج خطيرة تحدث لك ، كلما تساهلت مع الخطية ٠

كلما تتساهل مع الخطية ، يقل احتراسك ، وتضعف إرادتك ، وتقل محبتك لله و تتغرفى الداخل وفى الخارج إنك تكون فى ملء قوتك – حينما تبدأ الحرب الروحية – وفى ملء عمل النعمة معك ٠ ولكنك كلما تتساهل مع الخطية تضعف قوتك ، وتقل مقاومتك ، ويزداد تأثير الخطية عليك ، وتزداد سيطرتها على تفكيرها و شعورك وإرادتك ٠ إذ يكون فكر الخطية قد ثبت أقدامه داخلك ٠ وحينما تحاول أن تخرج من نطاقه ومن مجاله ، تجد عقبات و تدخل فى صراع ٠٠ وقد كنت تقوى عليه فى بادئ الأمر ٠٠

بتساهلك تجد عدوا فى داخلك يقاومك ويضغط عليك ٠

وباستمرار التساهل ، تجد قوتك قد فرغت ، واستسلمت ٠ كقطعة من الحديد ، وجدت نفسها فى مجال من المغناطيس وتريد أن تخرج منه و لا تعرف ٠ واحيانا لا تريد ، بل تجد نفسها بكل ما فيها منجذبة إليه ٠٠

فى تساهلك مع الخطية ، تحزن الروح الساكن فيك ٠

وتطفئ حرارة الروح فى داخلك (١تس ٥ : ١٩ ، أف ٤ : ٣٠) ٠ وتتنازل عن النعمة المعطاة لك ٠ وتكون بهذا التساهل مع الخطية ، قد رفضت سلاحك الروحى ، و خنت الرب ، وفتحت الباب لأعدائه و مقاوميه ٠ خنت عشرة الله ، ودخلت فى عشرة الخطية ، ولو عن إهمال وتراخ صلابتك بدأت تهتز من الداخل ٠ فالأقوياء لا يتساهلون

تساهلك مع الخطية ، معناه أن مثاليات بدأت تهتز ٠

بدات تتنازل عن المستوى اللائق بك كصورة الله ومثاله (تك ١ : ٢٦) ٠ ورضيت لنفسك أن تتفاهم مع الشيطان ، وتسمح له بمكان داخلك ٠ وراك الشيطان انك من النوع الذى يمكن أن يخضع له ويستجيب ، وليس من النوع الصلب الذى يقاوم بشدة ، ويرفض كل اقتراحاته أيا كانت ٠

لقد كان الشيطان يختبرك وبحس نبضك ، ليعرف نوعيتك ٠

هل أنت سهل أم صعب ؟ هل ترفض كل ما يعرضه بحزم وبدون نقاش ؟ أم تقبل ؟ أم تتفارض ؟ أم تتساهل معه و تقابلة فى منتصف الطريق ٠ لذلك هو يعرض عليك أفكاره وحيله ٠ فغن تساهلت ، يعرض أيضاً ٠ فإن تساهلت أمامه و تراخيت ، حينئذ يعرف معدنك ، ويعاملك على أساس هذه الخبرة ٠

وتسقط هيبتك أمام الشياطين ، بسبب تساهلك معهم ٠

هناك قديسون تخافهم الشياطين وتهابهم ٠ ومثل ذلك القديس الذى أتاه شيطان ليحاربه ، فربطه خارج القلاية ، وجاء ثان وثالث فربطهم أيضاً خارجها ٠ و ظلوا يصرخون ، فقال لهم " إمضوا واخزوا " ٠٠ و مثل القديس الأنبا إيسيذوروس قس القلالى ، الذى قال له الشياطين " أما يكفيك أننا لا نستطيع أن نمر على قلايتك ، ولا على القلاية التى إلى جوارها ٠ واخ واحد لنا فى البرية ، جعلته يعتدى علينا الليل و النهار بصلواته ٠٠ ؟! " ٠ و القديس مقاريوس الكبير ، الذى كانت تخافه الشياطين قائلة " ويلاه منك يا مقاره ٠٠ " هذا لما نفى إلى جزيرة فيلا من الأريوسيين ، صاحت الشياطين صارخة لما دخل إلى الجزيرة

الشيطان يخاف أولاد الله الحقيقيين ، الذين يهزمونه ٠

أما إن رآك أنت تقبل أفكاره ، و تتساهل معه ، وتفتح له أبوابك ، و تخون الرب بسببه ، حينئذ تسقط هيبتك فى عينيه ، ولا يرى انك صورة الله التى يخافها ، ولا هيكل الروح القدس الذى يرتعب منه ٠٠ حينئذ يلعب بك الشياطين ، و ويسلمك كل واحد منهم للآخر لكى يلهو بك ٠٠ ككرة قد نزلت إلى الملعب ، واللاعبون يمررنها بينهم ٠٠ وكل واحد منهم يقذفها إلى اتجاه ٠٠ ! إحترس إذن لنفسك ، ولا تكن كرة تنزل إلى الملعب ٠

فالذى يتساهل مرة ، يتعود التساهل ويتمادى فيه ٠

قد تساهل سليمان مع نفسه فى كسر وصية الله التى تمنع الزواج بأجنبيات ، فتزوج إبنة فرعون (١مل ٩ : ١٦) ٠ ثم سهل عليه الأمر فتمادى فيه " وأحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات و حيثيات ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل : لا تدخلون غليهم ، ولا يدخلون غليكم ، لأنهم يميلون قلوبهم وراء آلهتم " (١مل ١١ : ١ ، ٢) ٠

ولمارأى الشيطان تساهل سليمان ، دفعه إلى أخطر ٠

فكما تساهب مع نفسه ، وكسر الوصية فى الزواج بهن ، ازداد تساهله ، فبنى مرتفعات لهؤلاء النسوة لعبادة إلتهن ٠ وقاده تساهله إلى أنه بنى مرتفعة للكموش إله الموآبيين ، وأخرى لمولك إله العمونيين ٠ومال قلبه وراء آلهة أخرى (١مل ١١ : ١- ٩)٠
ربما كان الشيطان يخاف سليمان أول الأمر ، لأنه كان احكم أهل الأرض فلما رآه يتساهل مع الخطية ، دفعه فى هذا التساهل إلى أبعد حد يمكن تصوره ٠٠ !

وكذلك فعل معه من جهة التساهل فى محبة النساء ٠

سمح سليمان لنفسه بالتساهل فى تعدد الزوجات ، فلم يوقفه الشيطان عند حد معقول ن إنما جعل التساهل يتمادى معه ، إلى أن صارت له " سبع مئة من النساء السيدات ، و ثلاث مئة من السرارى (١مل ١١ : ٣) ٠

إن كان التساهل يمكن أن يجر إنسانا حكيما إلى هذا المستوى ، فماذا يمكن أن يقال إذن عن الناس العاديين ؟!

لذلك لا تتساهل مطلقا ، مهما بدت الخطية بسيطه ٠ مجرد قولك إنها خطية بسيطة ، يقودك على التساهل

لا تقل هذا شئ بسيط ، وهذا أمر تافه لا يزعج الضمير ، وهذه ليست بخطية ٠ و هذا التصرف لا يعثرنى ، ولن يترك أثراً فى ٠ فكثيرون سقطوا لعدم التدقيق ٠ والذى لا يحترس من الصغائر ، يمكن أن يقع فى الكبائر ٠ وكل خطية هى تمرد على الله وانفصال عنه ، ودنس وسقوط وضعف ٠
و لا تظن أن الخطية التى تهلك الإنسان هى مجرد الوقوع فى كبائر ، كالزنا و التجديف و القتل والسرقة ٠٠ فقد قال الرب :

من قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم (متى ٥ : ٢٢) ٠

" ومن قال لخيه رقا يكون مستوجب المجمع " ٠٠ كثيرون يتساهلون فى الكلام بينما الكتاب يعتبر الكلام الخاطئ نجاسة ٠ ويقول " ما يخرج من الفم ينجس الإنسان " (متى ١٥ : ١١) ٠ وعن الحرص من جهة اللسان ، وعدم التساهل فى أخطاء الكلام ، يقول يعقوب الرسول " إن كان أحد فيكم يظن أن دين ، وهو إذن لا تحترس فقط من الزنا و السرقة و القتل ٠ فربما كلمة واحدة تكون سبب دينونتك ، لأن الكتاب يقول " بكلامك تتبرر ، وبكلامك تدان " (متى ١٢ : ٣٧) ٠

" كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس ٠ سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين " (مت ١٢ : ٣٦) ٠

لم يفهم القديسون عبارة (الكلمة البطالة) على أنها الكلمة الشريرة مثل الكذب و الشتيمة و التجديف والإدانة ٠ وغنما فهموا الكلمة البطالة ، على انها كل كلمة ليست للمنفعة ، ليست للبنيان ، لا تبنى نفس السامع ، ولا تبنى الملكوت ٠٠ و هكذا صمتوا ، وكانوا لا يتكلمون إلا بحساب ، حينما يرون أن الكلام سيكون للبنيان ٠
ولا شك أن الذى لا يتساهل مطلقا مع نفسه ، فى اللفظ بكلمة ليست للبنيان ، لا يمكن طبعا أن يتساهل مع نفسه فى أن يلفظ بكلمة شريرة ٠

و الذى لا يتساهل فى كلمة ، لن يتساهل فى العمل ٠

و التدقيق الذى يتعوده ، يشمل كل حياته وكل تصرفاته ، عالما أن كل فعل ياتى إلى الدينونة مهما كان بسيطا ٠ مجرد نظرة نظرتها إمرأة لوط إلى الوراء ، حولتها إلى عمود ملح (تك ١٩ : ٢٦) ٠ وكذبة كذبها حنانيا وسفيرا جعلتهما يسقطان ميتين للتوبلا توبة (أع ٥ : ١ _ ١٠)
إذن لا تقسم الخطية إلى كبيرة وصغيرة ، لكى تسمح لنفسك بالتساهل مع الصغيرة ٠ وإنما كن دقيقا فى كل شئ ٠ واعلم أن التساهل مع الشئ الصغير يجعله يكبر ٠ والسيد المسيح لم يمنع عن الزنا فقط ، إنما عن النظرة المشتهية ايضاً ٠٠ ولم يطلب منا فقط أن نحتمل من يسخرنا ميلا ، بل دعانا إلى احتمال الميل الثانى أيضاً (متى ٥ : ٢٨ ، ٤١) ٠

الذى يتساهل فى الخطوة الأولى ، يقع فى الثانية ٠

والذى يتساهل فى الثانية ، يقع فى الثالثة ٠٠ وهكذا إلى غير حد ٠ والشيطان – كما قيل عنه – " فتال حبال " ، يفتل حبالا لاصطيادنا و حباله طويلة ، لا مانع أن يدبر حيلة فى عشر سنوات ، ليسقطك فى خطية واحدة ! فاحترس منه ، ولا تتساهل معه أبداً ٠ و الشيطان قد يلومك إذا منت مدققا فى تصرفك ولم تتساهل ٠

وقد يصفك الشيطان بالتطرف أو الوسوسة و تعقيد الأمور ٠

فلا تسمع له ، وكن ثابتا فى روحياتك ، لا تثيرك هذه الإتهامات ٠ وكن مثل القديس ببنوده الأسقف ، الذى لمارآت إحدى النساء تدقيقه الشديد ، قال : إن هذا الشيخ موسوس ! فأجابها القديس قائلا " هل تعلمين يا إمرأة كم سنة قضيتها فى البرية لكى أقتنى هذا الوسواس ؟ لقد قضيت خمسين سنة لأقتنيه أفضل ٠٠

واعرف ان الخطية هى كسر لوصية الله ، وبعد عن محبته ٠ لذلك فانت فى تساهلك :

لست تتساهل مع نفسك ،إنما تتساهل فى حقوق الله ٠

لا تتساهل مع نفسك فى ارتكاب الخطية ٠ إن أخطأت :

لا تتساهل فى معاقبة نفسك خطيتها ٠

إن التساهل فى تأديب النفس على سقطاتها ، قد يؤدى إلى اللامبالاه ، وعدم الخوف ، والإستهانة بوصايا الله ، والعودة إلى ارتكاب الخطية بسهولة ، إعتمادا على ان الله محب وغفور " لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا " (مز ١٠٣) ٠

لا تدلل نفسك إذن ، ولا تسامحها بسهولة ٠

واعلم أن الخطية التى لا تنال عقوبتها كما ينبغى ، والتى لا تنسحق بسببها النفس و تذل ، ما اسهل أن يرجع إليها الإنسان مرة أخرى ٠٠و لا تقل إن هذه الخطية قد عملتها فى الماضى ، ومرت وانتهت ، ونلت عليها حلا و مغفرة ! كلا ، بل بكت نفسك باستمرار ٠

وتذكر أن داود النبى بلل فراشه بدموعه فترات طويلة ، بعد أن سمع حكم المغفرة من الله على فم ناثان ٠لكنه على الرغم من هذه المغفرة ،صارت دموعه له شرابا نهاراً وليلا ٠ وصغرت نفسه فى عينيه ، وظل يبكتها زمانا هو العمر كله ، ويقول " خطيتى امامى فى كل حين " (مز ٥٠) ٠

فلتكن أنت كذلك ٠ وافرض على خطاياك عقوبات شديدة ٠٠ وكن حاراً فى الروح (رو ١٢ : ١١) ٠

واعمل عمل الرب بكل نشاط وكل حرص ، ولا تتساهل فى ذلك فقد قيل :

ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة (أر ٤٨ : ١٠) ٠

كن كالراعى الساهر على غنمه ، الذى يحرس حراسات الليل ، كل يقظة ، لا يتساهل مع نفسه فى أن يغفو لحظة ٠٠

كن حاراً فى عبادتك (إن وجدت نفسك متعبا ، أو لا رغبة ذلك فى الصلاة ، فلا تتساهل مع نفسك و تنام بغير صلاة ٠ لئلا بهذا التساهل تتعود نفسك الإهمال و التراخى ٠ بل كما قال ماراسحق : إذا حوربت بأن تهمل صلاتك وتنام ، لا تطاوع نفسك وإنما :

إغضب نفسك على صلاة الليل ، وزدها مزامير ٠

كذلك كن حازما فى صومك ٠ لأنك إن تساهلت موعد الأكل ، ستتاهل أيضاً فى نوع الطعام وكميته ، ثم تتساهل فى ضبط نفسك ، ويصحبك عدم الضبط هذا فى كل تفاصيل حياتك الروحية ٠

كن متيقظا إذن لخلاص نفسك ، بكل حرص ، ساهرا باستمرار ، لئلا يأتى بغته فيجدك نائما (مر١٣ : ٣٦)٠

لا تنم ٠ وإن نمت ، إحترس من الصحو المتأخر ٠

فشمشون ظل متساهلا فى روحياته ، غافلا عن خلاص نفسه زمانا ٠ ومتى صحا ؟ كان ذلك صحوا متأخرا ، بعد أن فقد نذره ، وفقد قوته ، وسباه الأعداء ٠٠

ولوط كذلك ٠ متى صحا ؟ ٠٠ متأخرا جدا بعد أن فقد كل شئ فى حريق سدوم ٠ وكثيرون سقطوا ، لأنهم تساهلوا مع الغفلة الروحية ، ولم يستيقظوا لأنفسهم إلا متأخرين ، بعد أن كانت الخطية قد تمكنت منهم ٠ فلا تكن كهؤلاء ٠

وكإنسان أمين حياتك ، لا تتساهل مع الخطية ٠ ٠٠ وماذا أيضاً

الخطية لا تحب أن تكشف ذاتها ، إنما أحيانا تتنكر ٠
هى لا تكشف ذاتها إلا للمستهترين الذين يحبونها ٠ أما بالنسبة إلى أولاده الله ، فإنها دائما تتنكر ، حتى لا يتنبهوا لها و يبعدوا عنها ٠ ولا مانع مطلقا من أن تتنكر فى زى فضيلة ، أو وراء أى إسم لطيف غير مكشوف ٠ ويمكن أن ينطبق على أمثال هذه الخطايا قول الرب :

يأتونكم بثياب الحملان ٠ ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة (مت ٧ : ١٥) ٠

المضللون من المعلمين الكذبة يفعلون هكذا ٠ والخطايا التى تضلل الإنسان و تستغل بساطته تفعل هكذا أيضاً ٠ و الشيطان نفسه يأتى بثياب الحملان ٠ وكما يقول الرسول :

الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور ٠

وخدامه أيضاً يغيرون شكلهم إلى شبه خدام للبر (٢كو ١٠ : ١٤ ، ١٥) ٠ بحدث هذا لكى تتم الخديعة ، فتتم السقطه ٠ ولهذا يحتاج اولاد الله دائما إلى حكمة و إفراز ، لكى يميزوا بين طريق الرب و طريق الشيطان ، ويميزوا إرادة الله من الإرادات الخاطئة ٠
فكثيرا ما يسلك البعض فى طريق خاطئ نتيجة للجهل و عدم المعرفة ، ونتيجة لخديعة الشياطين لهم ٠ لذلك فالأب الكاهن فى القداس الإلهى يطلب من الله المغفرة و الصفح قائلا " عن خطاياى و جهالات شعبك ولماذا نسميها جهالات ؟ لأن الكتاب يقول :

توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت ٠

ذكرت هذه الآية فى سفر الأمثال (أم ١٤ : ١٢) ٠ و تكررت لأهميتها مرة أخرى فى نفس السفر بنفس النص (أم ١٦ : ٢٥) ٠٠ مادام هكذا ، ويمكن للإنسان أن يخدع ، وكما قال الرب " هلك شعبى من عدم المعرفة " (هو ٤ : ٦) ٠

على فهمك لا تعتمد (أم ٣ : ٥) ٠

وهكذا نرد داود النبى يصرخ كثيرا فى مزاميره ويقول " علمنى يا رب طرقك فهمنى سبلك " (مز ١١٩) ٠ فإن كان النبى العظيم – الذى حل عليه روح الرب – يقول هكذا ، فماذا نقول نحن ؟
ليس جميع الناس حكماء ، وليس الحكماء حكماء فى كل شئ " الحكيم عيناه فى رأسه ، أما الجاهل فيسلك فى الظلام " (جا ٢ : ١٤) ٠ ونحن لا ندعى الحكمة ٠ فماذا نفعل إذن ؟ ٠

علينا بالمشورة ، حتى لا تخدعنا ثياب الحملان ٠

والكتاب يقول فى ذلك " طريق الجاهل مستقيم فى عينيه ٠ أما سامع المشورة فهو حكيم " أم ١٢ : ١٥) ٠ وليس كل شخص نسمع منه المشورة ٠ فقد كانت مشورة بلعام ضلالة (يه ١١) ٠ وكانت مشورة أخيتوفل ليست حسب مشيئة الله ٠ لذلك نستطيع أن نقول إنه ليست كل مشورة هى من الله ، فقد قال الوحى الإلهى : " يا شعبى ، مرشدوك مضلون " (أش ٣ : ١٢) ٠

فما أكثر الذين هلكوا نتيجة الإرشاد الخاطئ ٠ ولبس هذا الإرشاد المضلل ثياب الحملان ، وهلك به أصحابه ، كما يقول الكتاب " أعمى يقود أعمى ، كلاهما يسقطان فى حفرة " (متى ١٥ : ١٤) ٠ وقد رأينا كيف ضاع رحبعام نتيجة سماعه للمشورة الخاطئة (١مل ١٢ : ١٠) ٠ وقد وبخ الرب الكتبة و الفريسيين على إرشادهم الخاطئ ، وقال إنهم " قادة عميان " (متى ٢٣ : ١٦ ، ١٣) ٠

هؤلاء طبعا غير المرشدين القديسين (عب ١٣) ٠

الذين يقول عنهم الكتاب " أذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله انظروا إلى نهاية سيرتهم و تمثلوا بإيمانهم " (عب ١٣ : ١٧) ٠ لذلك نحتاج لإفراز شديد لنميز بين الإرشاد السليم و الإرشاد الخاطئ ، بين روح الحكمة وروح الضلال ٠ كما قال الرسول " إمتحنوا الأرواح هل هى من الله " (١يو ٤ : ١) ٠
و الذى يتمسك بروح الله فيه ، سيرشده الروح ٠ فأشعياء النبى يقول عن روح الرب إنه " روح الحكمة و الفهم ، روح المشورة " (أش ١١ : ٢) ٠ فلنصل إذن أن ينقذنا الرب من كل خداع الشياطين ،

ومن الخطايا التى تتنكر فى زى فضائل لتضلنا ٠

على أنه إن سقط أحد فى خداع الشياطين هذا ، فإن الإتضاع يرفعه من سقطته ٠ لأنه حالما ينكشف له الأمر ، أو ينهيه صديق مخلص أو مرشد حكيم ، يعترف حينئذ بخطئه ، ولا يعود إلى ذلك الخطأ مرة اخرى ٠ ويكتسب بذلك معرفة وتوبة ٠ اما المتعجرف بمعرفته أو بسلوكه ، فإن توبته صعبة ٠٠

وذلك لأن الإنسان البار فى عينى نفسه ، يدافع عن خطيئته ، و يسميها بغير إسمها حتى لا يخجل !

لنه إن اعترف بأن هذه خطية ، يعترف بالتالى انه مذنب ٠ وكبرياؤه تمنع هذا ! إذن لا مانع من أن يلبسها ثياب الحملان ، ويسميها باسم آخر مقبول ، غير محرج له ، حتى لا ينكشف امام الناس ، وحتى يخدع نفسه فلا ينكشف أيضاً أمام نفسه ، إن أمكن ٠٠

و الذين يغطون خطاياهم بثياب الحملان ، لا يتوبون ٠

إذ كيف يتوبون عنها ويتركونها ، وهم لا يحسبونها خطية ، ولا يعترفون أنها خطية ؟! بل قد يسمونها باسم فضيلة ! وبهذه التسمية يدافعون عن سلوكهم ، وبالتالى يستمرون فيه ٠ وقد يصبح عادة لهم او طبعا لهم أو منهجا ثابتا فى حياتهم لا يغيرونه ، لأنهم يسمون الخطية بغير إسمها الحقيقى ، و يغطون عليها فلا تظهر !

وبهذه التسمية وهذه التغطية ، تهتز المبادئ و القيم عندهم ٠

عن الخطية المكشوفة و المعروفة ، من السهل مقاومتها و تجنبها ٠ وهى تتعب الضمير السليم ، حتى أنه إن وقع فيها الإنسان ، من السهل ان يتركها ٠٠ لذلك فإن الشيطان – الحكيم فى الشر – يعمل على تغيير القيم من جذورها ٠٠

وبتسمية الخطية بغير اسمها ، يدخل مع البشر فى حرب مسميات ٠

وتزداد خديعة الشيطان ، إن استطاع أن يجعل من هذه التسمية مفهوما شائعا بين الناس ، وهذا اخطر ، إذ ينتشر بين الكثيرين يرددونه بلا وعى ٠ وهذه التسميات هى خديعة مقصوده من جهة الشيطان أو دعاة الشر ٠ أما من جهة العامة ، فقد تكون الخطية هنا جهلا منهم يحتاج إلى توعية روحية ، أو يكون انقيادا غير حكيم ، وانسياقا بغير عمق ، يحتاج إلى قوة فى الشخصية ، سواء فى الفكر أو فى التصرف ، حتى لا تشدها الدوامة ، وحتى لا تسير مع اليار اينما اتجه ٠ وهكذا فغنه نتيجة لخداع الشياطين وأتباعهم من محاربى الفضيلة ٠٠

نجد أن قيما كثيرا ، تحتاج إلى توضيح مفهومها ٠

أى أننا ندخل مع هؤلاء فى حرب تعريفات **definitions** ، بحيث لابد أن نعرف : ما هو مفهوم هذه الفضائل أو القيم ؟ ما هو المقصود بها ؟ ما هو مضمونها أو تحديد معناها بالضبط ؟ حتى لا يكون هناك خطأ واضح فى التطبيق ، وبما يتنازعه ٠ تفسيرات متضادان بالنسبة إلى فضيلة واحدة ٠

ومن امثلة هذه الفضائل التى تحتاج إلى تحديد معناها :

ما هو مفهوم الحرية مثلا ؟ وما هو مفهوم القوة ؟ وما مفهوم العظمة و الكرامة ؟ كذلك ما معنى الإنتصار ؟ وما معنى الرجولة و البطولة و الشجاعة ؟ وما معنى النجاح ؟ وما معنى الطموح ؟
كلها قيم عظيمة ٠ ولكن الناس يختلفون فى مضونها ومعناها ، هذا بافتراض حسن النية ٠ وبناء على ذلك يقع البعض فى الخطية ، بفهم خاطئ ، بينما يتحاشاها البعض الآخر بمفهوم سليم ٠

تحت إسم الحكمة مثلا ، كم خطايا تختبئ ؟

يقع الإنسان فى التملق وفى الجبن وفى الرياء ، ويسمى هذه حكمة ٠ ويقع فى مجاراة الشر ، والسير فى التيار العام الخاطئ ، ويسمى هذه أيضاً حكمة ٠ وقد يستخدم الكذب و الخديعة واللف و الدوران ، ويعتبر أن هذه حكمة منه ، يكفى أنها أوصلته إلى غرضه أو حفظته فى امان ٠ وكأن الوصولية أيضاً حكمة !
وهنا يكون قد أخطأ مفهوم الحكمة ! لأن الشر ليس حكمة ٠ لأنه ليس من الحكمة أن يخسر الإنسان الملكوت ، من اجل اى غرض زائل على الأرض ٠ وصدق الرسول حينما قال :

لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله (١كو ٣ : ١٩)

وهى ليست جهالة فقط ، بل هى أيضاً سبب عقوبة " لنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم و الدهاء و الحيلة ، ليست هى حكمة روحية ، فابتعد عنها ٠ لأن الحية كانت " أحيل حيوانات البرية " (تك ١٣) ٠ وكانت شيطانا ٠٠

إستخدام يعقوب الحكمة البشرية ، فأوقعته فى خطايا كثيرة ٠

بتلك (الحكمة) أقصد بالحيلة و الدهاء ، تحايل حتى سرق البكورية من أخيه ، بأسلوب خال من الحب الأخوى (تك ٢٥ : ٣٠ – ٣٤) ٠ وبنفس (الحكمة) خدع أباه حتى سرق منه البركة بدلا من أن ياخذها أخوه (تك ٢٧) ٠ واشتركت معه فى ذلك أمه رفقة ٠ وبنفس الحكمة أيضاً ، أخذ من حاله لابان كل ما ولدته الغنم (تك ٣٠ : ٣١ – ٤٣) ٠ ولم يكن فى هذه النقطة بالذات أمينا مع خاله لابان ٠٠ إنها نفس طريقة الحيلة البعيدة عن براءة البساطه ٠٠

كم تحتاج مثل هذه (الحكيم) أن تتوب عن حكمته ٠

لو أنه سمى الأمور بأسمائها الحقيقية ، وقال عن هذا احتيال أو دهاء أو مكر ، أو اعتماد على ذراع بشرى ، لأمكن أن يتوب ٠ أما أن يسميها حكمة ، فهذه تسمية تغطى على الخطية ، ولا تساعده على التوبة ٠٠

صدقونى إن الحكيم فى عينى نفسه ، من الصعب أن يتوب ٠

لنه لا يرى فيما يفعله خطية ٠ بل يرى أن تصرفاته تدل على ذكاء و حسن تصرف ! و هل من المعقول أن يتوب الإنسان عن الذكاء و حسن التصرف ؟ كلا ، بل إن الناس يقصدونه ليعلمهم كيف يصل ، و يصبح مرشدا إلى طرق خاطئة وأكثر من هذا ، أنه قد يفتخر بحكمته هذه ، وكيف استطاع أن يستخدم عقله للحصول على ما يريد ٠ وينطبق عليه قول الكتاب :

مجدهم فى خزيهم (فى ٣ : ١٩) ٠

الذى تنسحق نفسه بسبب الخزى من أخطائه ، هذا يمكنه أن يتوب ٠ أما الذى يرى فى هذا الخزى مجدا له وفخرا ، فسوف يستمر فيما هو فيه ، راضيا عن نفسه ٠

ومثال ذلك التاجر الذى يفتخر بأنه استطاع أن يلعب بالسوق ويكذب و الموظف الذى يفتخر بانه طوى رئيسه بأسباب ملفقة عرضها عليه ، فانطلت عليه الحيلة وصدقه ٠ وكذلك الذى يفتخر بانه يستطيع أن يمثل أى دور على أى أحد ، ويكسب الموقف بتمثيله المتقن ٠ أو كالشاب الذى يفتخر بانه يستطيع أن يسقط أية فتاة مهما كانت متدينة ؟! كيف يمكن لهذا الإنسان أن يتوب ، إن كان يفتخر بأخطائه ؟!

يذكرنى هذا بالشياطين التى تفتخر بإسقاطها للقديسين !

لقد كان الفريسيون فى حرفيتهم ، يفتخرون بانهم يسيرون فى أصعب طريق ، ويضيقون على أنفسهم ٠ حتى أن بولس الرسول حينما كان يتكلم عن ماضية قال " حسب مذهب عبادتنا الأضيق عشت فريسيا " (أع ٢٦ : ٥) ٠ بينما السيد المسيح وبخ الفريسيين على تحميلهم الناس احمالا ثقيلة ، فما دخلوا ، ولا جعلوا الداخلين يدخلون (مت ٢٣)

إن الفريسيين كانوا يفتخرون بحرفيتهم ، لذلك لم يتركوا الحرفية ، بل اعتبروها تدقيقا فى امور الدين ، وتشددا فى التدين ٠ كان لها إسم آخر ،يغطيها ويحامى عنها ٠٠!

وكذلك كل خطية ، يمكن ان يكون لها إسم آخر ، يحتمى به الخاطئ فلا يتوب ٠٠

فالتدخين لا يظهر على أنه قتل للصحة ، وعبودية للإرادة ، وإضاعه للأموال ، وإنما يأخذ إسم المتعة وإراحة النفس ، وهو أسم لا يتعب الضمير كثيراً

و الرقص يأخذ إسم الفن ، ومحترفوه يسمون أهل الفن و الفنانين ٠ كذلك الرسوم العارية التى تعثر كثيرين ، هى أيضاً فن لا غير ٠٠! وما شبه هذا كثيرا جداً

وخطية الزنى هى أيضاً تلبس ثياب الحملان ، وتحمل إسم الحب ٠ ويخلط مقترفوها بين الحب و الشهوة

وإعلان عمل الخير أمام الناس لكسب مديحهم ، لا يؤخذ على أنه رياء ، إنما يلبس ثياب الحملان ، ويأخذ إسم القدوة الحسنة ، والتعليم العملى ، وتقديم صورة الله للناس ٠٠ و عدم إعثارهم ٠

وتحت إسم الدعابة و المزاح ، تستتر أيضاً خطايا كثيرة ٠

يتهكم إنسان على آخر ، يجرح شعوره ، ويتخذه مجالا لضحكه ، ويضحك عليه الآخرين غير مبال بوقع كل هذا عليه ٠٠ وإن لمته ، يقول إن هذا مجرد مزاح ودالة و عشم ! و هكذا يسمى عدم إحترام الناس مزاحا ٠ وقد يسرق ويخفى أو يأخذ أشياء يملكها غيره ، ويقول : كنت أمزح معه ٠ وقد يتصرف شاب مع فتاة بعض تصرفات جنسية غير لائقة ، يقول كنت أمزح معها ٠ وكل انواع الهزل غير اللائق ، تدخل تحت إسم المزاح و الدعابة ، وقد تشمل أى أحد مهما علا مركزه ٠ حتى الله نفسه بالتجديف على إسمه ، قد يعتذر عن هذا بانه دعابة ٠ وتدخل كلها تحت إسم خفة الدم ، واللطف ، وخفة الروح ؟!و تسأل أليس لهذا المزاح حدود ؟ فلا تجد جواباً ٠٠

ومن الناحية المضادة ، تلبس القسوة أيضاً ثياب الحملان ٠

فقسوة الأب على ابنة ، لا تظهر تحت إسم قسوة ٠ إنما تحت إسم الحزم و التأديب ، ويجد لها هذا الأب القاسى مفهوما خاصا فى قول الكتاب " فيرعاهم بقضيب من حديد " (رؤ ٢ : ٢٧) ٠ وينسى قول المزمور " لا تؤدبنى بسخطك " (مز ٦ : ١) ٠ وينسى الكلام عن عطف الأب (مز ١٠٣) ٠
وقد يقتل أب إبنته الخاطئة ، ولا يسمى هذا الأمر جريمة قتل ، وإنما يسميها غسلا ومحوا للعار ، ودفاعا عن الشرف ! ٠٠ مجرد ثياب حملان لإراحة الضمير وتبرير العمل ٠٠

واضطهاد من يخالف في الرأي أو العقيدة ، يسمى غيرة مقدسة ٠

وهكذا يأخذ إسما آخر يصير فيه فضيلة ٠ وفى هذا قال السيد المسيح " تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم انه يقدم خدمة لله " (يو ١٦ : ٢) ٠ وبهذه التسمية الجديدة كان شاول الطرسوسى يريح ضميره في كل انواع القسوة التى قام بها (أع ٢٦ : ٩ – ١١) ٠ وقد قال في ذلك عن نفسه في افتخارات ماضية " من جهة الغيرة ، مضطهد الكنيسة " (في ٣ : ٦) ٠
وبالمثل فغن كثيرا من ألوان الغضب و النرفزة ، قد تأخذ إسم الدفاع عن الحق ، والدفاع عن النظام ، والدفاع عن الكرامة ٠ ولكها ثياب حملان لا تتعب الضمير !

والحياة العابثة قد تختفى وراء إسم [الحرية]

وربما الإبن الضال الذى ترك بيت أبيه ، قد ظن أنه يمارس حريته الخاصة ، ويجرب الحياة و يختبر ٠٠! والوجوديون في كل أخطائهم يتعللون بهذا ايضاً : ممارسة الحرية ، والشعور بالكيان الشخصى ، الشعور بوجودهم ! وتحت هذا الإسم يقترفون كل انواع الإباحية ، والإعتداء على حريات الاخرين ٠ وصدق الذى قال " كم من جرائم اقترفت باسمك أيتها الحرية ! " ٠
وبالمثل خطايا اخرى كثيرة تلبس ثياب الحملان ٠
فالأم قد تتدخل في شئون إبنتها ، ودفاعا عنها ، وحرصا على كرامتها ٠٠ وقد يكذب محام أو محاسب ، وقد يضع هذا تحت عنوان مقتصيات المهنة ! بينما المهنة شريفة ليس هذا من متقضياتها ٠٠
إن الخطية ، لا تحب أن تظهر بإسمها الحقيقى ، لنه يتعب صاحبها ٠

فحتى البدعة في الدين ، لا يظهر مطلقا باسم بدعة ٠

بل يقدمها صاحبها على اعتبار إنها الفهم السليم للدين الذى يجهله الكثيرون ٠ وإن كانت هذه البدعة تحمل عقيدة لم يألفها الناس ، فإنه يسمى هذا تجديداً ! وإن قاومه المتمسكون بتقاليد الكنيسة ، يقول : هل تحجرون على تفكيرنا ؟ لنا الحرية ان ينشر أفكاره الخاطئة بين الناس ، ويتعرض لحكم بولس الرسول (غل ١ : ٧ ، ٩) ٠
بل حتى الذى يعثر الآخرين في التصرف ، لا يقول إنه يعثرهم ، بل إنه يعلمهم الحياة ٠٠!

أما أنت فاهرب من التسميات الخاطئة وثياب الحملان ٠

لتكن لك مبادؤك الثابتة الراسخة التى لا تتزعزع بمسميات جديدة و مفاهيم غير روحيه ، بل تعتمد علـــى كلمة الرب اولا ، وعلى الإيمان المسلم لنا مرة من القديسين (يه ٣) ٠ واحتفظ بنقاوتك ٠ ولا تسمح ان تسمى خطيئتك باسم آخر يريح ضميرك إراحة وقتية زائفة ، بينما تشعر في أعماقك إنه لون من الهـــروب من المسئولية ٠٠ بل الحرى إكشف خطيئتك أمام نفسك لتتوب عنها ، وأمام الله لتنال مغفرة طوبى لمن يكتشف خطاياه ، ويندم عليها ، ولا يغطيها بإسم آخر ٠

لأنك إن سميت خطيئتك باسم ىخر ، لن تتوب ٠

فالإنسان يترك ما يرى أنه خطأ ٠ فإن لم يكن خطأ ، لماذا إذن يتركه ظ! إنها معرقلات من العدو يمنع بها التوبة ٠ بأسلوب من السفقة الزائفة ، قد يحاول بها ان يريح النفس ، ولكنه لا يريح الروح ولا يساعدها على الإهتمام بأبديتها

أما أصحاب ثياب الحملان ، فيجب أن ينزعوها ، لكى تظهر الخطية على حقيقتها ، خاطئة جدا تفقد النفس نقاوتها ، وتحاح إلى توبة ٠

أما اصحاب المسميات الجديدة ، فيحتاجون إلى تجديد أذهانهم ٠

كما قال الرسول " لا تشاكلوا هذا الدهر " أى لا تصيروا بشكله أو شبهه " بل تغيروا عن شـــكلكم بتجديـــد أذهانكم " (رو ١٢ : ٢) ٠ فأذهانكم هذه التى أفسدتها المسمسيات الالمية و ثياب الحملان ، إعملوا على تجديدها بالفهم الروحى السليم بتجديد الذهن هذا ، يمكن لفنسان أن يتوب ٠٠ وماذا أيضاً ؟ ٠٠

اهرب من خطاياك المحبوبه

وعالج فقط الضعف فيك

ليس الخاطئ هو الإنسان الذى يسقط في جميع الخطايا ، بهذا السقوط الكامل الشامل يهلك ٠ إنمـــا تكفـــى خطية واحدة يكون ساقطا فيها ، هذه تلوث نفسه ، وتكون سببا لهلاكه خطية يحبها ، تمثل نقطة الضـــعف فيه ٠

وتكون خطيته المحبوبة هذه ، هى العائق بينه وبين الله ٠

إن انتصر على هذه الخطية بالذات ، صار منتصرا في حياته الروحية ٠ وإن انهزم فيها ، فلا تنفعـــه كـــل انتصاراته على باقى الخطايا الأخرى ٠٠

هذه الخطية تمثل مدخل الشيطان إلى قلبه وإرادته ٠ و ينبغىأن ينتصر في هذا الميدان بالذات الذى هزمه فيه العدو ٠ وغالبا ما تكون نقطة الضعف هذه ، هى النقطة الثابتة المتكررة في كل اعترافاته ، كلما ذهب ليعترف بخطاياه ٠

نقطه الضعف هذه ، تذكرنا بثقب واحد في سفينة ٠

مهما كانت السفينة هائلة ورائعة ، فهذا الثقب الواحد يمكن أن يكون سببا في غرقها ٠ كذلك بقعة واحـــدة في ثوب ، تكون كافية لتوسيخه ، مهما كان جميلا و نظيفا في باق أجزائه ٠ و نقطة حبر واحدة في كوب ماء ، تجعله كله غير صالح للشرب ٠ ولابد لنا أن نجاهد لإصلاح الثقب الذى في السفينة ، مهمـــا كانـــت التحسينات الأخرى الموجودة فيها ٠ وكذلك نعمل على إزالة البقعة الواحدة من الثوب ، ولا نفتخـــر بـــأن الباقى منه نظيف ٠

مثال تلميذ رسب في مادة واحدة في الإمتحان ٠٠

ومع أنها مادة واحدة ، فغنه يعتبر راسبا ، مهما كان ناجحا في باقى المواد الأخرى ٠ وحتى لو حصل في باقى المواد على درجات نهائية ، فمن أجل هذه الواحدة التى رسب فيها ، قد يعيد العام كله ٠ عليه إذن أن يعرف نقطة الضعف التى عنده ويركز عليها و يعالجها ٠

أو مثال مريض يشكو من مرض معين يؤلمه ٠

مهما كانت باقى أجهزة جسمه سليمه ، سيبقى متألما مادام هذا المرض باقيا و على طبيبه ان يركز على موطن الألم بالذات لكى يعالجه ٠ كذلك في الحال مع الخطية ، لأنها مرض ٠

خذ مثالا آخر بإنسان يصوم ٠٠

وفى صومه يمتنع عن أطعمة كثيرة ٠ ولكنه لا يستطيع أن يمنع نفسه عن طعام معين بالذات ، يشتهيه ٠٠ فما الذى يستفيده مثل هذا الإنسان من صومه ، مادام ضعيفا ، لا يقوى على ضبط نفسه ، في النقطة التى يحارب فيها بشهوة الطعام ٠ ألسنا نقول حقا ، أنه لو امتنع عن هذا الطعام بالذات ، لصار ناجحا في صومه وفى روحياته ٠٠ اما إن سقط في هذه ، فقد سقط في الكل ٠ ويذكرنا هذا بقول الكتاب :

من حفظ كل الناموس ، وإنما عثر في واحدة ، فقد صار مجرما ففى الكل (يع ٢ : ١٠) ٠

فما معنى هذه العبارة من قول الرسول ؟ وكيف نفهمها ؟

تفهمها بسؤال واحد تحتاج أن تجيب عليه وهو : هل انت تحب الله ، بحيث لا يوجد شئ يمكن أن يبعدك عنه ؟ فإن وجد شئ ، أى شئ ، يكون هو المشكلة في حياتك ، وهو نقطة الضعف فيك ٠ آو هو خطيتك المحبوبة التى تنافس الله في قلبك ٠

إن الله يقول " يا إبنى أعطنى قلبك " ٠٠ فلو كان قلبك في جهة اخرى بعيد اً عنه ، تكون هذه الجهة هى العائق الوحيدة الذى يعوقك عن الصلة بالله ٠

لم يكن هناك اشياء كثيرة تبعد آدم وحواء عن الله ٠

إنما كانت هناك تلك الشجرة الواحدة لا غير ٠ لو غنهما استطاعا أن ينتصرا بالنسبة إليها لصارت حياتهما كاملة أمام الله ٠ ولكن بانهزامهما خسرا كل شئ ٠

إنتصر إذن على نقطة الضعف التى فيك ، والتى يعرفها الشيطان عنك ٠ ويدرك تماما أنه كلما يريد أن يهزمك ، يدخل إليك من هذا الباب بالذات ٠٠

كثيرون يعزون أنفسهم باعمال برلهم ، يتذكرونها لتغطى على هذه الخطية ولكن الله لا يقبل هذه التغطيات

مثال ذلك الرجل الفريسى ، الذى كان الضعف فيه ، أنه يظن نفسه باراً ، و يحتقر غيره من الخطايا ٠٠ هذا كانت له نقط بيضاء كثيرة ، إذ أنه كان يعشر جميع أمواله ، وكان يصوم يومين في الأسبوع ٠ وكان واقفا في الهيكل يصلى ٠ ولم يكن من الناس الظالمين الخاطفين الزناة ٠ ومع ذلك لم يخرج من الهيكل مبرراً (لو١٨ : ٩ – ١٤) ٠ فلماذا ؟ لأن كل هذه الأعمال لم تستطع أن تغطى على العجرفة الداخلية ، التى هى نقطة الضعف فيه بالذات ٠ والتى يجب أن يتخلص منها ، ليتبرر أمام الله ٠

بنو اسرائيل أرادوا أن يغطوا على خطاياهم بالذبائح و البخور ٠٠

وبالتقدمات و حفظ المواسم من سبوت وشهور وأهلة و باقى الطقوس و الصلوات ٠٠ ولكن الله لم يقبل هذا منهم ٠ بل قال لهم " لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب ٠٠ لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة ٠ البخور هو مكرهة لى ٠٠ رؤوس شهوركم و أعيادكم أبغضتها نفسى ٠ صارت على ثقلا ٠ مللت حملها ٠ فحين تبسطون أيديكم ، أستر عينى عنكم ٠ وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع ٠ أيديكم ملآنة دما ٠ إغتسلوا ، تنقوا ، إعزلوا شر أعمالكم " (أش ١ : ١١ – ١٦) ٠

هنا النقطة المطلوبة ، حيث موطن الداء ، لا تغطية الطقوس و الممارسات ٠

الخطية لا تمحى باعمال بر أخرى ، إنما بالتوبة ٠

لذلك لا تضل الطريق ، فحيثما توجد خطيئتك حاربها وقاومها ٠٠ ولا تقل : سأصوم يومين ٠ أو سأعطى اموالى للفقراء ٠٠ كل هذا لا يقبل منك ، إن كنت ماتزال مستبقيا الخطية في قلبك ٠٠ إنما واجه حقيقة نفسك في صراحة ٠ واستفد دروسا لحياتك من قصص الكتاب ٠

وخذ كمثال : قصة الشاب الغنى (متى ١٩ : ١٦ – ٢٢) ٠

كان غنسانا يهتم بأبديته ، ويسأل " أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ٠ وكان يحفظ وصايا الرب منذ حداثته ٠ ولكن كانت هناك نقطة ضعف واحدة فيه ، وهى محبة المال ٠

وقد ركز المسيح على نقطه الضعف هذه بالذات ٠

فقال له إن أردت أن تكون كاملا ، إذهب بع كل مالك واعطه للفقراء ، فيكون لك كنز في السماء ٠ وهنا وضع الرب يده على الجرح الذى كان يؤلم هذا الشاب ، فمضى حزينا لنه كان ذا اموال كثيرة ٠

ووضع الرب يده أيضاً على الجرح الذى كان يتعب آيوب ٠

كان أيوب الصديق " كاملا ومستقيما " بشهادة الرب عنه (أى ١ : ٨) ، " وليس مثله في الأرض " ٠ وكان يشفق كثيرا على الفقراء ، و ينقذ الضعفاء من ظالميهم ٠ و" عيونا للعمى ، وأرجلا للعرج " (أى ٢٩) ٠ وباختصار كان رجلا باراً ٠ فماذا كانت نقطه الضعف إذن ؟

كان باراً ، ويعرف عن نفسه أنه بار٠ فأتعبه البر الذاتى (أى ٣٢ : ١) ٠

وهكذا جرده الرب من كل شئ : من أولاده و غناه ، ومن صحته و كرامته ، ومن احترام الناس له ٠ ولم يبق له شيئا ٠ ودخل مع الله في عتاب ٠ وأخيرا قال " قد نطقت بما لم أفهم ٠ بعجائب فوقى لم اعرفها ٠ أسالك فتعلمنى ٠٠ لذلك أرفض وأندم في التراب و الرماد " (أى ٤٢ : ٣– ٦) ٠ ولما وصل أيوب إلى التراب و الرماد ، تخلص من بره الذاتى ٠ ورفع الله عنه تجربته ٠ وصار أكمل مما كان ٠ إنتصر في نقطة الضعف أيضاً ٠

وكان بلعام نبيا ٠ وكانت له نقطة ضعف أهلكته ٠

ظهر له الرب و كلمه (عدد ٢٢ : ١٢) ٠ ولما طلب منه بلعام ان يلعن الشعب ، قال " الكلام الذى يضعه الله في فمى ، به أتكلم " (عدد ٢٢ : ٣٨) ٠ واقام سبعة مذابح ، وقدم سبع ذبائح ٠ " ووضع الرب كلاما في فمه " (عدد ٢٣ : ٥) ٠٠ وتكلم كلاما طيبا ، وتنبأ نبوات عن السيد المسيح " وحى بلعام بن بعور ٠٠ وحى الذى يسمع أقوال الله ٠ الذى يرى رؤيا القدير مطروحا وهو مكشوف العينين ٠٠أراه و ليس الآن ٠ أبصره وليس قريبا ٠ يبرز كوكب من يعقوب ٠ ويقوم قضيب من اسرائيل ٠٠ " (عدد ٢٤ : ٣ ، ٤ ، ١٥ – ١٧) ٠

ثم سقط بلعام بنقطة الضعف التى فيه ، حبه للمال ٠ وتحدث الكتاب عن ضلالة بلعام إنها مأساه ة ٠٠

وسقط بنقطة ضعف هى محبة النساء و مجاملتهن ٠

كان أحكم هذه الأرض ، بحكمة من الله نفسه ٠ وقد ظهر له الله مرتين و كلمه ٠ وهو الذى بنى الهيكل ، وبارك الشعب ٠ وكتب أسفارا عديدة من الكتاب اتلمقدس ٠ ومع ذلك كانت فيه نقطة ضعف واحدة هى محبة النساء ، فتزوج أجنبيات ، وجرته هذه الخطية الواحدة إلى السقوط ، فمال قلبه إلى آلهة زوجاته وبنفس نقطة الضعف الواحدة هذه ، سقط شمشون الجبار ، نذير الرب ، الذى حل روح الرب عليه و كان يحركه !

ويعوزنا الوقت إن تحدثنا عن نقط ضعف أتعبت الأنبياء ٠

كان إبراهيم أبو الاباء كاملا في كل شئ وباراً ٠ ولكن وجدت نقطة ضعف فيه هى الخوف ، وبالخوف وقع في خطايا (تك ١٢ ، ٢٠) ٠ وكان بطرس تلميذ الرب قديسا عظيما ٠ وكانت فيه نقطة ضعف هى الإندفاع ٠ كما كانت نقطة الضعف عند توما الرسول هى الشك ٠ وكانت نقطة الضعف التى أتعبت أبانا يعقوب أبا الآباء ، هى الإعتماد على الحيل البشرية ٠

وبعض الخطاة كانت نقطة ضعف واحدة تضيعهم :

خطية الحسد هى التى ضيعت قايين ، وقادته إلى قتل أخيه ٠ وخطية الكبرياء وحدها أسقطت كثيـــرين ٠ زكذلك خطية الزنا ٠ وربما إنسان تكون فيه فضائل كثيرة ٠ ولكن يسقط لعدم ضبطه لسانه ، حسب قـــول الكتاب بكلامك تتبرر وبكلامك تدان ٠ وإنسان آخر يسقطه العناد
والشيطان أسقطته خطية الكبرياء وحدها ٠
هى الخطية الوحيدة التى تحدث عنها الكتاب في قصة سقوط الشياطين ، كما رواها أشـــعياء النبـــى (أش ١٤ : ١٣ ، ١٤) ٠ ثم دخلته خطية الحسد ، ثم الكذب ثم تعددت خطاياه ٠ ولكن هذا كله جاء بعد خطية الكبرياء التى سقط بها من طهره الملائكى ٠

و الهراطقة كذلك : لكل منهم سقطته الخاصة ٠

فلا تظنوا ان الهراطقة كمان كل تعليمهم هرطوقيا ، أو كان كل كلامهم بدعا في الدين ٠ هناك منهم من له عظات عميقة مثل ترتليانوس الذى وقع في الهراطقة المونتانيين Montntists وصار قائـــدهم ٠ ومثـــل اوطاخى الذى كان من اكثر الرهبان روحانية في القسطنطينية ، ثم وقع في بدعته ٠
إنها نقطة واحدة أهلكت كلا من هؤلاء ٠ والأمثلة كثيرة ٠

وكل إنسان له نقطة ضعف خاصة هى سبب سقوطه ٠

فتأمل ما هى نقطة الضعف التىفيك ٠ وما هى خطيتك المحبوبة التى بها تسقط ، والتى تضعف مقاومتـــك امامها ٠
وفى توبتك ، ركز على هذه النقطة كل جهادك ، وكل صلواتك ، وكل ما وتأخذه من المعونة النعمة ٠ فغن انتصرت عليها ، سيخاف الشيطان من محاربتك فيما بعد ٠ و بتركك هذه الخطية المحبوبة منـــك ، تعبـــر على أن محبتك لله هى التى تقود حياتك ، وليس حبك لشهواتك
حذرمن أن تحتفظ بهذه الخطية المحبوبة وتقول للرب :

أحبك يا رب من كل قلبى ٠ لكن أترك لى هذه النقطة وحدها

فقولك هذا يدل على انك لا تحب الله من كل قلبك ، إذ يوجد له منافس في قلبك هو هذه الخطية بالـــذات ٠ وأنت تحبها اكثر مما تحب الله ٠
وكأن الله يقول لك : قد وضح لك الآن الميدان الحقيقى الذى ينبغى لك أن تحارب فيه ، وهو هذه النقطـــة بالذات ٠

إن الشيطان لا يحاربك في كل الخطايا ، إنما يختبرك أولا ٠

يمر في أرضك ، ويجسها ، ويعرف ما هى نواحى الضعف فيها ٠ وبكل ذكاء يعرف في أى الخطايا يحاربك ، وفى أيها تكون أسهل سقوطا ، وأكثر لإستجابة له وعليك أن تكون صـــريحا مـــع نفســـك ، وتفحصـــها وتعرف من أين تسقط٠ وإن لم تستطع أن تهرب وتبعد عن العثرات ، إحترس في هذه النقطة بالذات ، بكل حيطة ٠ واطلب من الرب معونة ليقف معك في حروبك ٠

ولا تضع لنفسك برنامجا روحيا طويلا لتسير فيه ٠

إنما ركز في الميدان الأساسى نسواء بالهروب أوبالحروب ٠
في النقط التى تعكر نقاء قلبك وصفاء روحك ، والتى هى ميدان هزيمة لك في الماض٠ وخذ في جهـــادك درسا من داود النبى ٠
لا تقل انا انتصرت على جليات الجبار وهزمته ، وانتصرت على الدب والأسد وانتزعت منهما الفريسة ٠ و انتصرت كذلك في مطاردة شاول لى ٠ إحتملته و انتصرت على نفسى ٠٠ لا تقل هذا ، إنما قل : ميـــدان حربى هى بشبع ٠ وهناك يجب ان انتصر ٠ وليكن الرب معك ٠٠

اهتم بأبديتك

يا إخوتى ، طريقنا الروحى طريق طويل . العمر كله لا يكفيه .

ينبغى أن نعرف تماماً : ما هو المطلوب منا ؟ و هل نحن نسير فى الطريق ، و نتقدم فيه خطوة خطوة ، كل يوم ، نحو الهدف ... أم نحن لم نبدأ بعد ؟ أم سرنا خطوات و وقفنا ؟ و هكذا فلنحسب من الآن حساب النفقة ، ساهرين على خلاص نفوسنا ...

المطلوب منا ليس مجرد الإيمان العادى ، إنما حياة القداسة ، فيقول الرسول :

نظير القدوس الذى دعاكم ، كونوا أنتم أيضا قديسين (١بط١:١٥).

" القداسة التى بدونها لا يعاين أحد الرب " (عب١٢:١٤) .

على أن هذه القداسة ليست هى آخر المطاف ، إنما ينبغى إن وصلنا إليها أن ننمو فيها ... و إلى أى حد ننمو ؟ ... حتى نصل إلى الكمال ، حسب وصية الرب القائل :

كونوا كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل (متى٥:٤٨) . فهل نحن قد وصلنا إلى هذه القداسة و إلى هذا الكمال ؟ و المعروف أن الكمال النسبى هو درجات ... يسعى فيها نحو الغرض جميع الكاملين منا (فى٣:١٤،١٥) . و إلى أى حد يسعون ؟ ... إلى الحد الذى يقول فيه الرسول :

" ... لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله " (أف٣:١٩) .

صدقونى ، لقد وقفت أمام هذه العبارة منذهلاً ، حينما قرأتها أول مرة ... ! ثم أعدت القراءة ، فإذا الرسول يقول " و أنتم متأصلون و متأسسون فى المحبة ، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض و الطول و العمق و العلو . و تعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة ، لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله " (أف٣:١٨،١٩) .

هنا و أصمت ... لأنه ماذا يمكن أن أقول ؟! و لكنى أتذكر أن الرسول لم يطالبنا فقط بأن نسلك حسب الروح (رو٨:١) . و إنما قال :

إمتلئوا بالروح (أف٥:٨) .

ما هو كنه هذا الإمتلاء بالروح ؟ أنا يا رب لست أعلم ... هل معناه فى بساطة أنه لا يوجد شئ فى كياننا يكون خالياً من الروح بل هذا الملء يشمل كياننا كله ... ؟ إن حدث هذا لنا ، أترانا حينذاك كيف نسلك ؟ يقول الرسول إن المطلوب منا هو أن نسلك كما كان المسيح يسلك على الأرض فى تجسده .

" من قال إنه ثابت فيه ، ينبغى أنه كما سلك ذاك ، يسلك هو أيضاً " (١يو٢:٦) .

من يستطيع هذا ، مهما حاول ؟!

حقاً ما أعلى هذه المرتفعات التى يريد الروح أن يقتادنا إليها ، لنكون " صورة الله و مثاله " (تك١:٢٦،٢٧) . إنه وضع من النمو الدائم ، لا يقف عند حد ...

قلت يوما إنه يشبه من يطارد الأفق .

ينظر إنسان إلى الأفق ، فيراه هناك فى آخر الطريق . فيذهب إلى آخر الطريق ، فيرى الأفق عند الجبل ، حيث تبدو السماء منطبقة على الأرض ... فيذهب إلى الجبل ، فيرى الأفق بعيداً عند البحر . فيذهب إلى البحر ، فيراه ممتداً بعيداً ... إلى غير حدود ... هكذا حياة الكمال .

و لأجل هذا قال القديسون عن أنفسهم إنهم خطاة .

نقرأ عن آباء البرارى ، الذين ارتفعوا جداً فى حياة الروح ، فنرى أنهم كانوا يجلسون فى قلاليهم و يبكون على خطاياهم ... و حتى الرسل القديسون كانوا أيضا يتحدثون عن خطاياهم . و لعل من أبرز الأمثلة على

ذلك قول بولس الرسول " الخطاة الذين أولهم أنا " (١تى١:١٥) . فإن كان بولس الرسول أول الخطـــاة . فماذا نقول نحن عن أنفسنا ؟!

إن مثال بولس الرسول يجعلنا ننسحق جداً .

بولس الرسول الذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥:١٠) ، الذى كرز فى بلاد عديدة ، و كتـــب ١٤ رسالة لأجلنا ، الذى صنع أيات عجيبة و معجزات ... و من كثرة الإستعلانات ، أعطى شوكة فى الجسد ، لكى لا يرتفع (٢كو١٢:٧) . بولس هذا الذى صعد إلى السماء الثالثة ، و ســـمع كلمـــات لا ينطـــق بهـــا (٢كو١٢:٤) . و ما هذا الذى تفعله ؟ يجيب :

أنسى ما هو مراء ، و أمتد إلى ما هو قدام .

يمتد إلى قدام !! إلى أين ؟ هل هناك ما هو أكثر من السماء الثالثة ؟ و هذه الحياة المملـــوءة بـــالكرازة و القداسة و المعجزات ؟! ... و إن كان بولس على الرغم من كل ما وصل إليه ، يقول " أسعى نحو الغرض " (فى٣:١٤) . فماذا نقول نحن الذين لم ندرك شيئاً مما قد أدركه هذا القديس العظيم ؟!
إننا لم نسلك بعد فى محبة الله ، و لا حتى فى طاعته . لم نتصرف كأبناء محبين ، و لا حتى كعبيد أمنـــاء مخلصين ...

بل إننا لم نصل إلى درجة (عبيد بطالين) .

هوذا الرب يقول " متى فعلتم كل ما أمرتم به ، فقولوا إننا عبيد بطالون " (لو١٧:١٠) . لأننا ما نزال فـــى حدود الأوامر ، لم نرتفع بعد فوق الناموس ، إلى درجة الحب ... الحب الذى يبذل كل شئ ... الذى يخسر كل الأشياء – و هو يحسبها نفاية – لكى يربح المسيح (فى٣:٨) .
إن كان هكذا حال الذين يقف عند حدود تنفيذ الوصية ... فماذا يقال عن الذى يخطئ و يكسر الوصـــية ؟!
إنه ليس عبداً لله على الإطلاق ، لا عبداً صالحاً و لا بطالاً ، بل هو مقاوم لله ، و عبد لإبليس ...
أقول لك هذا ، لكى تعرف نفسك ، و لكى تعرف ما هى المرحلة التى قطعتها فى الطريق إلى الله ... لـــئلا تظن ، إذا صليت مزمورين ، أنك قد وصلت !!

إذن إعرف يا أخى أين أنت . و اهتم بخلاص نفسك .

إن لك نفساً واحدة لا تملك غيرها . إن ربحتها ربحت كل شئ . و إن خسرتها خسرت كل شئ . لأنه ماذا يمكن أن تأخذ من العالم عوضاً عن نفسك ؟ و هوذا الرب يقول عبارته الخالدة :

ماذا ينتفع الإنسان ، لو ربح العالم كله و خسر نفسه . (متى١٦:٢٦) ...

إجلس إذن إلى نفسك . و افحص حياتك جيداً : هل أنت سائر فى الطريق أم لا ؟ و هل تحرص على أبديتك ، أم قد ضيعت نفسك ... و ضاعت أيامك التى كان ينبغى أن تستخدمها فى معرفة الله ، و فى محبتـــه ، و فى النمو الروحى ، حتى تدرك الغاية التى من أجلها أدركك المسيح ...
يا أخى ؟أن الطريق طويل قدامك ، و أنت لم تبدأ بعد . الطريق يبدأ بالمخافة ، لأن " بدء الحكمة مخافة الله " (أم٩:١٠) . و المخافة بالتدريج تقود إلى المحبة ... و لكنك إلى الآن لم تصل إلى مخافـــة الله ، لأنـــك مازلت تكسر وصاياه ... فمتى تصل إلى المحبة إذن ؟!
و أنت لا تستطيع أن تصل إلى الله ، إلا إذا كنت تسلك حسب الروح . و إن سلكت حسب الروح ، ســـتظهر ثمار الروح فى حياتك .

و ثمار الروح منهج طويل ، شرحه بولس الرسول .

فقال " و أما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام طول أناة ، لطف ، صلاح ، إيمان ، وداعة ، تعفف " (غل٥:٢٢) . و المحبة التى هى أولى هذه الثمار ، شرحها الرسول بالتفصيل فى (١كو١٣) ، ووضع لها حوالى أربع عشرة علامة . فهل وصلت إلى شئ منها ... ؟
ثم ماذا عن الصلاة و تفاصيلها ؟ و ماذا عن الهذيذ و التأمل و كل الوسائط الروحية ... ؟ و مـــاذا عـــن حروب الشياطين و كيفية الإنتصار عليها ...

جميعها إن شاء الله فى كتاب كبير إسمه [معالم الطريق الروحى] ... أما الآن فكل ما أنصحك به ، هــو أن تبدأ بالخطوة الأولى فى العلاقة مع الله ، لأنه إن لم تبدأ بأول خطوة فكيف تصل ؟!

و نقطة البدء فى علاقتك مع الله ، هى التوبة .

بها تصطلح مع الله و ترجع إليه . أى تنتقل من خارج الدائرة إلى داخلها . ثم تحملك النعمة و تعبــر بــك درجات الطريق . و هكذا تنتقل من خطوة التوبة ، إلى النقاوة ، إلى القداسة ، إلى الكمال النســبى ، إلــى النمو فى هذا الكمال ... أتريد أن تبدأ الطريق و تخطو إلى التوبة . ضع أمامك هذه القاعدة :

الباب السادس

حفظ التوبة

*** إمكانية الرجوع ٠**
* بدأوا بالروح وكملوا بالجسد
*الكنعانيون فى الأرض ٠
*لا تعرجوا بين الفرقتين ٠
*الفصل بين النور والظلمة٠
*الإهتماتم بالروح ٠
*وسائل اخرى ٠

امكانية الرجوع

سهل أن يتوب المرء يوما ، إنما المهم ان يتوب باستمرار ٠
أى أن يعيش في حياة التوبة ، أو يعيش في التوبة حياته كلها ، فلا يرجع مرة اخرى إلى الخطية ٠٠
سهل جدا أن يدرب الإنسان نفسه ، وينجح في تدريب روحى لمدة يوم أو يومين أو اسبوع ٠ ولكن هل من الممكن أن يستمر في هذا التدريب الروحى مدى الحياة ؟
هكذا في التوبة ، المهم فيها هو حفظها ، أي استمرارها .

لأنه ما أسهل الرجوع ...
إن الشيطان الذي يرقب حياة الإنسان ، لا يستريح مطلقاً أن يفلت هذا الإنسان من يده بالتوبة . لذلك يحاول بكل الوسائل والحيل أن يرجعه عنها ، ولو بعد فترة طويلة ...

وعصر القضاة مثال واضح جداً لهذا الرجوع ..
كانوا يسيرون في عبادة الأوثان وفي نجاسات الأمم المختلطة بهم . وكان الرب يخلصهم بأحد القضاة يقيمه عليهم ، فيتوبون .. ولكن " عند موت القاضي ، كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ... " (قض٢ : ١٩) .

وكانت فترات التوبة تستمر أحيانا عشرات السنوات ، ثم يرجعون .
نقرأ في سفر القضاة " واستراحت الأرض ثمانين سنة .. وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عينى الرب ، بعد موت أهود " (قض : ٠ ، ٤ : ١) .. " واستراحت الأرض أربعين سنة . وعمل بنو اسرائيل الشر في عينى الرب " (قض٥ : ١ ، ٦ : ١) ..

إنها قصة تكررت في حياة هذا الشعب ، وفي حياة غيره .

سواء من الشعوب أو الأفراد .. من قلوب غير ثابتة في محبة الرب ، وغير جادة في حياة التوبة ... لم تنته من حياة الخطية . تتركها ثم تعود إليها ، حتى شبهها الرسول بتشبيه صعب :

كلب قد عاد إلى قيئه . وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة .

وهكذا يقول بطرس الرسول " لأنه إذا كانوا بعدها هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح ، يرتبكون أيضاً فيها فينغلبون ، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل . لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر ، من أنهم في المثل الصادق : كلب قد عاد إلى قيئه ... (٢بط٢ : ٢٠ – ٢٢) .

نعم كثيرون ساروا مع الرب مرحلة ، ولم يكملوا الطريق .

إما أنهم شعروا بصعوبة الطريق ، فتركوه وتركوا الرب معه ... ولم يقدروا أن يحملوا صليبهم حتى النهاية . أو أنهم خانوا الرب ، إذ عادوا ففضلوا الخطية عليه . وهؤلاء انطبق عليهم ما قاله القديس بولس الرسول عن الغلاطيين الأغبياء (غل : ١ ،) . إنهم :

بدأوا بالروح وكملوا بالجسد

وقد قدم لنا بولس الرسول مثالاً آخر هو ديماس .

ديماس الذي كان أحد مساعدي القديس بولس في الخدمة والكرازة ، أي كان أحد أعمدة الكنيسة . وقد قرنه الرسول مرة باسم لوقا الطبيب (كو٤ : ١٤) ، وصرح بأنه من العاملين معه " مرقس الرسول وارسترخس وديماس ولوقا " (غل٢٤) ... ديماس الكارز هذا ، إنتهت قصته بعبارة مؤلمة قال فيها القديس بولس الرسول :

ديماس قد تركني ، غذ أحب العالم الحاضر (٢تي٤ : ١٠) .

إنه مؤلم حقاً أن تعود محبة العالم الحاضر ، فتغزوا قلب كارز عظيم من مساعدي بولس الرسول . عن كان الأمر هكذا ؟، فليحترس كل أحد من العالم ومحبته ، مهما تاب ..

والقديس بولس يذكر لنا أمثلة أخر يغير ديماس ، إنتهوا إلى نفس النهاية المؤلمة ، قال عنهم لأهل فيلبى :

لأن كثيرين .. ممن كنت أذكرهم لكم مراراً ، وألان أذكرهم أيضاً باكياً ، وهم أعداء صليب المسيح (في : ١٨) .

ويكمل كلامه عنهم فيقول " الذين نهايتهم الهلاك ، الذين إلههم بطنهم ، ومجدهم في خزيهم ، الذين يفتكرون في الأرضيات " (في ٣ : ١٩) هؤلاء لم يكونوا مؤمنين عاديين ... يكفي أن بولس الرسول كان يذكرهم في رسائلة . والمؤلم أن يقول " لأن كثيرين .. " فهم إذن ليسوا واحداً أو اثنين .. والمؤلم أكثر قوله " نهايتهم الهلاك " .. ومادام الرجوع إلى حياة الخطية ممكناً لمن لا يحترسون ، فيسمحون لدخول محبة العالم إلى قلوبهم :

إذن لا نفتخر إن تبت وبدأت حياة روحية ، المهم أن تكمل .

تكمل السير في الطريق الروحي حتى نهاية الشوط ، حتى نهاية أيام غربتك على الأرض . فقد قال الرسول " أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم " (عب١٣ : ٧) . إذن المهم أن تستمر التوبة حتى نهاية السيرة . ولا يكون التائب كالذين بدأوا بالروح وكملوا بالجسد ...

هل إن تبت ، وسرت مع المسيح فترة روحية جميلة ، ثم عدت إلى الخطية أتستطيع الأيام الروحية أن تخلصك ؟! أم أن ما انتهيت إليه ، هو الذي ستحاسب عليه ..؟

إن شاول الملك من الأمثلة الواضحة .

مسحة صموئيل النبى ملكاً ، وحل عليه روح الرب ؟، وأعطاه الرب قلباً آخر ، وتنبأ حتى تعجب البعض قائلين " اشاول أيضاً بين الأنبياء ؟! " (١صم١٠ : ٩ –١١) . ومع كل هذا ، عاد شاول فأخطأ ، وكثرت أخطاؤه ، ورفضه الرب . وقيل عنه " وذهب روح الرب من عند شاول ، وبغته روح ردئ من قبل الرب " (١صم١٦ : ١٤) . لقد بدأ مع الله ، أو بدأ الله معه . ولكن شاول لم يكمل .

وكذلك شعب اسرائيل الذي جاز البحر وتبع الرب في البرية . تخلصوا من عبودية فرعون . وعاشوا تحت قيادة الله المباشرة ، تظللهم السحابة نهاراً ، ويديهم عمود النور ليلاً ، وأكلوا المن والسلوي . وكانوا أول شعب أرسل له الله شريعة مكتوبة ، وتعهدوا النور ليلاً ، وأكلوا المن والسلوي . وكانوا أول شعب أرسل له الله شريعة مكتوبة ، وتعدوا قائلين " كل ما تكلم به الرب نفعل ، ونسمع له " (خر٢٤ : ٧) .. ومع ذلك عادوا وأخطأوا إلى الرب كثيراً ، وتذمروا ، وعبدوا العجل الذهبي (خر٢) . وغضب الرب على ذلك الجيل المتذمر ، ورفض إخاله أرض الموعد ، ومات كله في البرية ...

هل تظنون أن كل الهالكين بدأوا طريقهم بالهلاك ؟!

كلا طبعا ، فالشيطان نفسه بدأ حياته كملاك طاهر منير ، ولكنه لم يكمل ٠ فكم بالأولى البشر الذين عرفوا الخطية فترة ثم تابوا ٠٠ إذن لا يهمنا نقطه البدء ، بل نهاية المطاف ٠

الهراطقة لم يبدأوا تاريخهم كهراطقة ...

بل إن بعضهم بدأ بداية طيبة جداً ... وأوطاخي كان من أفضل رهبان القسطنطينية . كان إنساناً روحياً ، ورئيس رهبنة . وكلنه لم يكمل ، وانتهى إلى الهرطقة . واريوس كان من افضل وأقوي كهنة افسكندرية .. ونسطور كل هؤلاء إلى الضياع . وأوريجانوس كان أعظم عالم في عصره . وكان رجلاً زاهداً . وقد تألم كثيراً من أجل المسيح ، ودافع عن الإيمان ... وأخيراً انطبقت عليه تلك العبارة الأليمة " ايها البرج العالي ، كيف سقطت ؟! " .. إذن فليحترس كل أحد ...

وإن كنت قد تبت ، فأسمعه هذه النصيحة :

لا يكفي الخروج من سدوم ، بل أكمل إلى صوغر .

لقد خرجت إمرأة لوط من سدوم ، وكانت يدها في يد الملاك . ولم تحترق مع المدينة المحترقة . ولكنها لم تكمل المسيرة مع الله ، وإنما نظرت إلى الوراء (تك٢٩ : ١٦) . وهلكت بهذه النظرة الواحدة ... يا للرعب !

إحترس إذن من النظر إلى الوراء ...

لا تعد تفكر في العالم الذي تركته من أجل الرب . ولا تحاول أن تتذكر ملاذ الخهية التى تبت عنها ... لا تنظر مطلقاً إلى الوراء ، إنما " امتد إلى قادم " . وحاول أن تنمو في توبتك لا أن ترجع إلى الخطية .

فالذي يرجع ، يكون كمن يهدم كل ما بناه .

أنا لا أريد أن أخيفك بقول الرسول " لأن أرضاً قد شربت المطر الآتي عليها مراراً كثيرة ، وأنتجت عشباً صالحاً للذين فلحت من أجلهم ، تنال بركة من الله . ولكن إن أخرجت شوكاً وحسكاً ، فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التى نهايتها الحريق " (عب٦ : ٧ ، ٨) .

ولا أريد أن أكرر ما قاله الرسول في نفس الرسالة " إن أخطأنا باختيارنا ، بعدما أخذنا معرفة الحق ، لا تبقي بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف .. " (عب١٠ : ٢٦ ، ٢٧) ... فلعل الرسول لا يقصد مجرد الخطية ، فكل إنسان معرض لها ، إنما يقصد حالة الإستمرار في الخطية ... إنما كل ما أريد أن أقوله ، هو أن تحترس في توبتك .

إن تبت ، لا تغير بنفسك . لا تستكبر بل خف (رو١١ : ٢٠) .

لا تظن أن التوبة أعطتك حالة عصمة . فليس أحد بلا خطية سوي الله وحده (متى١٩ : ١٧) . وما أسهل أن يحارك العدو ليسقطك . لذلك تمسك بالرب ، ولينسحق قلبك قدامه ليعطيك حياة النصرة الدائمة .

واذكر قول القديس بولس الرسول :

" تمموا خلاصكم بخوف ورعدة " (في٢ : ١٢) .

ويطابق هذا أيضاً ما قاله القديس بطرس الرسول " ... سيروا زمان غربتكم بخوف " (١بط١ : ١٨) . وليس المقصود بهذا الخوف معنى الرعب . كلا ، بل المقصود به هو الحرص والحيطة ، والتدقيق في الحياة الروحية ، والبعد عن الغرور الذي يظن فيه التائب إنه قد تخلص من الخطية إلى الأبد ، وقد ارتفع فوق مستواها !!

في هذا الخوف أو الحرص ، لون من التواضع ٠

وكثيرون خلصوا بهذا التواضع ٠٠ الذى فيه يشعر الإنسان بضعفه ، بأنه لا يزال تحت الزلل ، ويحتاج إلى حرص حتى من أبسط الخطايا ٠٠ فالذى يشعر بضعفه ، تحيط به قوة الله لتعينه وتخلصه ٠٠ وما أجمل

تواضع القديس بولس الرسول في قوله : " .. أقمع جسدى واستعبده ، حتى بعد ما كرزت للآخـــرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضا " (١كو ٩ : ٢٧) .
فإن كان بولس الرسول يقول هذا عن نفسه ، فماذا نقول نحن عن أنفسنا ، ونحن أدرى الناس بضعفنا .. ؟ وإن كان الرسول يقول " قمع جسدى واستعبده " . ألا يعطينا بهذا درسا في اســـتمرار الحـــرص مـــدى الحياة ؟
الحرص يدل على أن التائب جاد في توبته .
ويدل على أنه صادق في مواعيده التى وعد بها الله لما بدأ توبته . فكن حريصا باستمرار " أذكر من اين سقطت وتب " (رؤ ٢ : ٤) . إبحث عن أسباب الخطية التى أسقطت فيها قبلا ، وابعد عنها بكل قوتك .
ومن الأفضل أن نفرد لهذه النقطة موضوعا خاصا وهو :

الكنعانيون فى الأرض

كثيرون بعد أن تابوا رجعوا إلى خطاياهم . وكان السبب هو أنهم :

تركوا أسباب الخطية قائمة كما هى ، وتركوا أبواب الخطية مفتوحة

لذلك عادت إليهم الخطية ، وأعادوا هم إليها ، لأن مصدر الخطية مازال موجوداً كما هو . هـــذا يـــذكرنا بقصة الكتعانيين في الأرض . فما هى هذه القصة و ما مغزاها ؟ الكنعانيونهم بعض الأمم الـــذين كـــانوا يعبدون الأصنام . وقد صدر الأمر بإخراجهم من الأرض حتى لا يصبحوا عثـــرة لجـــذب شـــعب الله إلـــى عباداتهم وعثراتهم . وكان الكنعانيون أقوزياء جدا . والذى . والذى حدث أن يشوع لم يطـــردهم مـــن بعض المناطق ، وبقوا عبيدا تحت الجزية (يش ١٦ : ١٠) . وازدادت شوكتهم . وكان شـــعب الله إذا اشتدوا " جعلوهم تحت الجزية ، ولم يطردوهم طردا " (يش ١٧ : ١٣) . وتكررت نفس العبارة في سفر القضاة أيضاً (قض ١ : ٢٨)
فسكن الكنعانيون في الأرض (قض ١ : ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣) .

وصار الكنعانيون شركا لشعب الله ومضايقين له (قض ٢ : ٣) .

فاختلطوا بهم ، وتزاوجوا معهم ، وعبدوا آلهتم (قض ٣ : ٥ – ٧) .

واصبح الكنعانيون هنا رمزا لبقايا الشر الموجودة في الأرض ، التى لم تنزع من جذورها ، فصارت ســـببا لنسيان الله و البعد عنه و الرجوع إلى خطية مرة أخرى .
هنا ونسألك : حينما تبت ، وسمح لك الله أن تأكل في حياتك الجيدة لبنا وعسلا ، هل استبقيت بعضا مـــن الكنعانيين في الأرض ، ولو كعبيد يخدمونك وهم تحت الحزية . تظنهم خاضعين لك ، بينما ينتهى الأمر أن تقع في نجاساتهم وتعبد عباداتهم !!

هل استبقيت بعضا من طباعك القديمة وأنت في حياة التوبة ؟

اقول هذا ، لأننا في بعض الأحيان ، نجد خداما في الكنيسة ، وربما مكرسين للخدمة ، وطبعا هولاء يرون أنفسهم أنهم ليسوا فقط في حياة التوبة ، بل ربما بالأكثر في حياة البر ، ومع ذلك لهم طباع تشبه أهل العالم تماما ! أخلاقهم علمانية و ليست روحية ! فكيف حدث ذلك ؟ وكيف جمعوا بين الخدمة وهذه الطباع معا ؟ فلنضرب لذلك أمثلة :

١-إنسان ٠ قبل أن يعرف المسيح كان غضوبا ٠٠ ثم تاب ٠ ولكنه استبقى معه الغضب !

٢-قبل أن يتوب ، وقبل أن يدخل في حياة لخدمة ، كان يغضب ، ويحتد ، ويعلو صوته ، ويشتم ، ويتشاجر ٠٠ ثم تاب ، استبقى الكنعانيين في الأرض ٠ ترك معه هذه الطباع كما هى و تراه في الخدمة ، وعلم الرغم من مسئولياته الكثيرة فيها ، يثور ويضج ويحتد ، ويأمر وينهى بصوت عال ، ويشعل الجو ناراً

وتعاتبه على غضبه ، فيقول لك إنه الغضب المقدس ! ٠٠ أنا أغضب من أجل الله وحقوقه ! وأثور من أجل إصلاح الأوضاع الخاطئة ٠٠ من أجل الوصية ٠٠ من أجل أن أعلمهم ماذا ينبغى أن يكون !

وفى الحقيقة إنه يثور ، لأنه عاجز عن مقاومة الغضب داخله ٠

وفى الحقيقة ليس هذا غضبا مقدسا ، لأنه ضد الوصية التى تقول " المحبة تتأنى و تترفق و لا تحتد " (١كو ١٣ : ٤ ، ٥) ٠ وضد الوصية التى تقول " غضب الإنسان لا يصنع بر الله " (يع ١ : ٢٠) ٠ وايضاً ضد الوصية التى تقول " ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح ٠٠ و كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض " (أف ٤ : ٣١ ، ٣٢) ٠

و الغضب المقدس يجب أن يكون مقدسا في سيلته أيضاً ٠

وليس فقط في هدفه وغرضه ٠ فالذى يثور بهذا الشكل يدل على أن أعصابه ليست سليمة ، ويعطى قدوة سيئة و مظهرا غير مشرف للخدمة ، ويدل على عدم نقاوة في الأسلوب وفى طريقة التعامل ٠٠

وكل ما في الأمر أن هذا الشخص استبقى معه بعض طباع رديئة وأراد أن يسبغ عليها صورة مقدسة ، ويستخدمها بنفس أخطائها داخل الكنيسة ٠ واصبحت توبته و خدمته معثرة ، وهى كمن يضع رقعة جديدة على ثوبة العتيق (متى ٩ : ١٦) ٠ وكان الأولى به أن يترك كل الغضب القديم بكل صوره ٠ وهنا يسأل : وهل لا أدافع عن الحق ؟ فنجيبه :

إذا أراد الله أن يعطيك غضبا مقدسا للدفاع عن الحق ، فسشيكون غضبا آخر مختلفا في الجوهر و

الصورة والأداء و التعبير ٠

سيكون غضبا روحيا ، غير غضبك العلمانى هذا ٠ تغضب فيه ولا تخطئ (مز ٤) ٠

لقد دافعت أبيجايل عن الحق لما كلمت داود ، ولكن في أسلوب رقيق ومؤدب و حكيم (١صم ٢٥) ٠ والسيد المسيح كشف للمرأة السامرية أخطاءها ، ولكن بأسلوب روحى غير جارح (يو ٤) ٠ وأولاد الله دائما يعبرون عن احتجاجهم على الخطأ بطريقة روحية ليس فيها صخب و لا ضوضاء و لا نرفزة ، كل هذه الأمور التى من بقايا الكنعانيين في الأرض

المشكلة هنا ، هى أن المقاييس الروحية غير سليمة ٠

عن المقاييس التى تجيز هذا الغضب الخاطئ ، وتعتبره مقدسا من أجل الله ، لا شك أنها مقاييس غير سليمة ، أو هى مجرد تبرير لوجود خطية قديمة لم يتطهر منها القلب بعد ، ولا تتفق مع حياة التوبة ، ولا مع ما يليق بالتوبة من تواضع وانسحاق ٠٠ ويمكن أن تتطور حتى تتلف روحيات الإنسان كلها ، وكأنه لم يتب ٠

٢-مثال آخر هو الخلط بين الشتيمة و التوبيخ الروحى ٠

نفس الوضع ٠ إنسان كان شتاما قبل التوبة ٠ ثم تاب ، أو ظن أنه تاب ، بينما استبقى بعض أخطائه القديمة ٠ ومن ضمنها الشتيمة و بعض الألفاظ الجارحة ٠ و اعتبر إنها نافعة له يمكن أن يستخدمها في

توبيخ الخطاة ٠ ومع نسيانه أن التائب ليس له أن يوبخ إلا نفسه ، وليس له أن ينسى خطاياه ، لكى يهتم بخطايا غيره و يبكته عليها ٠٠ إلا أنه مازال يتمسك بقول بولس الرسول " وبخ إنتهر عظ " (٢تى ٤ : ٢

وينسى ما هى الطريقة الروحية للإنتهار ٠٠

عن القديس بولس الذى قال هذه النصيحة لتلميذه السقف تيموثاوس ، هو نفسه الذى قال لكهنة أفسس " ثلاث سنين ونهاراً ، ولم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد" (أع ٢٠ : ٣١) ٠ فهل أنت تنذر الناس في حب ودموع ، أم في كبرياء و تسلط وفى احتقار لهم و لمشاعرهم ؟!

إن التائب لا ينتهر أحدا ٠ وإن انتهر ، لا ينسى روح الوداعة ٠

تلك التى قال عنها الرسول " أيها الأخوة ، إن انسيق إنسان فاخذ في زلة ما ، فاصلحوا انتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ، ناظرا إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً " (غل ٦ : ١) ٠ نعم ، فنحن كلنا تحت الزلل ٠ والتائب المتذكر لخطاياه ، إن تعرض لإصلاح أحد ، لا ينسى مطلقا أن أخطأ مثل هذا الإنسان قبلا فإن نسى ، يعرض نفسه لفقدان توبته ، وتدخله روح الكبرياء ٠٠

أما الذى في انتهار يتطاول ويشتم غيره ، فهذا لم يتب حتى الآن ، وعليه أن يتذكر قول الرسول :

" ٠٠ لا شتامون ٠٠ يؤثون ملكوت الله " (١كو٦ : ١٠) ٠

الذى يستبقى الشتيمة في طباعه ، إنما يستبقى الكنعانيين في الرض لإتلافها ٠ و الشتيمة لا يليق إستعمالها في الخدمة ، لأن وسائل الخدمة ينبغى أن تكون طاهرة ٠

لا يليق بالتائب أن يغطى خطاياه بآيات يسئ فهمها ٠

أو يسئ إستخدامها قصدا ٠ الفضل أن يعترف أن بعض ضعفاته مازالت موجودة لم يتخلص منها بعد ، مثل الغضب و النرفزة وحدة الطبع و الشتيمة ٠ وقد حملها معه في حياته الجديدة تعكر هذه الحياة ، وتمنعه من حفظ التوبة ٠

لا تقل " الروح القدس يبكت الناس على لسانى " ٠ فالروح القدس له أسلوبه الخاص وألفاظه النقية ٠

هناك إنسان آخر يظن أنه تاب ، بينما يكون قد استبقى خطية اخرى :

٣-يكون قد استبقى في توبته ما في طبعه من عناد ٠

و العناد يرتبط دائما بالكبرياء ٠ فهو نتيجة للثقة الخاطئة بالنفس ، والتشبث بالرأى الخاص ، واحتقار أراء الآخرين ، وعدم المبالاه بنتائج صلابة رأية ٠٠

وقد يكون هذا العناد وهذه الصلابة في محيط الكنيسة و الخدمة ومدارس الأحد ويقول الجميع " فلان من الصعب التفاهم معه " ٠٠ ومع ذلك فهو ليس مجرد تائب ، إنما هو خادم ، وربما مسئول كبير في الخدمة ، ونشيط ، ويعظ ، ويتكلم في الروحيات واللاهوتيات و العقيدة و قصص القديسين ٠ له معلومات ٠ولكن الكنعانيين لا يزالون في الأرض ٠

ويحاول أن يسمى عناده باسم (الدفاع عن الحق) ٠

بينما الحق يدعوه أن يكون متواضعا و متفاهما ومحترما لآراء غيره ٠٠ولكنها ثياب الحملان تلبسها بعض الخطايا ٠ وحقيقة الأمر أن (الذات) ما تزال قائمة ٠ وهذا الإنسان ربما يكون في توبته قد تخلص من خطايا كثيرة و لكنه ٠٠

ولكنه لم يتخلص من [الذات] ، حملها معه في توبته

و ما أكثرالذين يفشلون في توبتهم بسبب (الذات) ، وربما دخل في حياة التوبة ٠ وشغلته إلى حين الخطايا الكبيرة التى تركها ٠ ثم ما لبثت خطية الإدانة التى كانت عنده أن ظهرت مرة أخرى ٠٠ و العجيب

أن هذا الإنسان كلما يحس أنه نما في التوبة ، واقترب إلى الله ، وبعد عن الخطية ، على هذا القدر تـــزداد خطية الإدانة ظهورا في حياته ..

وأصبح ينتقد كل شئ ، وكل أحد ، ولا يعجبه شئ !

البصيرة الروحية التى وهبت له في التوبة ، صار يوجهها إلى اعمال غيره وليس إلى أعماله ! و المثالية التى أحبها في التوبة ، أصبح يقيس بها تصرفات الناس و ليس تصرفاته هو ! وإذا به ينتقد الكل ..
المسألة في واقعها ليست حرصا على المثالية ، إنما هى عدم قدرة على ترك الخطية الإدانة و الانتقاد التى تركها معه من ماضية ، وإذا بالكنعانيين لا يزالون في الأرض .

وهذه الروح تدخل حتى في الخدمة و التعليم .

ففرع من فروع الخدمة ، يرفض المنهج العام ، ويظل ينتقد : هذا المنهج فيه اخطاء كذا و كذا ، وينقصه كذا و كذا و ينقصه كذا وكذا . و منهج فرعنا أفضل ! .. ويتحول هذا الفرع إلى " قطاع خـــاص " فـــي محيط الخدمة ، ولا تهمه وحدة التعليم في الكنيسة . [الذات] لا تزال باقية . لم تمت حين بدأت التوبة

وروح الإنتقال تجعل جماعات منغلقة على نفسها .

كأنها جزائر داخل الكنيسة ، لا تتصل بأرض أخرى . وقد تخرج منها سفن إلى هذه الأرض أو تلك ســـفن من أراض أخرى . ومع ذلك هى جزائر قائمة بنفسها ، داخل الذات ، التى ظلت باقية بعد التوبة .
و لا تكفى بهذه الإنفرادية ن وإنما تنتقد كل وضع آخر ، بكل عنف . فإن سألت واحداً منهم " لماذا كل هذا ؟ " يجيبك بعبارة أرمياء النبى " ليت عينى ينبوع دموع ، فأبكى نهارا و ليلا قتلى بنت شعبى " (أر ٩ : ١

يا اخى إبك على خطاياك ، قبل أن تبكى على الشعب .

ولكن هذا النوع للأسف ، لا يرى له خطايا تحتاج إلى بكاء .. !
انه بعد ان بدأ التوبة ، لم يعد مشغولا إلا بخطاياه غيره ، ولذلك يحيا باستمرار في جـــو مشـــبع بالإدانـــة والإنتقاد للآخرين ، في غير رأفة . أما من جهته هو ، فيضع نفسه تحت عبارة " لا تحتاجون إلى توبة " (لو ١٥ : ٧) . لذلك يعيش في منهج الفريسى لا العشار (لو ١٨ : ٩ – ١٤) .. الفريســـى الـــذى يصوم ويعشر أمواله ، وليس هو من الظالمين الخاطفين الزناه . ولكنه يستبقى الكنعانيين في الأرض ..

٥-وقد يتوب الإنسان ، ولكنه يستبقى في طباعه : الكسل .

ربما يكون إنسانا كسولا ويتوب . ولكنه يترك خطاياه الأخرى ، ويحتفظ بالكسل . فتـــرى هـــذا الكســـل واضحا في خدمته ، في عبادته ، في تداريبه ، في قراءاته ، في حضوره للإجتماعات ،ى في مواظبته على الإعتراف . وإن سأله أحد كيف يسمح لنفسه بالبقاء في هذا الكسل ؟ يجيب " يكفينى إنى أحب يسوع " !

و تتعجب ، هل محبته لرب المجد سببا لكسله ؟

هوذا الرسول يدعونا أن نكون " حارين في الروح . غير متكاسلين في الإجتهاد . مواظبين على الصلاة " (رو ١٢ : ١١ ، ١٢) . ولكن يبدو أن محاولات تغطية الخطايا تكاد تصبح عادة عند الـــبعض .. امـــا الإدعاء " بكفاية محبة الرب ، فالرد عليها بسيط وهو أن الرب نفسه قال : من يحبنى يحفظ وصاياى (يو ١٥ : ١٠) فأين حفظ الوصايا بالنسبة إلى هذا الكسل ؟!

٦-وربما إنسان يتوب ، ويستبقى معه خطية (التحاليل) .

قبل أن يتوب ، كان له هذا الطبع . يعرف أن يصل إلى غرضه بالأساليب الملتوية ، باللف و الـــدوران ، بالحيل البشرية ، بالدهاء ، بطرقه الخاصة .. وبعد أن تاب ، استبقى هذا الطبع معه .. وصار يلجأ إليه أحيانا ، كما لجأ يعقوب إلى خديعة أبيه لأخذ البركة !!
ربما تقع الكنيسة في مشكلة ، أو تقع الخدمة في مشكلة . و يحتار الكل كيف يكـــون حـــل الموضـــوع ، فيتدخل هذا الإنسان ويقول " اتركوا لى هذا الموضوع لأحله " .. وكيف تحله ؟ " أحله بطرقـــى الخاصـــة .. أنا أعرف هذه اللعبة جيداً " .. طبعا يعرفها لأنه كان يلعبها من قبل ، قبل أن يتوب . ولا مانع مـــن أن يلعبها الآن ..

ويتساءل البعض كيف أتى بذلك الحل ؟ والجواب واضح · من الكنعانيين الذين لا يزالون في الأرض ، يعطونه المشورة (الطيبة) !

و تشعر في حله للمشكلة أنه لم يتب بعد ··

ومع ذلك ضميره لا يتعبه ! قديما كان يلجأ إلى اللف و الدوران وإلى الطرق الملتوية من أجل امور العالم ·· أما الان فيلجأ إلى كل هذا منن أجل الله !! لا داعى إذن لأن يوبخه ضميره ! و هكذا ينحدر خارج التوبة · ولا يشعر في توبته أنه قد تغير الشخصية القديمة مازالت كما لم تغير أساليبها ·· و بنفس الوضع ينحدر إلى ما هو أسوأ··

ويبقى معه الإعتماد على الذراع البشرى ، حتى في توبته ·

ويؤثر هذا المر على روحياته كلها ، وقد ينتهى إلى فشله في حياة التوبة · ولكن ما كان يتنبه إلى هذه النقطة ، إذ كان يظن أن التوبة هى مجرد ترك الخطايا (الكبار)امثال الزنا و السرقة السكر و القمار ·· الخ

٧- وربما شخص يكون قد (تاب) و لكنه استبقى تبرير الذات ·

اعتبر أن الدفاع عن النفس شئ عادى · ولكنه صار يدافع عن نفسه في كل شئ ، كأنه لا يخطئ في شئ ، حتى أبعد عنه كل ذى نصيحة أو عتاب · وربما عن طريق تبرير الذات يقع في أخطاء لا تحصى ، مهما وصل إلى درجات في الخدمة ·· وهناك نوع آخر غير كل هؤلاء · كان محاربا بالكآبة ··

٨-ويتوب هذا الإنسان ، يستبقى الكآبة وباقى حروبها ·

وإذا بك تجده يتعب في حياته الروحية بسبب أية مشكلة ، وينهار ، ويضطرب ويفقد سلامه · ويقول : لا فائدة منى · لقد يئست · لقد تعقدت من الموضوع الفلانى " ·

إن الكآبة حرب من الشيطان ، أو تعب فىالأعصاب · وليست هى صفة من صفات اولاد الله ، لأن من ثمار الروح : فرح و سلام (غل ٥ : ٢٢) · وممكن بهذه الكآبة ينحرف الإنسان عن طريقه الروحى ، ويضل الطريق عن الله

إذن علينا أن نفحص أنفسنا جيدا ، لترى ما الذى قد استبقيناه من حياتنا الأولى قبل التوبة ، لنتخلص منه

لئلا نظن أننا قد دخلنا كنعان فعلا ، بينما نكون لا نزال تائهين في البرية · والذى يطهر نفسه من كل رواسب الحياة القديمة ، يمكنه أن يشق طريقه إلى الله بسهولة ، ولا ينتكس في توبته
وبالذات بالنسبة إلى الخطايا التى قد تأخذ صورة غير صورتها ·

٩-مثال حب المال أو حب القنية ·

وقد يقول شخص : ولكن هذا الأمر واضح · كيف يمكن أن ينخدع به إنسان في التوبة ؟ أقول لكم تتم الخدعة ··

إنسان كان يحب المال ، أو كان بخيلا لا يحب أن يصرف مما معه · ثم تاب ، أو ظن أنه تاب · وعاش في الحياة الجديدة مع الله · وربما صار خادما معروفا ، أو راهبا في دير · ثم تجد هذه الخطية القديمة تأخذ مظهرا كنسيا ·

يرجع حب المال ، ولكن ·· من أجل الكنيسة ، من أجل الدير !

ويكون ذلك بأسلوب قد لا مطلقا مع حياة التوبة ، أو مع الروحيات عموما · وقد يعتذر بقوله : أنا لا آخذ لنفسى شيئا · أنا أجمع لله ! أو مع الروحيات عموما · وقد يعتذر بقوله : أنا لا آخذ لنفسى شيئا · أنا أجمع لله ! هذا حق ، ولكنه يجمع بطريقة علمانية غير روحية ، لا تتفق مع عدم محبة المال ، ولا مع النسك و الزهد !

وقد ترى عجبا من بعض المسئولين عن مال الكنائس و الجمعيات · وتسأل أين حياة التوبة ؟ ولكن أمثال هؤلاء قد استبقوا بعض الكنعانيين في الأرض ·

و ينطبق على هذا ، الكنائس الغنية التى لا تساعد الكنائس الفقيرة ٠
أليس المال كله هو مال الله ٠ سواء عند الله تم الصرف على هذه الكنيسة أو تلك ٠ ولكن محبة المال تدعو إلى جمعه هنا ، وليس هناك ٠٠ وما اكثر أمناء الصندوق

لا تعرجوا بين الفرقتين

قال إيليا النبى الشعب " حتى متى تعرجون بين الفرقتين ؟ إن كان الرب هو الله فاتبعوه ٠ وإن كان البعل فاتبعوه " (١مل ١٨ : ٢١) ٠

التعريج بين الفرقتين ، يدل على أن القلب غير ثابت في محبة الله ، وعلى أن التوبة غير صادقة أو غير كاملة ٠

إن وصلت التوبة إلى كمالها ، لا يعرج الإنسان بين الفرقتين ، بين الله والعالم أما إن بدت نظراته تهتز بين هنا و هناك ، فإن هذا يدل على أنه بدأ يعادود النظر في التوبة ٠ فمتى يحدث هذا ؟
يحدث أحيانا إن الإنسان يقدم الإرادة لله ، من أجل الطاعة ٠ ولكنه لا يقدم القلب ، كل القلب ٠ يسلم يده للملاك ليقوده خارج سدوم ، وقلبه لا يزال داخلها

قد تكون توبته مجرد محاولة لإرضاء الله ، وليست محبة للبر ٠
أو ربما يكون قد ترك الخطية من أجل مخافة الله فقط ٠٠ لأجل خوف العقوبة ، لمجرد الحرص على أبديته ، دون أن تكون محبة الله أو محبة البر ثابتة في قلبه ٠ لذلك فإن أية هزة تتعبه من العدو ، إما أن ترجعه إلى الخطية أو تميل قلبه ٠٠

ويحدث هذا أيضاً إن كان هدف التوبة غير سليم ٠
حنانيا وسفيرا باعا ممتلكاتهما وقدما الثمن للرسل ، ليس زهدا في المال وحبا لله ، إنما لكى يجاريا الجو الروحى السائد في العصر الرسولى ، ومجرد مجازاة ، مع عدم إيمان قلبى بتفاهة المال ٠٠ لذلك لم يقدما المال كله ن وإنما احتجزا منه جزءا ، لأن محبة العالم كانت لا تزال داخل القلب (أع ٥) ٠

فهل أنت كذلك ؟ هل دخلت التوبة مجاراة للجو الروحى ؟
أقصد لمجرد المجاراة أو التقليد ، دون أن يتطهر القلب في الداخل من محبة الخطية ودون أن تقتنع تماما بدنس الخطية وبشاعتها ٠٠!
عن التوبة بسبب المجاراة ، قد تدعو إلى التعريج بين الفرقتين ٠
إن راحيل تركت بيت أبيها لابان ، وذهبت مع يعقوب ، ربما محبة ليعقوب ومجاراة له في ترك ذلك الوسط المتعب ٠ ولكن الهدف الأساسى – الذى هو ترك مكان تعبد فيه الأصنام – لم يكن موجودا ٠ ولهذا أمكن أن تخرج راحيل من بيت لابان ، وتأخذ معها أصنام أبيها لابان ٠٠! وهكذا كانت تعرج بين الفرقتين (تك ٣١ : ٣٤) ٠٠

وأنت : هل دخلت الحياة الجديدة محبة لشخص كيعقوب أم محبة لله ؟
ربما محبة شخص روحى ، تقود إلى الطريق الروحى ٠ ولكن هذه ينبغى أن تكون نقطة البدء فقط ، وتتحول إلى محبة الله ٠ لأنه لو بقى هذا الدافع وحده ، بقيت الحياة الروحية معلقة بمحبة هذا الشخص الروحى ٠ واصبح التائب عرضة للرجوع ٠

بنو اسرائيل تركوا مصر تابعين موسى ٠ ولكنهم ما كانوا قد كونوا علاقة ثابتة مع الله ٠ لذلك تقلقوا ورجعوا ٠
مجرد أن غاب موسى عنهم أربعين يوما ، حينما كان مع الله على الجبل ، جعل هذا الشعب يعيدون التفكير في علاقتهم مع الله ، وانتهوا إلى عبادة عجل ذهبى (خر ٣٢) ٠ بل إن أية ضيقات كانت تحدث لهم في

البرية ن كانت تدعوهم إلى التذمر ، وإلى اشتهاء العودة مرة أخرى على مصر ٠٠ اشتهاء اللحم و البطيخ و الكرات (عدد ١١ : ٤ ، ٥)

إذن لا بد من تكوين علاقة ثابتة مع الله خوف الإنتكاس ٠

نقطة البدء في التوبة ، لا يصح أن تبقى حيث هى ٠ إنما ينبغى ان ينمو التائب في روحياته ، ودوافعه ، وعلاقته مع الله ، حتى لا يعود القلب فيشتاق الحياة السابقة في الخطية ٠ وكلما كانت العلاقة ثابتة مع الله ، لا يتعرض التائب إلى مشاعر التعريج بين الفرقتين ، وشهوات الرجوع إلى الخطية ٠

وما أسهل أن يحارب بالجمع بين المرين معا : الله و العالم !

على الرغم من صراحة قول الكتاب " محبة العالم عداوة لله " (يع ٤ : ٤) ٠ شمشون حاول أن يجمع بين كونه نذير الرب ، وصديقا لدليلة في نفس الوقت ، ففشل و فقد نذره ٠ لوط حاول أن يمجع بين محبة الأرض المعشبة الخاطئة و كونه رجل الله ، ففقد كل ما كان له في سدوم ٠ حقا إنه لا شركة بين النور و الظلمة (٢كو ٦ : ١٤) ٠

كذلك ملاك كنيسة ساردس حاول أن يجمع بين الخدمة و الإهمال ٠ وملاك كنيسة لادوكية حاول أن يجمع بين الخدمة و الفتور ٠ وكل منهما أرسل إليه إليه إنذار من الله (رؤ ٣ : ٣ ، ١٦) ٠

عجيب إن شاول الملك أراد اللجوء إلى العرافة ، وإلى صموئيل النبى ، في نفس الوقت (١صم ٢٨ : ١١) !

على التائب أن يكون دقيقا في البعد عن العالميات

فقد قال الرب في وضوح إنه لا يستطيع أحد أن يخدم سيدين (لو ١٦ : ١٣) ٠ وفى البعد عن العالميات اتقاء للتأثير المضاد الذى يجذب الإنسان بعيدا عن التوبة ٠٠ حقا إنه تاب ٠ ولكن العالميات لا تزال لها حروبها و ضغطاتها ، وليس الإنسان معصوما في التعامل معها ٠ لذلك يجب الحرص و الدقة ٠

وقد يحاربه العدو بما يسمونه " الطريق الوسطى " ٠

ومعروف المثل القائل " الطريق الوسطى خلصت كثيرين " . ويستخدمه بعض الاباء الروحيين في نصح الذي يندفع في تطرف روحي قد يتعبه . ولكننا نقول إن البعد عن التطرف ، ليس معناه البعد عن التدقيق . فالذي يبعد عن التدقيق إنما يحاول الوصول إلى الله من الباب الواسع والطريق الرحب . وهذا ضد الوصية (متى٧ : ١٣) .

كل ما نخشاه في هذا الأمر أن التائب يتعود التساهل في حياته . وهذا التساهل يحدره إلى اسفل حتي يفقد حرارة التوبة ، ثم يفقد التوبة ذاتها ويخطئ ...

وقد يحارب التائب أيضاً بشكلية العبادة ، وشكلية الروحيات .

إنسان تائب تدفعه حرارة التوبة إلى النمو في العبادة . وقد يأخذ هذا النمو مقياس الطول وليس مقياس العمق . فيكثر من الصلوات ولو بغير روح ، ويكثر من القراءات ولو بغير فهم ، ، ويكثر من التناول ولو بغير استعداد ، ويكثر من إرهاق الجسد ولو بغير فائدة ... وشيئاً فشيئاً قد يتحول إلى شكلية العبادة . وهذه الشكلية لا تنفعه ، وقد يشعر بهذا فيتركها ، ثم يسأم الحياة الروحية ، فيشتاق إلى حياته الأولي !

و التائب هنا يحتاج على قيادة وإلى إرشاد روحى ٠

لكى يعرف ما هى روحانية العبادة ، وكيف يسلك فيها ؟ و كيف أن الله كان يرفض العبادة الشكلية و المظهرية ٠ وأنه يريد القلب أولا ٠ وكل صور العبادة من صلاة وتأمل وقراءة وصوم تناول واعتراف ، ينبغى أن تكون صادرة من قلب محب الله ، وينبغى ان تمارس بفهم وبعمق روحى وبحب نحو الله ٠ وتكون صادرة من القلب ٠ وليضع التائب أمامه توبيخ الرب للعبادة و الخاطئة بقوله " هذا الشعب يعبدنى بشفتيه أما قلبه فمبتعد عنى بعيدا " (متى ١٥ : ٨) ٠

إن مظهرية الحياة الروحية ، تبعد عن حياة التوبة ٠

فالروحيات ليست مظاهر وشكليات ٠ وهذه لا تدل على علاقة مع الله ٠ وقد وبخ الرب الكتبة و الفريسيين ، على الرغم من تدقيقهم الشديد في حفظ الوصايا ، تدقيقا وصل بهم إلى الحرفية و البعد عن الروح ! ولم يقبله الله منهم وقال منهم وقال لهم إنهم يهتمون بتنظيف خارج الكأس فقط ٠٠ و يقينا لم يكن الكتبة و الفريسيون تائبين ٠ على الرغم من كل ما كانوا يفتخرون به من دقة في تنفيد الناموس ، كانوا بعيدين عن التوبة ٠

فلا تكن في توبتك حرفيا ، ولا تهتم بالمظهرية ٠

لأنك إن فعلت هذا سترتد و نفقد توبتك ٠ إنما اهتم بالروح قبل كل شئ ٠ إهتم بمحبة الله ٠ ولتكن كل روحياتك صادرة عن هذه المحبة ٠ بهذا تحفظ توبتك ٠ وبهذا تضمن انك سوف لا تعرج بين الفرقتين ٠ عن بلعام كان يهمه أن يكون مظهره من الخارج سليما ، لا تمسك عليه خطية و لا كلمة خاطئة ، بينما قلبه من الداخل لم يكن مع الله (عدد ٢٤ ، ٢٥ ، يه ١١) ٠ كان يريد أن يتمتع بالخطية ، دون أن يظهر بمظهر الخطية ٠ ولكن الله هو فاحص القلوب ٠٠

قلب بلعام لم يكن سليما أمام الله ٠ كان يعرج بين الفرقتين ٠ يجب أموال بالاق ويريد أن يرضيه ٠ وفى الذى يعرج ين الفرقتين ، قد يصل إلى هذا الوضع :

قد يرتكب الخطية ، إن وجد باباً للهروب من مسئوليتها ٠

الذى تشغله هى المسئولية ، وليست نقاوة القلب ، وليست محبة الله ٠ لذلك هو يعبد عن حياة التوبة ٠ فلا تكن أنت كذلك ٠ ليكن قلبك ثابتا في محبة الله ، إهتم بغذاء روحك ٠٠

الفصل بين النور و الظلمة

عن كنت قد تبت ، ودخل نور اله إلى قلبك :

فلكى تحتفظ بتوبتك ، إفضل نفسك عن كل أعمال الظلمة ٠

إنها قاعدة وضعها الله لنا منذ البدء ، يرويها سفر التكوين بقوله " ورأى الله النور أنه حسن ٠ وفضل الله بين النور و الظلمة " (تك ١ : ٤) ٠ و تسمر القاعدة في العهد الجديد إذ يقول " أية شركة للنور مع الظلمة ؟! " (٢كو ٦ : ١٤) ٠ لا يمكن أن يجمع إنسان روحى بين الإثنين في حياته ٠ لذلك فكل من يسير في طريق الله :

لا بد أن يفصل ذاته عن كل أسباب الخطية و العثرة ٠

فهكذا أراد الله منذ بدء الخليقة ٠ ولكن القاعدة كسرت فتسببت الخطية ٠ أولى كسر لهذه القاعدة كان عندما جلست حواء مع الحية (تك ٣) ، و رأينا كيف طغت الظلمة على النور ٠ ويحدثنا الكتاب عن كسر آخر خطير لهذه القاعدة ، حينما يروى قبيل الطوفان أن " أولاد الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات ، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا " (تك ٦ : ٢) ٠ وكانت النتيجة أن شر الإنسان قد كثر واضطر الله إلى تطهير الأرض من الفساد بالطوفان ٠ إذ ان الظلمة للمرة الثانية طغت على النور ٠

وعاد الله ففصل بين النور والظلمة ، بواسطة الفلك ٠

إختار جماعة مقدسة هى نوح وأسرته ، وفصلهم عن العالم الشرير ، حتى يستبقى له مجموعة بارة لا يفسد بفساد العالم ٠ وبالوقت لما دخل الفساد في أولاد نوح ، اختار الله غبرآم وفصله عن العالم الشرير ، فقال له " إذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك ٠ فأجعلك أمة عظيمة وأباركك ٠٠ وتكون بركة " (تك ١٢ : ١ ، ٢) ٠ وكأن الله يقول لعبده إبرآم :

اترك مكان الخطية ، لتحفظ بنقاوة قلبك ، بعيدا عن الشر ٠

يجب أن يفصل النور الذى فيك عن الظلمة التى فيهم ٠
وبنفس الوضع أمر الرب شعبه أن لا يصنعوا عهدا مع شعوب الأرض ، ولا يتراوجوا معهم (خر ٣٤ : ١٥ ، ١٦) ٠ ومنعهم من النساء الغريبات والأجنبيات (أم إن الله يريد لأولاده أن يبعدوا عن كل خلطة شريرة (مز ١)

وأمر الرسول ان لا يؤاكلوا و لا يخالطوا الخطاة (١كو ٦ : ١١) ٠

وأن يعزلوا الخبيث من بينهم ٠ وبنفس المنهج قال القديس يوحنا الحبيب " إن كان أحد يأتيكم و لا يجئ بهذا التعليم ، فلا تقبلوه في البيت ، ولا تقولوا له سلام لأن من يسلم عليه يشترك في اعماله الشريرة " (٢يو ١٠ ، ١١) ٠

لأنه يجب الإنفصال عن الخطية و الخطاة ، سلوكا ومعرفة ٠

إن كانت التأثيرات الخارجية قد أسقطت شمشون وداود وسليمان ، فليحترس بالحرى الضعفاء ، وليبعدوا فهذا أسلم لهم ٠٠
وهكذا كانت الكنيسة في العصر الرسولى ، وفى القرون الأربعة الأولى للمسيحية بوجه خاص ، تعزل الخطاة خارج الكنيسة ، ويبقى المؤمنون كلهم كجماعة مقدسة منفصلة عن الشر و الشرار ٠ كما حدث في قصة حنانيا و سفيرا (أع ٥) ٠ وخاطئ كورنثوس (١كو ٥ : ٥) ٠

أول اعتزال بعتزله الإنسان عن الشر ، هو في المعمودية ٠

حيث يجحد الشيطان معتزلا عنه وعن كل اعماله الرديئة وشروره القبيحة ، وعن كل جنده و حيله وسلطانه ٠ و كما يعتزل عن الشيطان ، يعتزل عن الإنسان العتيق الذى يدفن في المعمودية ، ليولد بدله إنسان جديد على صورة الله ٠ ويضع أمامه طول حياته أن يعيش منفصلا عن الخطية و الخطاة ٠
ولعل إنسانا : وكيف يمكننا أن نفعل ذلك ؟

إن لم تستطع أن تنفصل عن الخطاة مكانيا ، فانفصل عنهم عمليا ٠ إنفصل عنهم فكرا وأسلوبا و منهج حياة ٠

أنت لا تقوى على عدم مخالطة كل الخطاة الذين في العالم ، وإلا كان عليك أن تترك العالم كما قال بولس الرسول (١كو ٥ : ١٠) ٠ ولكن لتكن خلطتك في حدود الضرورة فقط ٠ وفكرك منفصل عن أفكارهم ، واسلوبك غير أساليبهم ٠ و حياتك غير حياتهم ٠ بل ألفاظك أيضاً غير ألفاظهم ، كما يقول الكتاب " لغتك تظهرك " (متى ٢٦ : ٧٣) ٠

لهذا يقول القديس يوحنا الرسول : أولاد الله ظاهرون (١يو ٣ : ١٠)

إذا جلسوا مع أهل العالم ، ويظهر الفاصل تماما : ليس الفاصل في المكان ، وإنما في نوع الحياة ، وفى التعامل ، بل حتى في شكلهم و ملامحهم و نظراتهم و حركاتهم ٠٠ روحهم تميزهم ٠ وترى عمليا كيف أن الله قد فصل بين النور و الظلمة ٠

و لكنى أحب أن يكون هذا الفصل عن غير كبرياء ٠

لا نريد لإنسان كم الذى يحيا حياة التوبة ، منفصلا عن الخطاة ، أن يكون انفصاله عن تشامخ و تعال و كبرياء ، كأنه أفضل منهم ٠٠! مثلما كان الفريسيون و الكتبة يفعلون ٠٠ و يلومون المسيح على مجالسته للعشارين و الخطاة ٠

إنما نقصد ألا توجد شركة معهم في أى عمل خاطئ ٠

و لا توجد مجاراة للأخطاء ، أو تقليد للطباع ، أو مجاملة على حساب الحق فالرسول يقول " لا تشاكلوا هذا الدهر " (رو ١٢ : ٢) ٠ أى لا تصيروا شكلهم ٠٠
التائب لا يجارى الخطاة في أخطائهم ٠ وفى نفس الوقت لا يدينهم ، بل يشفق عليهم ، ويصلى لأجل خلاصهم ٠ ويقول من جهة عدم خلطته بهم :

أنا من أجل ضعفى ، لا أقوى على هذه الخلطة ٠

إننى ابعد ، لأننى سريع التاثر ، سهل الإنجذاب ٠ تستطيع العوامل الخارجية أن تقوى على إرادتى ٠ لذلك البعد لى أضمن ، والهروب أليق ٠ وليس الأمر تعاليا ، لأننى لا أنسى خطاياى القريبة العهد ٠

وهكذا يختلف عن موقف الرعاة ، الذين يزورون الخطاة و يفتقدونهم ٠

ويفعلوا هذا لكى يجذبوهم إلى التوبة ، ويصلحوهم مع الله ٠ على شرط أن يكون الرعاة في امثال هذه اللحظة ، متحفظين ، لا يفقدون هيبتهم الروحية ، ولا يندمجون مع الخطاة في الهوهم وعبثهم ٠ بل يكونون شهودا للحق ، وسفراء للرب ، وقدرة أمام هؤلاء ٠٠

كان السيد المسيح يجلس في موائد العشارين و يدخل بيوتهم ، لكى يجذبهم إلى التوبة ، ولكى يرفع معنوياتهم ٠ فيدركون أن لهم نصيبا فيه ، وأنه ليس للأبرار فقط ٠

أما التائب فيقول : لست أنا في مستوى الرعاة ، ولا في قوة المسيح ٠ إننى أضعف من هذه الخلطة ٠

فلأبعد عنها ٠

أنا لم أصل بعد إلى مستوى من يهدئ غيره ويقوده إلى التوبة ، فأنا مازلت محتاجا إلي من يهديني ، ويثبتني في توبتي . لذلك فهو يعتزل الخطاة ، محفظاً بانسحاق قلبه . لا يحتقر أحدا منهم . ولا يري في داخله أنه نور ينفصل عن الظلمة . فمجرد هذا التمييز في ذهنه لا يتفق مع مشاعر التوبة .

وفي قلبه يعرف من الذين قيل عنهم إنهم نور .

الإنسان البار ، الذي هو نور ، أو من ضمن الذين قال لهم الرب " أنتم نور العالم " (متي ٥: ١٤) . هذا إذا حل في أي مكان تختفي الظلمة بسبب نوره . مثلما إذا وضعت مصباحاً في أي مكان مظلم ، تنقشع ظلمته ويصير مضيئاً . كذلك وجود الأبرار في أي مكان يحلون فيه ، ينتشر فيه النور وتختفي الظلمة .

هكذا هؤلاء القديسون : الذين بسبب هيبتهم الروحية ، لا تستطيع الظلمة أن تجد مجالاً لها في وجودهم .

بل يستحي الخطاه منهم ومن وقارهم ومن قدسيتهم . ولا يجرؤ أحد في وجودهم أن يتصرف تصرفاً شائناً ، أو يتلفظ بلفظة خارجة . بل يخجل من ذاته ومن تصرفه . ويشعر الموجودون أن جواً روحياً قد ساد المكان ، بحلول أحد من هؤلاء الإبرار فيه ... وإن كان هناك حديث خاطئ قبل دخولهم ، فإن ينتهي ويصمت الكل ، وتختفي الظلمة . ولا يستطيع احد ان يخطئ في وجودهم ...

فهل انت هكذا ؟ هل صرت بعد توبتك نوراً ؟

هل صرت ولو شمعه صغيرة ، تعطي نوراً خافتاً ، ولكنه علي أية الحالات يبدد الظلام . إن لم تصر نوراً هكذا ، فاحترس كل الأحتراس من الظلمة . واذكر كل حين قول الرب " لفتكن أحقاؤكم ممنطقة ومصابيحكم موقدة "(لو ١٢ : ٣٥) .

وليكن نورك اولاً من اجل ذاتك .

من أجل أن تبصر جيداً . من أجل أن تكون لك البصيرة الروحية التي تميز طريق الله ومشيئته . كإحدي العذاري الحكيمات (متي ٢٥) ، اللائي كان لهن زيت في مصابيحهن فأضأن وكن مستحقات الدخول مع العريس....

بهذه المصابيح الموقدة ، إكشف الظلمة وابعد عنها ...

ومن أجل الإحتفاظ باتضاعك ، خذ الظلمة بمعناها الموضوعي ، وليس بالمعني الشخصي . خذها بمعني في كل صورها . وأفصل نفسك عنها . إفصل نفسك عن كل فكر شرير وشهوة شريرة .

لكي تستطيع في توبتك أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك حسب الوصية (تث ٦: ٥) . وكيف يكون الحب من كل القلب ، أن لم يكن القلب منفصلاً عن كل شعور خاطئ ، وليست له خلطة

بأفكار العالم وشهواته . وكلما يحاربك في توبتك فكر من أمور العالم ومحبته وملاذه ، أذكر قول الرسول :

لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التي في العالم (١ يو ٢: ٥) .

وقوله " إن أحب احد العالم ، فليست فيه محبة الآب " ، " والعالم يمضي وشهوته معه "(١ يو ٢ : ١٥ ، ١٧) ... ولكي تبعد عن محبة العالم ، إبعد عن التفكير فيه وفي شهواته . أنت لا يمكنك حالياً أن تنفصل عنه مكانياً ، فانفصل عنه فكرياً وشعورياً .، وقل للرب كما نقوا في صلاة القسمة في القداس الإلهي :

كل فكر لا يرضي صلاحك ، فليبعد عنا ... وكن دقيقاً جداً ، وسريعاً جداً ، في فصل ذاتك عن الأفكار الخاطئة ... لأن الخطية يمكن أن تدخل إلي قلب الإنسان ، ولو من ثقب بسيط . وتظلا توسع لها مكاناً فيه حتي تضيعه . فاجلس إلي نفسك وأفحصها وأسأل : هل مازالت في داخلي آيه خلطة مع أسباب الخطية ، ومع أفكارها ومشاعرها . وإن وجدت شيئاً من ذلك فيك ، انتهره وأطرده وقل له : لقد فصل الله بين النور و الظلمة ...

الاهتمام بالروح

الإهتمام بالروح هو الناحية الإيجابية اللازمة لحفظ التوبة .

فما ذكر ناه عن طرد الكنعانيين من الأرض ى، وعدم التعريج بين الفرقتين ، والفصل بين النور و الظلمة ، إنما يصل الحرص من الناحية السلبية . أما الإهتمام بالروح فيمثل العمل الإيجابي . لأن الروح القوية يمكن ان تحفظ الإنسان طاهراً . لذلك يلزم ان يهتم الإنسان بروحه ، كما هو يهتم بجسده . يهتم بالإثنين معاً ، ويحتفظ النظام و التوازن بينهما . ويراعي هذه القاعدة :

إن العناية التي تبذل لأجل احدهم ، ينبغي ألا تضر الآخر .

أقول هذا لأن البعض ربما في اهتمامه بالجسد وصحته ، يمنعه عن الصوم ، وهكذا يضر بروحه . وكثيراً ما يقع آباء وأمهات في هذا الخطأ في تربية اولادهم ، وكأنهم يربون أجساداً فقط بغير أرواح ...! إننا في تربية الحيوانات إنما نهتم بأجسامهما ، فإما أن نعمل علي تقويتها لأجل الشغل ، آو نعمل علي تسمينها لأجل الذبح . ولكن هل نفعل نفس الأمر بالنسبة إلي الإنسان ، فنربي له جسداً لكي يأكله الدود . عار ان نهتم بالجسد الإنساني فقط . لذلك إهتموا بصحة اولادكم جسدياً ، واهتموا أيضاً بصحتهم الروحية . وكذا بصحتكم .

إن صحة الروح نافعه للروح وللجسد أيضاً .

فإذا مرضت الروح ، يمكن أن يمرض الجسد معها ، وبعض أمراض الجسد ترجع إلي أمراض روحية . وإن كان مرض الروح يضر الجسد ، فليس بالضرورة أن مرض الجسد يضر الروح . بل علي العكس غالباً ما ينفعها . إن أشد أمراض الجسد يمكن أن تنفع الروح ، وتقود الإنسان إلي التوبة ، وإلي الصلاة ، وتوقظ نفسه ونفوس الذين حوله ، وتعلمهم الزهد في الحياة . إهتم إذن بصحة روحك أكثر مما تهتم بصحة جسدك.

لا تكن حنوناً جداً علي جسدك ، بينما تهلك روحك

فإن السيد المسيح طلب عكس هذا ، حينما قال " إن كانت عينك اليمني تعثرك ، فاقلعها و القها عنك ... وإن كانت يدك اليمني تعثرك ، فاقطعها والقي عنك " (متي ٥: ٢٩ ، ٣٠) . وأرانا بهذا ان الروح هي الأهم . ومن أجلها تضحي بالجسد ...

روحك هذه هي صورة الله ومثاله . وهي غالية عنده جداً .

من أجلها تجسد . ومن أجلها بذل دمه الطاهر علي الصليب . إذن ثمن روحك هو دم المسيح ، وكل ما تحمله المسيح من الام لأجلك .

روحك أيضاً وحيدة ، لا يوجد لديك غيرها .

إن فقدت كل شئ ، وإن ربحتها ربحت كل شئ . إنها أغلي من العالم كله . لذلك قال الرب " ماذا ينتفع الإنسان ، لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟! أو ماذا يعطي فداء عن نفسه "(متي ١٦ : ٢٦) .

روحك هذه ، لا يستطيع أحد أن يؤذيها ، إلا انت

قد يتمكن إنسان من أن يحبس جسدك . ولكنه لا يستطيع أن يحبس روحك حتي في السجن تبقي طليقة .وقد يستطيع إنسان إن يقتل جسدك ، ولكنه لا يقدر أن يقتل روحك ...

روحك عنصر سماوي . هي التي تعطي الحياة للجسد .

إذا اهتممت بها يمكن ؟أن ترفع الجسد إلي فوق ، وتجعله في حالة روحية سامية وتصير انت شبه ملاك أرضي . ينبغي إذن ان تهتم بها ، حتي لو ضعف جسدك في سبيل ذلك . فهوذا الرسول يقول " أن كان إنساننا الخارج يفني ، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً " (٢ كو ٤: ٦) . إنساننا الخارجي هو هذا الجسد . والداخلي هو الروح ... هذا الجسد شبهه الرسول بخيمة نحن ساكنون فيها (٢ كو ٥: ١). والأهم أن الساكن في الداخل هو الله . ليتنا إذن نهتم بأرواحنا هذه ، حتي لا تخطئ الجسد معها ...

أنت تغذي جسدك كل يوم . فيجب أن تغذي روحك أيضاً .

إن الروح تتغذي كما يتغذي الجسد . يقول الرب " طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني "(يو ٤: ٣٤) وتتغذي الروح أيضاً " بكل كلمه تخرج من فم الله (متي ٤: ٤) . فهل روحك تتغذي بكلام الله وبصنع مشيئته . وتأخذ هذا الغذاء كل يوم ؟

الجسد يتغذي بثلاث وجبات كل يوم .

في أول النهار وفي السماء وما بينهما . فهل تحرص أن تعطي روحك غذاءها مرات كل يوم أم تهملها فتضعف ؟

و الجسد يتناول انواعاً متعددة من الأغذية ليستوفي كل العناصر اللازمة .

إنك تعطيه غذاء كاملاً فيه المواد الدهنية و السكرية والكربوهيدراتية ، وفيه البروتينات والفيتامينات والمعادن ... وتحرص ألا ينقصه شئ مما يلزمه من الصلوات و التسابيح و التأملات و القراءات الروحية و المطانيات ؟ و هل تعطيها ما يلزمها من محبة الله ؟ وهل هذا الغذاء تأخذه كل يوم ، ودفعات في اليوم ؟مع باقى الأغذية الأخرى ..

وأنت لا تكتفى بان تعطى جسدك غذاء كل يوم ، ومرات في اليوم ، وعناصر متنوعة متكاملة . وإنما في غذائه أيضا :

تعطية طعامه بكميات كافية ، بقدر ما يحتاج من سعرات حرارية .

فهل تعامل روحك بنفس المعاملة ؟ هل تعطيها من الصلوات ما يشبعها ، ام تصلى دقائق معدودة و تسأم ؟ و هل تعطيها من القراءات الروحية ما يشبعها من الكتاب المقدس وسير القديسين و الموضوعات الروحية ؟ أم أنت غير مواظب و غير مهتم ، ولا يهمك أن تستوفى الروح غذاءها ، بينما هى تجوع و تعطش إلى البر (متى ٥ : ٦) . و الجسد لا يكتفى بكل الكميات والأنواع السابقة من الطعام شهيته .

أن يكون الطعام جيد الطهى المذاق لتقبله شهيته .

فهل أنت تقدم لروحك أطعمة جيدة حسنة المذاق ، أم تقدم لها صلوات سريعة بلا فهم بلا عاطفة بلا حرارة بلا روح و ممزوجة بطياشة الفكر ؟ هل تظن هذه الصلوات يمكن أن تستفيد بها الروح ؟ وهل انت تقدم لها قراءات بلا تأمل بلا عمق بلا فهم بلا تطبيق ؟ اتستطيع الروح أن تهضم هذا الغذاء و تستفيد به لنموها ؟ وهكذا في باقى الوسائط الروحية .. إهتم إذن بروحك ، واعلم أنه :

كما تضعف الجسد ويمرض لقلة الغذاء ، كذلك الروح أيضاً .

الجسم يهزل لقلة الغذاء ، والروح تفتر و تفقد حرارتها ٠ ما أكثر الذين يصابون بأنيميا روحية أو بهزال روحى ٠ وكما يمرض الجسد لسوء التغذية وبالعدوى ، كذلك الروح تمرض بهذه جميعها ٠ وتحتاج إلى وقاية وحصانة كما يحتاج الجسد تماماً ٠

و الجسد إذا مرض يحتاج إلى أطباء ، وكذلك الروح

واطباء الروح هم آباء الإعتراف و المرشدون الروحيون ٠ الأدوية الروحية معروفة و كثيرة ، ويحتاج إلى تناولها كل من يشعر بنقص في ناحية معينة ٠ ونحن نقول للرب في القداس الغريغورى " ربطتنى بكل الأدوية المؤدية إلى الحياة " ٠٠ ونقول له " أيها الطبيب الحقيقى الذى لأنفسنا و أجسادنا ٠٠ "
لاشك أن الجسد يلاقى من الإنسان إهتمام كبيراً لا تلاقيه الروح ٠ و لذلك فإن أحد الآباء قرأ في سفر الجامعة قول الحكيم :

رأيت عبيداً على الخيل ، ورؤساء ماشين على الأرض كالعبيد (جا ١٠ : ٧) ٠

فقال إن العبيد الراكبين على الخيل هم الأجساد التى نكرمها أزيد مما يلزم ٠ و الرؤساء الماشين على الأرض كالعبيد هم الأرواح التى لا تجد إكراما كالأجساد ، بل تجد إهمالا من كل ناحية ٠٠ الروح التى لها السيادة بحكم طبعها ن نهملها حتى تفقد سلطتها و تخضع للجسد ، وتمشى على الرض كالعبيد ٠٠!
إننا نهتم بالجسد فنعطيه غذاءه ٠ ونجمله بالزينة ٠

و كما يتزين الجسد و يلبس ، ينبغى أيضاً أن تتزين الروح٠

و الروح تتزين بالفضائل ، زينة الروح الوديع الهادئ كما يقول الرسول (٢بط ٣ : ٤) ٠ وتلبس " لباس العرس " (متى ٢٢ : ١١ ، ١٢) وتلبس " لباس العرس " (متى ٢٢ : ١١ ، ١٢) ٠ الذى يستحق لابسوه الدخول مع الرب في ملكوته ٠ و تلبس البز (الحرير) الذى هو تبررات القديسين (رؤ ١٩ : ٨) وتقف امام الله في ثبات بيض ٠٠
فهل انت تزين روحك بكل ثمار الروح (غل ٥ : ٢٢) ٠ أم تقف أمام الله عريانا مثل كنيسة لاودكية (رؤ ٣ : ١٧) ٠ واعرف ان كل زينة الجسد من الخارج لا تنفع ، كما يقول المزمور :

كل مجد إبنة الملك من داخل (مز ٤٥)

مع أنها " مشتملة باطراف موشاة بالذهب ، ومزينة بأنواع كثيرة " ، فلتقف روحك في اليوم الأخير بكامل زينتها امام الله " كعروس مزينة لعريسها " (رؤ ٢١ : ٢) ٠
ومن جهة لباس الروح ، ما أجمل تلك العبارة التى قيلت عن المعمودية " لأن جميعكم الذين اعتمتم للمسيح قد لبستم المسيح " (غل ٣ : ٢٧) ، يوم خرجت الروح من المعمودية في اكمل بهائها ٠٠ ويضاف إلى هذا أيضاً :

ما تلبسه الروح من أكاليل ، نتيجة لجهادها وانتصارها ٠

فما الذى تلبسه روحك من كل هذا ؟ هل أنت مثل تابوت العهد الذى كان مصفحا بالذهب من الداخل ومن الخارج (خر ٢٥ : ١١) ؟

*وفى الإهتمام بالروح ، ضع أمامك هذه الوصايا :

١-اسلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد (غل ٥ : ٦) ٠

٢-إمتلئوبالروح (أف ٥ : ١٨) ٠

٣-حارين في الروح (رو ١٢ : ١١)
و هكذا تعبد الله بالروح (في ٣ : ٣) ٠ وتصلى بالروح ، وتريل بالروح (١كو ١٤ : ١٥) ٠ وتثمر ثمار الروح (غل ٥ : ٢٢) ، عالما أن " من يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة ابدية " (غل ٦ : ٨) ٠إن سرت هكذا يمكنك أن تحفظ توبتك و لا ترجع إلى الوراء ٠٠

إعط روحك غذاءها ٠ أما جسدك فاعطه مايقوته ، لا ما يشتهيه .

إن تقويتك لروحك تحفظ من السقوط ..

إن التجارب والإغراءات والحروب الروحية يتعرض لها الكل . ولكن يثبت الأقوياء روحياً كالبيت على الصخر (متى٧ : ٢٤ ، ٢٥) . هؤلاء الذين تغذت أرواحهم بكلمة الله ، وقويت بكل التداريب الروحية ، واصبحت لها خبرة بحروب الشياطين ، وقدرة على قتالهم .. صاروا أقوياء من الداخل ، كمدن محصنة . ولكن لماذا يسقط البعض ؟

يسقطون ، لأنه لا توجد مقاومة في الداخل ، ولا حصانة .

كمرض يهاجم بلدة بأسرهم ، فيصمد له الأقوياء ، ويقع الضعفاء .

إن كان الأمر هكذا ، حاول إذن أن تتقوي بالروح ، حتى إن أتتك الخطية ، لا تجد قبولاً ولا تجد استسلاماً ، فتعبر وتمضي ... كون لك رصيداً روحياً ينفعك في السنوات العجاف..

غالبية الذين يسقطون ، والذين يتنكسون بعذتوبتهم ، اكتفوا بترك الخطية في بدء التوبة . وفي نفس الوقت تركوا أرواحهم بلا تغذية ، بلا تقوية ، بلا عناية ، حتى أصبحت في حالة من الضعف تجعلها سهلة السقوط .

أما أنت فلا تكن هكذا .. فلتكن لك وسائط روحية تربطك باله ، تسير عليها في نظام وبمواظبة . ولتكن لك الإجتماعات الروحية ، والأصدقاء الروحيون ، والقراءات الروحية ، وجو روحي يحيط بك من كل ناحية ، مع الأب الروحي وإرشاداته وتوجيهه ..

وسائل أخرى

١ – مما يساعد على حفظ التوبة ، أن تستوفي نصيبها من الإنسحاق .

وذلك حتى يدرك الإنسان تماماً بشاعة الخطية ومرارة نتائجها ، ويتختبر عذاب الضمير ، فلا يعود إلى الخطية مرة أخري .. ولقد تحدثنا في باب سابق عما يصحب التوبة من شعور بالخزي ، مع حزن ودموع ، كما في قصص القديسين ... وكذلك ما يصحب الإنسحاق من بعد عن المتكئات الأولي ، ومجالات القيادة التى تجعل الإنسان ينسى خطاياه . غير أن البعض للأسف الشديد ، يحاول من بدء توبته أن يقفز سريعاً إلى الفرح ، دون أن يعبر على مرحلة والندم والحزن ، ناسياً أن الفرح هو مرحلة متأخرة ، لا يختطفها لنفسه ، إنما يمنحها الرب للذين اثبتوا بانسحاقهم صدق وثبات توبتهم ..

التائب الذي يسرع إلى الفرح ، سهل رجوعه إلى خطاياه القديمة .

أما فهو سور متين يحمى التوبة ، ويحفظ القلب يقظا الإنسحاق بحفظ التائب في تواضع القلب ٠ والنعمة تعمل في المتواضعين وتحفظهم من السقوط ٠ وطالما يكون التائب منسحقا ، فغنه يتذكر ضعفه وسقوطه ، هذا يدعوه إلا حتراس الدائم ٠

أما الشيطان فبحرصك على سرعة الفرح ، ليقودك إلى الامبالاه ٠

يشعرك انك خرجت نهائيا من دائرة الخطية ، وتقدست و تجددت ، ولم يعد للخطية سلطان عليك ، لأنك محروس و محفوظ بالنعمة ٠ وهكذا يجعلك لا تبالى ٠٠! حقا إن النعمة تحفظنا و لكنها لا تلغى غرادتنا ، ولا تجعلنا مسيرين نحو الخير ٠ فماذا يحدث إذا لم نتعاون نحن مع عمل النعمة فينا ؟

لذلك إن دعيت على الفرح ، قل انا لا لأستحقه ٠ إن أنعم الله عليك بخجة خلاصه (مز ٥٠) ، فلتكن هذه البهجة سببا لمزيد من الإنسحاق ن مع توبيخك لنفسك ٠٠

في نظام الآباء الأول ، كانت هناك قوانين عقوبات شديدة ٠

و نتيجة لهذه العقوبات ، كان كل تائب يشعر بمقدار الخطأ الذى وقع فيه فينسحق قلبه ويشعر استحقاقه حتى لدخول الكنيسة . وفى ذلك الزمان كانت الكنيسة أكثر قداسه ، وكان المؤمنون أكثر جدية و تدقيقا في حياتهم . ولما وقفت تلك العقوبات دخل الاستهتار إلى نفوس كثيرين . فياليت كل تائب يضع امامه قول القديس أبا مقار الكبير " أحكم يا أخى على نفسك ، قبل أن يحكموا عليك " ..

لأننا إن كنا نندم على خطايانا كما ينبغى ، فإن الندم على الخطية ، سيساعدنا على عدم الرجوع إلى الخطية . إذ كيف نرجع إلى ما نندم عليه ..

٢-ومن أسباب النكسة الروحية ، والرجوع إلى الخطية ، المفاهيم الخاطئة عن الروحيات وعن محبة الله ..

كثيرا ما يركز البعض محبة الله و غفرانه و مسامحته ، تركيزا ينسيهم صلاح الله و قداسته ، وينسيهم مخافة الله أيضاً . فلا يكون عندهم الخوف الذى يدفعهم إلى الحرص . وغن سقطوا لا يندمون كثيرا . معتمدين على محبة الله . وهكذا تصبح الخطية سهلة امامهم ..

ومن المفاهيم الخاطئة أن يظن البعض أن الإعتراف ، هو مجرد أن يذكر خطاياه للكاهن ويأخذ عنها حلا وينتهى الأمر .. دون أن يقرن الإعتراف بالتوبة الصادقة ، و بالندم الشديد ، وتبكيت النفس ، والعزيمة الصادقة على ترك الخطية و البعد عن كل أسبابها ..

إن سهولة الإعتراف ، ربما تكون سببا في رجوع الإنسان إلى الخطية .

ومن المفاهيم الخاطئة أن يظن الإنسان أن التوبة مجرد تغيير سلوك ، من تصرف خاطئ إلى حياة الفضيلة ، دون التركيز على وجود علاقة مع الله . أما أنت فقل :

لو أننى أعطيت كل الفضائل من غيرك يا رب ، لا أريدها .

إننى في توبتى أريدك أنت . وما الفضيلة سوى تعبير عن التصاق بك .. هل أقول أعطيك قلبى كمجرد طاقة تطل بها على مشاعرى ؟ كلا ، بل أعطيك في هذا القلب كل الحب ،لأحيا معك وأثبت فيك .

فالتوبة ليست هى وصولى إلى الفضيلة ،إنما وصولى إليك .

بهذا الوضع يمكن للتوبة أن تثبت .. التوبة المؤسسة على محبة الله والإلتصاق به . فإن محبة كما قال الرسول " لا تسقط أبدا " . ١كو ١٣ : ٨) . وكل قيل في سفر النشيد " مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة " (نش ٨ : ٧) .

٣- ومن أسباب النكسة الروحية أيضاً : نسيان وعودك لله .

تلك الوعود التى قلتها للرب يوم توبتك . وربما تكون قد قطعت مع الله بتفاصيل معينة ! لذلك إن حوربت بالخطية ارفضها ، وتذكر مواعيدك عهودك . قل " أنا قد اتفقت مع الله . ولا يمكن أن ارجع في عهودى معه . لقد وعدت . أريد أن أكون رجلا حسب حسب وصية الكتاب " تشدد وكن رجلا " (١مل ٢ : ٢)

لا تكن مثل الأرض التى ألقيت فيها البذار وأنت الطيور فالتقطتها .. أو أحاطت بها الأشواك فخنقت ما قد نما فيها .

٤-ومن أسباب النكسة الروحية أيضاً : الضمير الواسع .

ذلك الضمير الذى يتسع لكل شئ ، يبرر كل شئ ، ويبلغ الجمل (متى ٢٣ : ٢٤) . وقد يساعده عقل يكون في خدمة كل انحراف تحارب به النفس ، فيقدم الأدلة والبراهين ، وربما الآيات وقصص القديسين ، لكى يؤيد بجهالة كل رغبة خاطئة للنفس ..

لذلك يعوزك الإرشاد المستمر حتى لا تنحرف .

ضع نفسك تحت قيادة ارشاد حكيم . وتذكر أن " الذين بلا مرشد يسقطون مثل أوراق الشجر " . وقد قال أحد القديسين إن أعظم سقطه لشاب هى : أن يسلك حسب هواه " . وقال الحكيم " على فهمك لا تعتمد " (أم ٣ : ٥) .

والمرشد يحفظ التوازن في حياة التائب . فلا يجعله يغالى في الكآبة التى قد توقعه في قطع الرجاء . كما لا يغالى في طلب الفرح والبهجة ، فيقوده ذلك إلى اللامبالاة .

إعملوا لا الطعام البائد ، بل للطعام الباقى "يو ٦ : ٢٧ "

بعض أسئلة عن التوبة

1 خطيتى امامى كل حين

سؤال

إلى أى مدى ننفذ عبارة " خطيتى أمامى كل حين " (مز ٥٠) هل معنى هذا ان نتذكر خطايانا باستمرار ؟

الجواب

المفروض أن نتذكر باستمرار أننا خطاة و تكون خطايانا امامنا كل حين ، لكى تجلب لنا الإتضاع وانسحاق القلب ، وتشعرنا بضعفنا فنزداد حرصا ونطلب معونة الله بالصلاة ..

اما إن كان التذكار يعيد إلينا الخطية ، فلنمتنع عنه ..

متذكرين ما نقوله في القداس الإلهى : " تذكار الشر الملبس الموت " .
وحسب تعليم الآباء ، من الصالح لنا أن نبعد عن تذكر الخطايا الشهوانية و الخطايا الإنفعالية ، لأن تذكرها قد يعيد إلينا حروب الخطية .

فإن تذكرنا خطية شهوانية ، لا ندخل قد تفاصيلها لأنها معثرة .

خطية الزنا مثلا ، لا يجوز للتائب أن يتذكر تفاصيلها وخطوات ارتكابها ، لئلا تعود إليه شهوة الخطية مرة أخرى ٠ حتى إن لم تحاربة الشهوة في أول مرة يذكر فيها هذه التفاصيل ، يمكن أن تحاربه فيما بعد

ومثل شهوة الزنا أيضاً، شهوة العظمة و المناصب ، وشهوة المتكآت الأولى ، و ما يتبع كل ذلك من احلام اليقظة ٠

فإن دخل التائب في تفاصيل آمالى هذه وأحلامه ، وما كان يشتهيه من أوضاع و مراكز وشهوة وتقدم على الاخرين و حب للمديح و الكرامة ، ما اسهل أن ترجع غليه هذه المشاعر مرة أخرى ، وتدغدغ حواسه ، ويطيش فيها بلذة ، وربما تكون سبب لأحلام من هذا
لذلك فخطية الحسد ، لا يجوز الدخول في تفاصيلها ٠
إذ سيتذكر من كان يفوقه في شئ ما ، أو يتمتع بشهوة كان هو يريدها و لم يستطع ٠ وهذه التذكارات تعيد إليه حروب شهواته القديمة ، بل قد تعيد مشاعر عدم محبة نحو ذلك المحسود ٠٠
و بالمثل خطايا الغضب من إساءات و مظاهرها ، وما تحرك في القلب من المشاعر الغيظ أو الحقد أو الرغبة في الانتقام ٠
إن تذكر التائب هذه التفاصيل ، ربما يشعر أنه بدأ يسخن من الداخل وينفعل ، بدلا من أن يتبكت على غضبه ! هذا عن دخل في التفاصيل ٠

على اية الحالات ، فليكن الإنسان رقيبا على مشاعره ٠

الخطايا التى يذكرها أو يذكر تفاصيلها بطريقة ألمية تعيده إلى مشاعر الخطية ، فليبعد عنها ٠ أما التذكار الذى يجلب له الندم و الدموع و انسحاق القلب ، فليستمر فيه مادام هو داخل مشاعر التوبة ٠

٢ – قراءات التائب

أنا إنسان حديث العهد بالتوبة . ما هي القراءات التى تنصحني بها لفائدتي الروحية في هذه الفترة ؟ وعن أي شئ أمتنع ؟

إبعد عن القراءات المعثرة ، والتى تجلب الفتور وإدانة الآخرين .

وكذلك القراءات التى تثير فيك الجدل ، أو حب التعليم ، أو الشعور بالتفوق وسعة الاطلاع . وايضاً القراءات التى تبرد حرارتك الروحية ، وتجفف دموعك ، وتدخلك في جو من اللهو والهزل ..

ومن النافع لك جداً قراءة سير القديسين .

وكذلك شخصيات الكتاب المقدس – لأن هذه القراءات تقدم لك مثاليات عملية تشتاق أن تحيا مثلها ، فتعطيك طاقة وحرارة روحية .

وكذلك تنفعك قراءة الكتب الروحية والكتب النسكية .

لأنها تنير لك الطريق ، كما أنها تحفظ فركك في جو روحي نقي . والمهم أن تختار الكتب التى لها عمق ، والتى تتأثر أنت بها ، وتدفعك إلى الالتصاق بالله ، وتبكتك على خطاياك ، وتفتح أمامك آفاقاً سامية ، وتجعلك تتضع مهما بلغت في توبيتك .

ومن النافع لك أيضاً قصص قديسى التوبة .

مثل سيرة القديس أوغسطينوس واعترافاته ، وسيرة القديس يعقوب المجاهد ، والقديس الأنبا موسي السود وغيرهم . وكذلك سير القديسات التائبات مثل مريم القبطية ، وبيلاجية ، ومرثا ، وأد وكية ، ومريم إبنة أخي إبراهيم المتوحد ..

ومن الكتاب المقدس تخير لك فصولاً معينة تتأثر بها .

مثل سفر الجامعة ، ويفر الأمثال ، ويونان ، ويوئيل ، وسفر التثنية .. ومن العهد الجديد : الرسالة إلى فيلبي ، وإلى أفسس ، والرسالتين إلى كورنثوس ، وإلى تيموثاوس . واكتب في مذكرة الآيات التى تأثرت بها لتحفظها ...

٣ - التداريب الروحية ومحبة الله

أيهما أصلح لي في فترة التوبة : التداريب الروحية ، أم الدخول في محبة الله بقوة تجعل الطريق قصيراً

في هذه النقطة ، ليس جميع الناس نوعاً واحداً .

البعض ينعم عليه في توبته ، بمحية ملتهبة في قلبه ، تكسح أمامها كل الضعفات السابقة وكل الخطايا والنقائص .

على أن هناك من يشق طريقة وسط صخر ، ويحتاج إلى جهاد كبير تقاوم به كل خطية ، بتداريب قاسية شديدة ، وبسهر منتبه جداً على خلاص نفسه ، مثلما نبه القديس بولس العبرانيين قائلاً :

لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية (عب١٢ : ٤) .

وهنا يدرب الإنسان نفسه ، ويحاسبها كيف سلكت في كل تدريب .
والتداريب عاش فيها القديسون أيضاً في الأمور الخاصة بحياتهم الروحية وبنموهم الروحي . فيقول القديس بولس الرسول : " لذلك أنا أيضاً أدرب نفسي ، ليكون لي دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس " (أع٢٤ : ١٦) . وقال أيضاً " في كل شئ .. قد تدربت أن أشبع وأن أجوع ، أن أستفضل وأن أنقص " (في٤ : ١٢) .

لذلك حسبما يمنحك الرب ، هكذا أسلك .

إن أشعلك بالحب ، سر في طريق الحب .. وإن قادك خطوة خطوة بجهاد وتعب ، جاهد أنت ايضاً واتعب ، لكي تصل ...

٤ – الأصدقاء القدامى

سؤال

هل تظن أنه من السهل التخلص من الأصدقاء الذين عشت بينهم سنوات طويلة قبل التوبة ، بعشرة لاصقة بالقلب وعلاقة عميقة ، وكانوا موضع ثقتى وعندهم أسراري ... كيف أتركهم ؟

الجواب

صديقك الحقيقي ، هو رفيقك في طريق الملكوت ، يشترك معك في الحياة الروحية ، ويشجعك عليها ، وتشجعه أنت أيضاً .
أما كل علاقة أو عشرة خارج محبة الله ، فينبغي التخلص منها . لأن الرب يقول " من أحب أباً أو أماً أكثر مني ، فلا يستحقني .. " (مر١٠ : ٢٩) . فإن كان أصدقاؤك القدامى يعثرونك ، أو يقودونك بعيداً عن حياة التوبة ، إبعد عنهم ، بالقناع وفي حزم .
إن استعطت أن تجذبهم معك إلى التوبة ، فلا مانع .
وإن لم تستطيع ، فاجعل علاقتك بهم سطحية . وإن كانوا خطراً عليك ، فينبغي أن تفضل علاقتك بالله على علاقتك بهم .
حتى إن وجدت صعوبة ، إحتمل من أجل الرب . وتذكر أن إبرام أباً الآباء ، لما دعاه الرب ترك أهله وعشيرته وبلده وسار وراء الله (تك١٢ : ١) .
وأنت أيضاً ، لتحفظ بتوبتك ، أرتك من أجل الله كل من يعوقك ..

قصيدة كيف أنسى

سوف أنسى الأمس و اليوم وقد أنسى غدا ... وسأنسى فترة في العمر قد ضاعت سدى
غير أنى سوفى لا انسى سؤالا واحدا ... حين قال القلب يوما في ارتباك كيف أنسى

كيف أنسى فترة الطيش وآثام الصبا ... حين كان القلب رخوا كلما قام كبا
أسكرته خمرة الإثم فنادى ... كلما يشرب كأسا يملأ الشيطان كأسا

كم دعانى الرب يوما فأشحت الوجه عنه ... وأرانى قلبه الحانى انا الهارب منه
قال كن صدرا لقبى غير أنى لم أكنه ... كان قلبى في صدرى مثل صخر كان أقسى

قال هل تحضر يا صاحب عرسى فاعتذرت ... فاعاد القول في رفق وعطف فضجرت
فتولى بعد أن قال انتظرنى فانتظرت ... لم تكن في القلب أشواق لكى احضر عرسا

كجحيم ذلك الماضى كشيطان مريع ... قائم ضدى في صحوى وأيضا في هجومى
كم مضى الليل وقد بللت فراشى بدموعى ... إيه يا ظلمة نفسى هل ترى أبصر شمسا

قرأ الكاهن حلا فوق رأسى فاسترحت ... قال لى هيا اصطلح بالرب هيا فاصطلحت
قلت انسى الأمس لكن صرخ العقل فصحت ... جسن يا قلب أن أن أنسى ولكن كيف أنسى
كيف أنسى فترة الطيش وآثام الصبا ... كيف أنسى الرب مصلوبا وقلبى صالبا

محتويات الكتاب

	صفحة
قصة هذا الكتاب	٥
الباب الأول : ما هى التوبة	**٧**
١-ما هى التوبة ؟	٨
٢-نمو التوبة وكمالها	١٤
٣-دعوة إلى التوبة	١٧
٤-لا تيأس	٢١

٥-التوبة بين الجهاد و النعمة ٢٥
٦-أهمية التوبة ٢٧
٧-عوائق التوبة ٢٨
٨-التوبة و الكنيسة ٣٠

الباب الثانى : دوافع التوبة ٣٣

الفصل الأول : إن عرفت من أنت ، تسمو عن الخطية ٣٤
انت نفخة قدسية خرجت من فم الله ٣٤
أنت إبن الله ، أنت صورته و مثاله ٣٥
أنت مسكن الله ، وهيكل للروح القدس ٣٨
انت اخ للمسيح ، شريك للمسيح ، ووارث معه ٤٠
أنت شريك للروح القدس ، شريك للطبيعة الإلهية ٤٢
أنت عضو في جسد المسيح ، ومن لحمة و عظامه ٤٣
أنت الذى تتناول جسدالرب ودمه ٤٥

الفصل الثانى : إن عرفت ما هى الخطية تهرب من الخطية ٤٧
الخطية هى موت ٤٧
الخطية ضلال وضياع ٤٩
الخطية إنفصال عن الله ٥٣
شتان بين دالة وخصومة ٥٤
الخطية حرمان من الله ٥٩
الخطية معاندة للروح القدس ٦٠
الخطية فساد للطبيعة البشرية ٦١
الخطية نجاسة وزنى وعار ٦٢

الفصل الثالث : إن عرفت نتائج الخطية ، تنفر من الخطية ٦٥
الخوف و القلق ٦٥
عذاب الضمير ٦٧
نتائج اخرى للخطية ٧٠

الفصل الرابع : إن عرفت عقوبة الخطية ، تخاف من الخطية ٧٣
لطف الله وصرامته ٧٤
عقوبات الله المخيفة ٧٦
عذاب الأبدية المرعب ٧٩
عقوبتان للخطية : أرضية وأبدية ٨٣
عقوبات لاحباء الله القديسين ٨٧

الفصل الخامس : دوافع أخرى للتوبة ٩٥

الباب الثالث : وسائل التوبة (كيف تتوب) ٩٩
١-إجلس مع نفسك وحاسبها ١٠١
٢-لا تستخدم أسلوب التبريرات والأعذار ١٠٨
٣- لا تؤجل التوبة ١٢٤
٤-إبعد عن قساوة القلب ١٣٣
٥-إبعد عن الخطوة الولى ، واحترس من الثعالب الصغار ١٤٩
٦-إبعد عن العثرات ١٦٢

٧-إبعد عن التساهل مع الخطية ١٧٩
٨-أعد تقييم سلوكك ، واحترس من ثياب الحملان ١٨٧
٩-إهرب من خطياك المحبوبة ٠ وعالج نقط الضعف فيك ١٩٦
١٠-إهتم بخلاص نفسك ، واحسب حساب النفقة ٢٠٢
١١-إقتن محبة الله ، لتطرد منك محبة الخطية ٢٠٦
١٢اصارع مع الله ، وخذ منه معونة ٢١١

الباب الرابع : علامات التوبة ٢١٩

ثمار تليق بالتوبة ٢٢٠
١-الإعتراف بالخطأ ٢٢٠
٢-الخجل و الخزى ٢٢٦
٣-الندم والألم و الدموع ٢٢٨
الدموع ٢٣٠
٤-الإنسحاق والإتضاع ٢٣٦
٥-إصلاح نتيجة الخطأ ٢٤٠
٦-الإشفاق على المخطئين ٢٤١
٧-مشاعر اخرى ٢٤٣
٨-الحرارة الروحية ٢٤٣
٩-السير الحياة الفاضلة ٢٤٥
١٠-النقاوة ٢٤٦

الباب الخامس : نقاوة القلب ٢٤٧

النقاوة من الخطية ٢٤٧
إختبار النقاوة ٢٥٣
النقاوة من الأفكار والأحلام و الظنون ٢٥٥
النقاوة من الأباطيل ٢٥٧
الناحية الإيجابية في النقاوة ٢٦١
نقاوة القلب من معرفة الخطية ٢٦٢
نقاوة القلب من معرفة الخطية ٢٦٢
ترتيلة " بللت فراشى بدموعى المرة" ٢٦٤

الباب السادس : حفظ التوبة ٢٦٥

إمكانية الرجوع ٢٦٦
بدأوا بالروح و كملوا بالجسد ٢٦٧
الكنعانيون في الأرض ٢٧١
لا تعرجوا بين الفرقتين ٢٧٩
الفصل بين النور و الظلمة ٢٨٣
الإهتمام بالروح ٢٨٧
وسائل أخرى ٢٩٣
بعض أسئلة عن التوبة ٢٩٦
قصيدة كيف أنسى ٣٠٠
محتويات الكتاب ٣٠١